كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

سعد زغلول في أوروبا

بقلم : محمد كامل سليم

سكرتير سعد زغلول الخاص

صدر عن مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة

الغلاف بريشة الفنان :
محمود مصطفى

الإشراف الفني :
سعيد عارف



الزعيم الخالد .. سعد زغلول

سعد وملنر
يتفاوضان .. ويتصارعان

ما كاد الزعيم سعد زغلول واعضاء الوفد يصلون الى باريس بعد الخروج من المنفى حتى تلقوا صدمتين مدوختين : الاولى ، اعتراف ويلسون بالحماية البريطانية على مصر ، فكان بذلك أول من تنكر لمبادئه وأهمها مبدأ حق تقرير المصير للشعوب المغلوبة على امرها . والثانية ، اغلاق ابواب مؤتمر السلام المنعقد فى فرساى فى وجه الوفد المصرى الذى حضر خصيصا لعرض قضية مصر .

وسبق ان سجلت فى كتابى الاول عن ثورة ١٩١٩ آثار الصدمتين فى الوفد وفى مصر وفى بريطانيا ، والآن اوضح بايجاز الاعمال والنتائج المباشرة لذلك .

١ ـ فى باريس بدأ جهاد الوفد فى حركة اعلاميـــة على اوسع نطاق وبنشاط معدوم النظير ٠ مقالات موجزة متوعة كتبها الزعيم وعبد العزيز فهمى ومحمـــدعلى علوبة ، نشرت فى شكل اعــلانات دفع ثمنها على اساس كل سطر ٠ وانتداب محمـد محمود للسفر الى امريـكا للدعاية وشرح حقائق الموقف والتاثير فى الكونجرس ، ونجح نجاحا باهرا بلغ مداه عندما استصدر من الكونجرس قرارا بتاييد حق مصر فى تطبيق مبدأ حق تقرير المصـير ، بالاضافة الى السخط العــام الذى اثاره فى الشعب الامريكى على ويلسون ٠ ثم نشرات مطبوعة عن جرائم الانجليز فى مصر واعمال القتل والتخريب فى العزيزية والبدرشين وكل البـلاد لمنع المصريين من عرض قضيتهم على مؤتمر السلام للمطالبة بالغـــاء الحماية واعلان الاستقلال وتحقيق الجـلاء بانهاء الاحتلال البريطانى تنفيذا لوعود بلغ عــددها اكثر من ٦٠ وعـدا ، اصـدرتها الحكومات البريطانية المتعاقبة ٠

٢ ـ بعد فشل لجنة ملنر فى مصر بعد مقاطعة الشعب كله لها، عادت الى لندن ورأت نفسها مضطرة تحت ضغط الظروف القــاهرة الى دعوة الوفد للمفاوضة معها ، فسافر الى العاصمة البريطانية ثلاثة من اعضائه استجابة لهذا الدعوة ، ولكن ملنر رفض الا مقابلة الزعيم سعد زغلول نفسه والمفاوضة معــه ٠ وامام اصرار ملنر على ذلك والحـاح الوفد جميعا ، اضطر الزعيم اضطرارا الى الســفر والدخول فى مفاوضات مع لورد ملنر ٠

ماذا اقول :مفاوضـــات ؛ كلا ٠٠ انهـا لم تكن مفاوضـــات بمعنى الكلمة ، بل كانت نزاعا مستمرا وصراعا واختلافات فى وجهات النظر باستمرار ، وكان من جانب ملنر ـ شـــيخ المستعمرين ـ لف ودوران وعناد ، ومن جانب الزعيم صراحة وجلاد وجهاد يتجلى ذلك فى هـــذا الكتاب باسلوب جديد فى شكل يوميات سياسية ونفسية ٠

فى مصر كانت الثورة عارمة تتاجج وتنفجر حينا ، ثم هدأت قليـــلا ونارها تحت الرماد حينا بمناسبة تلك المفاوضات ٠

وفى لندن فتحت الثورة جبهة جديدة بزعامة سعد زغلولوجهوده وجهاده ومساعدة اعضاء الوفد ، فضلا عن عدالة القضـــية وتاييد شعب مصر تاييدا اجماعيا لم يسبق له نظير فى التاريخ ٠

لم اشأ ان اسجل باسلوبى الخاص الحقائق والوقائع وكل ما جـرى فى هذه المفاوضات والاتصالات كما يفعل المؤرخون ، مستخدمين اسلوب الانشاء والتلخيص المطول وتجميع الحوادث فى تسلسلها حسب توقيت

وقوعها ،، وانما لجات الى اسلوب اليوميات وجعلتها كاشرطة التسجيل على ما فى ذلك من صعوبة وارهاق واعنات ، وفضلت فى ان اترك هذه المهمة للزعيم سعد زغلول يبرز الحقائق والوقائع ، ويعبر عن افكاره ومشاعره ومطالبه بالفاظه واسلوبه القوى الخاص واعترافاته الكاشفة الفريدة ·

وتركت ملنر كذلك يعبر عما يريد بالفاظه واسلوبه الخشن الخاص وصراحته الاستعمارية المثيرة ·

وكانت مهمتى فى هذا كله مجرد الربط بينها وعرضها كما هى وكما سمعتها وعرفتها مع بعض التحليلات والتعليقات التى رأيتها هنا وهناك حتى يكون موضوع كل جلسة وكل حديث سلسلة متصلة الحلقات كما اراد صاحبها ان تكون ، وبهذا ابرزت كل ما سمعته وسجلته فور خروجى من كل جلسة او مقابلة حتى لا انسى شيئا ، وحتى لا اضطر الى العودة الى الذاكرة بعد اسبوع او اكثر او اقل لاتذكر بعض ما حدث ، وقد تخون الذاكرة فتنسى بعض الجزئيات وتنسى حرارة جو المناقشات والمحادثات والمصادمات ·

بهذا الاسلوب ، اسلوب اليوميات السياسية يصبح القارىء لها يشعر بان الزعيم سعد زغلول ولورد ملنر واعضاء الوفد وعدلى مازالوا جميعا على قيد الحياة يسمع الفاظهم ويعرفهم باساليبهم الخاصة فى التعبير عن افكارهم ومشاعرهم ومطالبهم ، ويراهم كيف يناقشون ويختلفون ويتفقون ، وكيف يتخاصمون ويتحمسون ، بل حتى يكاد يسمع اصواتهم وكيف تتطور الحوادث بين ايديهم وهم يصنعون التاريخ ، وكيف وصلوا الى النتائج التى انتهوا اليها ·

اليست هذه هى الحياة ، اليس هكذا يتصرف الاحياء ؟·

بهذه اليوميات تم ابقاء الماضى حيا او نقله الى الحاضر بكل ما كان فيه من حيوية وحرارة وبكل مزاياه ومظاهره واصبح ابناء هذا الجيل يشعرون وهم يقرأون هذه اليوميات كانهم كانوا معى فى لندن عام ١٩٢٠، يشهدون هذه الاجتماعات والمفاوضات كما شاهدتها ، ويسمعون ويعرفون ما عرفت ، او كان الزعيم سعد زغلول وملنر وعدلى واعضاء الوفد ، مازالوا احياء يعقدون اجتماعاتهم فى بيت الامة او فى قاعة الجامعة فى جلسات مفتوحة يشهدها ابناء هذا الجيل فى عام ١٩٧٥ ·

واخيرا ، احب ان اسجل رايا للمؤرخ الانجليزى الكبير «توينبى» عن الوثائق التاريخية واهمية المذكرات الخاصة واليوميات عن الحوادث الكبرى قال : « كل شىء مكتوب اذا كان يلقى ضوءا على الظروف والحوادث

القضية أو على الانسان او الناس فى الماضى يعتبر وثيقـــة تاريخية .
وتزداد هذه اليوميات اهمية كوثائق اذا كان كاتبهـــا الذى عايش تلك الاحداث وعرف اشخاصها عن كثب ، قد سجل فى الوقت عينـــه وجهة نظرة الشخصية ورايه فيها وفيهم ، لان ذلك يكشـــف العوامل الخفيـة وراء تلك الاحداث والبواعث الحقيقية لرجالها »

ثم قال : « وان من اعظم الوثائق التاريخية اليوميات التى كتبهـــا بيبس فى انجلترا ،.واليوميات التى كتبها الجبرتى فى مصر » .

مايو ١٩٧٥

محمد كامل سليم

الفصل الأول

المفاوضات تبدأ فى لندن

١

كانت ثورة ١٩١٩ ثورة شعبية عارمة كاملة ، شملت كل الطبقات والفئات والافراد ، كان المصريون صفا واحدا فى تضامنهم وتماسكهم ، مسلمين واقباطا ، رجالا ونساء ، شبابا وشيبا ، كتلة متحدة متفجرة ضد الانجليز .. امتلأت الشوارع والطرقات بمظاهرات ضخمة صاخبة من الطلبة والعمال والمثقفين ، وفتح الانجليز المدافع الرشاشة عليهم لتفريقهم ووقف زحفهم ولكن هيهات حتى بعد قتل الآلاف من المتظاهرين .

ثم عمت الاضرابات الى جانب المظاهرات ، فاغلقت جميع المحال التجارية ، وتوقفت كل وسائل المواصلات ، فلا ترام ولا أوتوبيس ولا سيارات اجرة ولا سكك حديدية ولا تلغراف ، واضرب الموظفون وتركوا مكاتبهم يديرها الموظفون الانجليز وحدهم ، وحدثت أعجوبة كبرى بأن صدرت ميزانية الدولة بامضاء المندوب السامى البريطانى .

سالت دماء غزيرة من المصريين بفتك مدافع الانجليز ، وسالت دماء غزيرة من الانجليز قتلهم المصريون فى الشوارع وحيثما وجدوهم ، وعمت أعمال التخريب على أوسع نطاق ، وتجلى للعالم عامة وللحكومة الانجليزية خاصة أن لا سبيل الى التغلب على هذه الثورة الشعبية الهائلة .

نجحت الثورة بعد شهر واحد من انفجارها على هذا الاسلوب الدموى الشامل الذى لفت انظار العالم ومؤتمر السلام فى فرساي .. نجحت فى تحقيق أول أهدافها اذ اضطرت الحكومة البريطانية

الى الأفراج عن الزعيم سعد زغلول وصحبه المنفيين الى مالطة ، والسماح لهم ولبقية الوفد بالسفر الى باريس لعرض قضية البلاد على مؤتمر السلام ، قضـية الغاء الحماية البريطانية واعلان الاستقلال وتحقيق الجلاء وتطبيق مبدأ حق تقرير المصير على مصر .

ثم نجحت الثورة مرة ثانية باجماع المصريين على مقاطعة لجنة ملنر التى جاءت الى مصر بعد ذلك ، بحجة اجراء تحقيق فى أسباب هذه الثورة الكاسحة ، واقتراح النظام الجديد المناسـب لتسوية العلاقات بين مصر وبريطانيا التى خرجت من الحرب العالمية الثانية أقوى دولة فى العالم ، فاضطرت اللجنة الى الخروج من مصر عائدة الى لندن بخفى حنين فقط .. وكانت تأمل أن تخرج بثمرة ايجابية لحل هذه المشكلة العويصة .

ثم نجحت الثورة مرة ثالثة – حين امتنعت لجنة ملنر بعـد المقاطعة الكاملة الرائعة – بالاتصال بالزعيم سـعد زغلول وكيل الامة الموجود فى باريس .

وما كادت تعود اللجنة الى لندن حتى بعثت بمستشارها القضائى لمقابلة الزعيم فى باريس ودعوته للمفاوضة معها فى لندن .

وظل الزعيم يعارض ويعترض على سفره الى لندن ، وأخيرا اضطر الى الموافقة تحت ضغط فريق من أعضـاء الوفد ومعهم عدلى يكن .

وفى يوم ٥ يونيو ١٩٢٠ سافر الزعيم وبقية أعضاء الوفد الى لندن .

اول حديث بين سعد وملنر

وفى يوم ٦ يونيو ذهب الزعيم سعد مع عدلى لزيارة ملنر فى الموعد المحدد ، وبعد تبادل التحيات والسؤال عن الصـحة والسفر وما اليهما من فواتح الحديث عند اللقاء ، انتقل الحديث الى موضوع المسألة المصرية ، وجرى على الوجه الآتى :

ملنر : ان فى مصر نظاما موجودا وتريدون تغييره فجأة ، فما هو النظام الذى تريدون وضعه مكانه ؟

سعد : اننا نريد نظاما برلمانيا تكون الحكومة فيه مصرية مؤلفة من حاكم وبرلمان ووزارة مسئولة امام البرلمان .

ملنر : الا يخشى من حصول اضطراب اذا سحق كل هـــذا التغيير فجاة، فيحدث فى مصر ما حدث فى غيرها من البلاد الشرقية كتركيا مثلا ، وكمـــا حدث فى مصر نفسها ؟

سعد : ان مصر الآن غيرها منذ ٤٠ ســـنة · وقد تقدمت تقدما محسوسا ، ولا يجوز أن تقارن بتركيا ·

ملنر : ولكن هـــذه عـــادة الشرقى لا تستقر فيه مثل هذه الانظمة الغربيـــة طويلا ، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا اليابان

سعد : اذا كانت اليابان قد خرجت من هذه القاعـــدة مع انها لم تكن مهياة لتلك النظم من قبل ، فمصر تكـــون اصلح منها لها ·



اللورد ملنر

ملنر : ان مصر تهمنا كثيرا جدا لا من جهة قنال السويس وحده لان مسالته فى الواقع لا اهمية لهـــا ، ولكن من حيث موقع مصر الجغـــرافى ، فهى من الامبراطوريه البريطانية كموقع القلب من الانسان ، فيهمنا جدا أن تكون هادئة مستقرة منظمة متقدمة حتى لا يحدث لامبراطوريتنا اقل اضطراب من جرائهـــا ، واننا نخشى كثيرا من حدوث اضطراب وعـــدم استقرار فى مصر عند تغيير انظمتها فجاة · وكذلك نخشى ان تعتدى عليها احدى الدول الاخرى مثل ايطاليا او اليونان ، هم حلفاؤنا الآن ولكن من يدرى ، فقـــد ينقلب الحليف عدوا يوما من الايام · هذا من جهة ومن جهة اخرى لا نريد ان يكون للدول ســـفراء فى مصر لانهم يكونون وسائط للدسائس والفتن ، ولهذا نرغب فى ان تعقـــد محالفة بين مصر وبريطانيا ·

سعد : كل هذه المخاوف فى اعتقادى لا مسوغ لها ولا اساس لها وهى قائمة على مجرد فروض وأوهام ، ولا خوف من دسائس اى دولة ، مادامت بريطانيا تعترف بمصرية مصر وسيادتها واستقلالها وتحالفها بعد ذلك ، فان مصر لا يمكن ان تقبل دسائس اعداء بريطانيا • والدسائس كما تدبر بواسطة السفراء يمكن ان تدبر بالوكلاء والقناصل ايضا مادامت الارض صالحة لها ، والدسيسة ترتبط بخلق الرجل وصفته اكثر مما ترتبط بعنوانه ولقبه، ثم لا خوف على مصر من اى اعتداء اجنبى عليها مع وجود المحالفة •

ملنر : ان المحالفة تكون أبدية •

سعد : لا شىء ابدى فى هذه الدنيا • فلا معنى لوضع شاذ لا مثيل له بين الدول المستقلة ، ان المعقول والمقبول أن تكون لمدة معينة قابلة للتجديد •

ملنر : اننا نترك الكلام فى هذه المسائل تفصيلا الى اجتماعاتنا المقبلة ، وهكذا نفعل فى كل مسألة لا يحصل الاتفاق عليها ، نتركها الى النهاية •

سعد : وهو كذلك • ان المسائل مرتبطة بعضها ببعض ، ويكون مجموعها كلا غير منقسم •

ملنر : يحسن أن يكون عدد المتفاوضين من كل جانب صغيرا لانه كلما قل عددهم سهل التداول • وفى رأيى أن يكون منكم ثلاثة ومنا ثلاثة •

سعد : أوافق على ذلك •

ملنر : لماذا انتم ساخطون كل هذا السخط على الحماية ؟ ان الحماية تقتضى دفع التعدى الخارجى ولكنها لا تقتضى شيئا آخر • ونحن نريد أن نترككم أحرارا فى الداخل تفعلون ما تشاءون ولكنا نريد أن نحتفظ بالباقى •

سعد : ان الحماية التى عرفناها هى غير الحماية التى تذكرها الآن ، فالحماية التى عرفناها منكم ووقعت على البلاد آثارها هى التى ترتب عليها أن يعزل الحامى حاكم البلاد الشرعى ويعين آخر بدلا ويعلن الاحكام العرفية ويقيم المحاكم العسكرية ، ويجعل حياة الاهالى واموالهم وشرفهم معلقة بارادة رجل واحد يمثل الدولة الحامية ، وهذه هى الحماية عند التطبيق العملى وهذا ما عرفناه

من خبرة مرة (وهنا شكا الرئيس الى ملنر مما نشرته جريدة التيمس امس : من أن المصريين عدلوا عن طلب الاستقلال التام) ٠

وقال سعد : هل تعرف احدا من المصريين لايطالب بالاستقلال ؟

ملنر : لا ينبغي الالتفات الى اقوال الجرائد ٠ ان كثرة مطالبة المصريين بالاستقلال هي التي ضايقتنا وصحافة مصر سيئة جدا ٠

سعد : لماذا ٠ وكيف وماذا ترتب على سوئها ؟ هل يمكنك ان تعين شيئا محددا حدث منها ؟٠

ملنر : التعدى على الوزراء ، وقتل الابرياء ٠

سعد : ان هذا ليس نتيجة لعمل الصحافة ٠ وانكم لترون في كل بلد من بلاد العالم متحمسين ومتهورين يقتلون السياسيين ويفتكون بالابرياء ، ولا اعرف دولة واحدة خلت من ذلك ، بل حتى في فرنسا وانجلترا نفسها وجد من يعتدى على كلمنصو ، ولويد جورج ، فلا يعيب مصر ان يكون فيها امثال هؤلاء المعتدين ٠ وان الاضطرابات التي حدثت في مصر ، والدماء التي اريقت لم تحصل الا في المظاهرات التي تدخل فيها الجنود البريطانيون اما غيرها فلم يحدث فيها شيء من المكدرات ٠

ملنر : هكذا يزعم بعض الناس في روسيا وفي غيرها من البلاد التي اختل النظام والامن فيها ٠

سعد : لا اعرف ما يجرى في روسيا ، ولكن ما حدث في مصر هو كما وصفت : قتل كثيرون من النساء والرجال والاطفال في اثناء المظاهرات الوطنية ، وعجبت ان يهتم بحياة بعض الافراد ولا يهتم بحياة شعب باكمله ٠ ان كل ما فعلته الجرائد المصرية هو ترديدها المناداة بالاستقلال التام ٠ ولا ارى سوءا في ذلك ولاضررا في ذلك بل اراه واجبا لازما عليها ٠

وهنا غير ملنر موضوع الحديث ، واقترح ان تكون الجلسة الاولى في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ٩ يونيو في وزارة المستعمرات ٠

وانفض الاجتماع ٠

وفي مساء يوم الاثنين ٧ يونية عقد اجتماع بسيط في وزارة المستعمرات : من جميع اعضاء لجنة ملنر وجميع اعضاء الوفد وعلى راسهم الرئيس سعد وذلك للتعارف ٠

بدء المفاوضة بين الوفد ولجنة ملنر

٩ يونيو :

الجلسة الاولى الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر فى وزارة المستعمرات :

مثل الجانب المصرى الزعيم سعد زغلول ومحمد محمود ولطفى السيد وعدلى يكن .

ومثل الجانب البريطانى ملنر ، ورنل ، وود ، وهرست .

جدول اعمال الجلسة ، المسائل الآتية :

١ ــ التحالف بين مصر وبريطانيا .

٢ ــ احتلال بعض الجنود الانجليز لمصر .

٣ ــ ضمان الاصلاحات التى ابتدأت فى مصر منذ اربعين عاما .

٤ ــ ضمان حقوق الاجانب .

ملنر : نريد وضع معاهدة لتحديد العلاقات بين مصر وبريطانيا، على أن تكون معاهدة دفاعية دائمة ، ولكن ربما اشتملت على بعض الشروط المؤقتة .

سعد : المعاهدة الدائمة أو الابدية لا معنى لها ولا محل وانما علينا أن نحدد النواحى التى يجب على مصر أن تساعد بريطانيا فيها . ومقدار هذه المساعدة .

(لم يتقرر شىء فتركت هذه المسألة جانبا) .

ملنر : ان صالح انجلترا فى الشرق يستلزم ان تتخذ من مصر قاعدة حربية لها .

سعد : ليس هذا ممكنا . وانجلترا عندها مواقع كثيرة اخرى تحت يدها .

ملنر : نريد بالقاعدة أن تكون فى جهة معينة كالقنال ، وبصفة مؤقتة . ويهمنا جدا أن نحافظ على القنال ضد اى اعتداء خارجى .

سعد : لماذا لا يكتفى بالجيش المصرى .



عدلى يكن



محمد محمود

ملنر : هذا كلام معقول · ولكن اذا انسحبت الجيوش البريطانية كلها من مصر دفعة واحدة ولم يبق فى القنـــال حارس انجليزى ، احدث ذلك دهشة هائلة فى الراى العام البريطانى ، فاتقاء لهـــذه الدهشة ، نريد رباطا على القنال ومن غير أن يترتب عليـه وعلى وجوده اقل تدخل فى شئون مصر الداخليـــة ، ولا يكون له صفة الاحتلال ·

سعد : هذا الموضوع يحتاج الى جلسة كاملة لمناقشته ·
(فتركت هذه المسالة جانبا) ·

ملنر : يهم انجلترا اكثر من كل شيء ضمان الاصلاحات التى باشرتها مدة أربعين عاما فى مصر والتى رتبت على نفسها المسئولية عنها ، فلا يمكنها التخلى عنها بدون أن تتأكد من استمرارها · فما هى الضمانات التى أعددتموها لذلك ؟

سعد : الضمان الاكيد هو النظام الذى ستكون عليه حكومة مصر (حرة مستقلة دستورية ذات برلمان ووزارة مسئولة امام البرلمان) فهل تريد ضمانا احسن من هذا ؟

ملنر : من الصعب تصور التغيير الفجائى من غير أن يحدث خلل ٠

سعد : هذا شىء لا يصح أن يحسب له حساب ٠ ومسئولياتكم فى هذه الاصلاحات انما هى أمامنا ، ونحن نخليكم منها بمجرد استلامنا لادارة بلادنا ٠

ملنر : لا نريد ان يخرج الموظفون الانجليز من خدمة الحكومة المصرية ضمانا لحسن سير الاعمال وضمانا لتنفيذ المحالفة بين بريطانيا ومصر ٠

سعد : هذه مسالة صعبة جدا بل شىء مستحيل بسبب الكثرة الهائلة فى عدد هؤلاء الموظفين البريطانيين ، فهم جيش عرمرم استولوا على الوظائف الفنية والادارية ، ويمكن الاقتصار على الفنيين الذين لا يمكن الاستغناء عنهم اذا لم يوجد مصريون يحلون محلهم ٠

(لم يتقرر شىء فتركت هذه المسالة جانبا)

ملنر : ان حقوق الاجانب مضمونة بأنظمة الامتيازات ، ولا نرى وجها لتغييرها ٠

سعد : هذه مسالة ستعالجها مصر فيما بعد مع بريطانيا وسائر الدول الاجنبية ٠

(لم يتقرر شىء ٠ فتركت هذه المسالة جانبا)

ملنر : فى الجلسة القادمة سنعالج هذه المسائل بشىء من التفصيل

١٠ يونيو :

الجلسة الثانية الساعة ٣٠ر١١ صباحا بوزارة المستعمرات :

فى المحالفة

عاد ملنر الى الكلام فى مسالة عقد معاهدة لتحديد العلاقات بين بريطانيا ومصر على أن تكون المعاهدة دائمة وبموجبها تتعهد بريطانيا بأن تدفع عن مصر كل غائلة خارجية٠ أمامصر فان شاءت

دافعت عن بريطانيا ، وان شاءت الا تدافع مثـــل كندا ، وان هذه المعاهدة قد تشتمل على شروط مؤقتة ·

وعاد سعد الى القول بأنه لا بأس من المحالفـــة ولكن يلزم أن تكون مبنية على تبادل الالتزامات للطرفين· ومن حيث ان مصر صغيرة بالنسبة لبريطانيا الواسعة المدى والمتراميـــة الاطراف فانه يجب تحديد الجهة التى يجب عليها المساعدة فيها ومقدار هذه المساعدة ، ولا يجوز مطلقا أن تكون المعـــاهدة أبدية ، وذلك لان الدوام فى المعاهدات لم يسبق له مثيل بين الدول المستقلة ، بل يجب ان تكون مؤقتة بزمن محدود قابل للتجديد ·

فى الاحتلال

عاد ملنر الى القول بان بريطانيا لا يمكنها أن تستغنى عن مصر كقاعدة حربية لها مركزة فى جهة معينة منها وهى منطقة قنـــان السويس وبصفة مؤقتة ، وحجته فى ذلك أن المحافظة على قنـــان السويس ضد الاعتداءات الخارجية مسالة حيوية بالنسبة لبريطانيا لانه شريان مواصلات الامبراطورية البريطانية ·

فقال سعد : ان الدول بما فيها انجلترا رأت سنة ١٨٨٨ ان تضع لهذا القنال وللمحافظة عليه نظاما خاصا اكتفت فيـــه بان تدافع مصر عنها ، ولم يحدث من ذلك العهد الى الآن شىء يقتضى تغيير هذا النظام الموضوع والمتفق عليه دوليا ، ولم تتحـــرش اية دولة بتهديده ، والدول التى كان يخشى من غاراتها عليه كتركيا وألمانيا وغيرهما سقطت أو ضعفت أو صـــارت الآن منضـــمة الى حظيرة الحلفاء الذين تتزعمهم بريطانيا ، وفضلا عن ذلك فقـــد أصبحت فوائد القنال عامة للدول جميعا لا تختص به دولة دون أخرى وان كان بينهما تفاوت فى مقدار الانتفاع به ·

فقال ملنر : ان القوة التى تطلبها انما تكون قليلة وبصفة رباط لا لتهديد مصر بل للدفاع عن قنال السويس مع مصر ، ومن غير أن يترتب على هذا الرباط اقل تدخل من جانب بريطانيـــا فى شئون مصر الداخليـــة ومن غير أن يكون له صفة الاحتـــلال ، بل لمجرد حراسته ضد الاجنبى المعتدى ، على أن يكون ذلك برضـــاء مصر وقبولها · وما قبلت بريطانيا الاتفاق الذى حدده اتفاق سنة ١٨٨٨ الا لان بريطانيا كانت محتلة للقطر المصرى كله ·

فرد سعد على ذلك قائلا : انه مادامت القوة المذكـــورة تكون صغيرة وبصفه رباط فانها لا تكفي لدفع الاعتداء الاجنبي حتي لو فرضنا جدلا بامكان وقوعه ، وقلتم انه في حالة الاعتداء ستاتون بقوات أخرى • فلماذا لا يكتفى في وقت السلم بوجود هذا الرباط في الجيش المصرى وحده مادامت مصر وبريطانيا اصبحتا حليفتين بهذه المحالفة المقترحة ؟ صحيح انكم في سنة ١٨٨٨ كنتم محتلين لمصر ولكنكم كنتم في ذلك التاريخ وقبله وبعده تنوون الجلاء عن مصر وقطعتم على انفسكم العهود وكررتم الوعود بهذا الجلاء حتى استقر في اذهان المصريين واذهان الشعوب المختلفة ان هذا الجلاء مسالة وقت ولابد ان لا ريب فيه •

فقال ملنر : هذا كلام معقول ووجيه • ولكن اذا انسحبت الجيوش البريطانية كلها من مصر دفعة واحدة ولم يبق في القنــال حارس انجليزى ، احدث ذلك دهشة بل وذهولا عند الامة الانجليزية وفي الرأى العام ، فاتقاء لإخطار هذا الذهول ونتائجه نريد وضع هذا الرباط •

فقال سعد : آسف لا يمكننا مطلقا الموافقة على ذلك • لان الجلاء مطلب اساسى من مطالبنا ، وقد قطعتم العهود والمواثيق بتحقيقه ، والآن نطالبكم بتحقيق هذه الوعود والعهود •

(وهنا لم يتقرر شيء مرة أخرى • وانتقل الكلام في الموضوع الثالث حول ضمان الإصلاحات التى باشرتهـــا بريطانيا في مصر مدة أربعين عاما أو بعبارة أصرح مسالة الموظفين البريطانيين الذين في خدمة الحكومة المصرية •

مسالة الموظفين البريطانيين

قال ملنر : يهم بريطانيا اكثر من اى شيء ضـــمان الاصلاحات التي باشرتها في مصر مدة ٤٠ سنة والتى اخذت على نفسها بقاءها ولا يمكن لبريطانيا أن تتخلى عنها بدون أن تتاكد من استمرارها ، فما هي الضمانات التى أعددتموها لذلك ؟•

سعد : سبق أن طرح هذا الموضوع • وسبق ان اجبت عنه ، وأزيد الآن فاقول ان هدف الاصلاحات يجب أن يهم مصر اكثر مما يهم بريطانيا لان اثرها الطبيعى منصب على مصر أولا وأخيرا • ورأى ضماننا احســن من أن يكون لمصر نظام ديمقراطى برلمانى ووزارة

مسئولة أمام البرلمان . فهل تريدون أن يكون لكم اشراف ومراقبة على هذا النظام البرلماني ؟.

ملنر : كلا ، وانما الضمان الاكيد هو فى بقاء الموظفين الانجليز واستمرارهم فى خدمة الحكومة المصرية حتى يبقى اتجاه الادارة المصرية كما هو الآن بدون تحول ، ولهذا يكون من الضرورى وجود عدد من الانجليز يعينون فى وظائف خاصـــة باتفاق الحكومتين الانجليزية والمصرية . وسيكون عددهم أقل ما يمكن لكى يعاونوا الحكومة المصرية بخبرتهم وكفاءاتهـــم على القيام بواجبـــاتها ومسئولياتها ، وبحسب ما أراه يلزم أن يكون فى المالية مستشار مالى تكون له سلطة قاطعة فى مسائل الدين العمومى فقط والتى لا يجوز أن تكون موضع بحث فى الهيئة النيابية المصرية هذه وبعض مسائل أخرى كمرتبات الحاكم . وأما فيما عدا ذلك فرأيه استشارى بمعنى الكلمة . هذا ويكون بالداخلية موظف انجليزى كبير لادارة الامن العام بالنسبة للاجانب بصفة خاصة .وأن يكون فى الحربية ضابط بريطانى كبير بصفة رئيس أركان الحرب .

سعد : ان مصر لا يمكن أن توافق على هذا ، لانه احتلال مدنى شامل ، واشتراك لبريطانيا مع مصر فى السيادة الداخلية . ولا يتفق هذا بحال مع الاستقلال . نعم ان مصر محتاجة الى مساعدة الخبراء الاجانب فى بعض الشئون ، ولكنهـــا غير محتاجة الى حكام اجانب عنها ، وعند احتياجها الى خبراء لا تتردد فى البحث عنهم وتعينهم فى الوظائف المحتاجة اليهم فيها ليكونوا معينين لها بخبرتهم ، لا حكاما عليها بسلطتهم . ولا نفهم اى ارتباط بين كفاءة الشخص والسلطة التى يرتكن عليهـــا فى أداء وظيفته . فالكفء لوظيفته لا يقلل من كفـــاءته ان يكون تابعا فى وظيفته للسلطة المصرية بدلا من السلطة البريطانية . ولا يخفى عليك أن المصريين ينفرون كل النفور من فكرة أن يكون معاونوهم حكاما عليهم بتأييد حرياتهم . ولقد أدار محمد على مصر بمهارة فائقة اذ أمكنه أن ينتخب (رغم أميته) من احتاج اليهم من الفنيين الاجانب، فعاونوه على ادارة مصر أحسن معاونة ، وانتجت معاونتهم له أفيد النتائج، مع انهم لم يكونوا مستمدين سلطتهم الا منه شخصيا لا من الدول التابعين لها . فلماذا يستكثر على مصر المتعلمة الراقية الآن ، وقد خطت خطوات واسعة فى سبيل المدنية ، أن يكون لها الحق والقدرة على انتخاب من قد تحتاج اليهم من الاخصائيين الاجانب .

ملنر : (سكت دقيقة أو دقيقتين) وقال : أن الرأى العام فى بريطانيا يصيبه الذهول لا محالة اذا نحن وافقنا على التخلى عن ادارة مصر دفعة واحدة بسحبنا الموظفين الانجليز منهـا ، وانتم تعلمون انهم موجودون فى جميع الوزارات والمصالح ويؤدون لمصر أجل الخدمات .

سعد : يجب التمييز بين الوظائف التى يطلب حفظها للانجليز ولا يشغلها الا الانجليز ، ويكون التعيين فيهـا باتفاق الحكومتين ويمكن تسميتها « بوظائف مختلفة » ، وبين بقيـه الوظائف التى يشغلها الانجليز الموجودون الآن فى خدمة الحكومة المصرية .

اما بالنسـبة للنوع الاول من الوظائف فان مصر لا يمكن أن تقبلها مهما قل عددها لان العبرة فيها بالصفة لابالعدد . ووجودها بأى عدد كان ماس بالسيادة الداخلية ومخل كل الاخلال بالاستقلال لان الاشتراك فعلى فى السيادة الداخلية .

وأما النوع الثانى فان مصر مستعدة أن تعامل بكرم وسخاء كل من يرغب فى ترك وظيفته من الموظفـين الانجليز ، وكل من ترى الحكومة المصرية الاستغناء عن خدماته . وذلك فيما يختص بحقه فى المكافاة أو المعاش على حسب الوضع الذى هو فيـه ، وطبقا للقوانين واللوائح المعمول بها . وأما من يبقى فى وظيفتـه ، ولا تستغنى الحكومة المصرية عن خدمته فانه يبقى فيها بصفة كونه موظفا كفئا مصريا، ولا يخرج من وظيفته الا بناء على الاسباب التى تقضى بفصل الموظفين المصريين من وظائفهم . وبهـذه الطريقة لا يكون هناك محل للدهشة أو الذهول ، وكذلك يؤمن جانب المخاوف التى تبدونها .

ملنر : يمكن الآن أن نترك هذا الموضوع الى موضوع آخر لان الساعة متأخرة الان ثم رفعت الجلسة على أن تعقد الجلسة التالية يوم ١٢ الساعة ١٠ر٣٠ صباحا بوزارة المستعمرات ايضا .

الخطة التى جرى عليها الوفد فى مفاوضـه لجنة ملنر قامت على أساسين :

الاول : أن يعين لمهمة المفاوضة الفعلية مع الرئيس سعد اثنان هما محمد محمود ولطفى السيد .

والثانى : أن يجتمع الوفد يوميا للمذاكرة والتشاور فى حجرة الاستقبال فى فندق كارليتون ، وهى حجرة مجاورة لحجـرة نوم

الرئيس ، ولم يتخلف عدلى مرة واحدة عن حضـــور الاجتماعات والاشتراك فيها · وفى هذه الاجتماعات كان المفاوضون يعرضون ما سمعوه وما قالوه ثم يتداولون فى المسائل التى ستعرض فى الجلسة التالية ، وذلك ليعـــرف المتفاوضون رأى زملائهـــم فى تفصيلاتها ، وما يجوز لهم أن يقبلوه من المطالب ، وما يجب عليهم رفضه منها ·

هذا وقد عقد بين الوفد ولجنة ملنر سبع جلسات بحضور عدلى حتى الآن ، الاولى فى ٩ يونيو والاخيرة فى ٥ يوليو ·

وقد لخصت حتى الآن كل ما دار فى الجلستين الاولى والثانية ·

والآن ألخص كل مادار فى الجلسات التالية دفعة واحدة حتى تكون الموضوعات متصلة الحلقات ويسهل فهمها وتتبعها ·

حقوق الاجانب والامتيازات الاجنبية

قال ملنر : ان الحكومة البريطانية مستعدة بصفة كونها حليفــة لمصر أن تبذل نفوذها مع الدول الاجنبية وتسعى الى حملها على قبول رعاياها الاجانب فى مصر أن يشـــتركوا فى دفع الضرائب أسوة بالمصريين ، وانه ينبغى أن تلغى الامتيـــازات الاجنبية لان وجودها معطل لكثير من المشروعات المصرية والمصـــالح الحيوية للبلاد · وقد يغرى هذه الدول الاجنبيـــة على الموافقة على هذه التغييرات السابقة ، والنزول عن الامتيازات التى يتمتع بها رعاياها فى مصر اذا اقترحت بريطانيا أن تحل محلها فيهـــا حتى تطمئن هذه الدول على أن لا ظلم يقع على رعاياها فى المستقبل · وفى الوقت عينه تكون بريطانيا الحليفة أكبر ساعد لمصر فى مســائل التشريع والضرائب · وفى ذلك أيضـــا اختصار للمجهودات وللطريق · فبدلا من أن تتفاوض مصر مع ست عشرة دولة عند وضع أى تشريع يمس الاجانب ، فانها تتفاهم مع بريطانيا مباشرة وتنال موافقتها فورا ويحل كل اشكال ·

سعد : اذا كان المراد بالغاء الامتيازات الاجنبية تطبيق القوانين المصرية على الاجانب كما تطبق على الوطنيين · وأن القاضى الاهلى يقضى فى قضايا الاجانب كما يقضى فى قضـــايا المصريين ، فذلك ما نبغيه ونرجو السعى فيه ·

أما اذا كان الغاؤها بمعنى تحويل السلطة فيها من أيد كثيرة الى يد واحدة فهذا لا فائدة لنا فيه ، ولا يعتـــبر الغاء للامتيـــازات

الاجنبية ، بل اقامة سلطة جديدة لبريطانيا فى مصر تتمكن بموجبها من التدخل فى شئون التشريع والقضاء الخاص بالاجانب ، وهذا اشتراك فى السيادة الداخلية لا تقبله مصر لان فيه اخلالا خطيرا بالاستقلال ٠

واظن ان الوقت قد حان لان يقبل الاجانب ان القوانين الجنائية والمدنية التى تضعها الحكومة المصرية تطبق عليهم كما تطبق على الوطنيين ٠

ملنر : سننظر فى ذلك فيما بعد ٠

فى التمثيل الخارجى والداخلى

ملنر : ان أساس الاتفاق الذى نريد عقده هو المحالفة مع مصر ٠ وبريطانيا لاتقبل بحال من الاحوال أن تعقد مصر مع اية دولة اخرى معاهدة تخل بهذا التحالف ٠ اما المعاهدات التجارية والاقتصادية فلمصر الحرية فى عقدها ، ولا تقبل بريطانيا أن يكون مقام ممثلها فى مصر مساويا لمقام ممثلى غيرها من الدول الاخرى ، بل يجب أن يكون له مقام ممتاز فيها ، ولا محل لان يمثل الدول الاجنبية سفراء ولا وزراء ، لان هؤلاء لا يكون لهم عمل الا بث الدسائس وتحريك الفتن ضد بريطانيا ٠ ولهذا لا نرى فائدة لمصر أن يكون لها ممثلون فى الخارج اللهم الا فى انجلترا ومصر لم يكن لها فى الماضى ممثلون ، ولم تحاول أن يكون لها ممثلون ، بل لم تظهر لها اية رغبة فى ذلك لانها لم تشعر بالحاجة اليه فلا معنى لان يكونوا الآن لها ٠

سعد : ان المعاهدة او المحالفة انما تتأسس على استقلال مصر، اذ لا معنى لان يتحالف متبوع مع تابع ٠ وللاستقلال مظهران ، مظهر داخلى يتجلى فى وجود حياة برلمانية حرة ووزارة مسئولة امام البرلمان ٠ ومظهر خارجى يتجلى فى وجود ممثلين سياسيين للدولة فى الخارج ويكون للدول ممثلون سياسيون عندها ، فاذا انعدم التمثيل السياسى لم تكن الدولة مستقلة بل كانت تابعة ٠

ملنر : ان تركيا اعترفت بحمايتنا ، وتنازلت عن جميع حقوقها فى مصر لنا ٠

لطفى السيد : ان اعتراف تركيا بالحماية لا يؤثر شيئا مع عدم رضاء مصر بها ، وحقوق تركيا ليست قابلة للانتقال الى دولة اخرى ، بل اذا انتقلت عنها فلا تصل الى غير مصر ٠

ملنر : انا لااستطيع أن اقبل مناقشة فى هذا الموضوع ولاأعترف بهذه النظرية ·

عدلي : ليس من المفهوم أن تحرم مصر من التمثيل الخارجى ثم تكون مستقلة ، وهى تبحث عنه من زمان طويل · فقد كان الخديو اسماعيل باشا يشتغل له بجد وسعى فيه شريف باشا بعد الاحتلال، فاذا كانت مصر قد سكتت عنه زمانا طويلا فلم يكن ذلك عن زهد فيه أو رغبة عنه وانما كان لانها غير قادرة عليه · والآن يهمها أن تحيا حياة كريمة ، حياة الامم الاخرى وان تقف على أحوالها بواسطة وكلائها لكى تتمكن بما يقدمونه لها من المعلومات من عقد المعاهدات التجارية والاقتصادية وغيرها بحسب ما تراه موافقا لصالحها ومادمتم سلمتم بأن لها لهاعقد مثل هذه المعاهدات· فمن الضرورى تمكينها من الوسائل التى تساعدها على أن تستعمل هذا الحق استعمالا مفيدا · وفضلا عن هذا فان فى تمثيلها فىالخارج شرفا تريد أن يكون لها · وترى نفسها منحطة عن درجتها اذا هى حرمت من هذا الشرف · ولا يمكن لمصر كما لا يمكن لى شخصيا قبول ذلك اذ لا يتأتى الاقناع بنيل الاستقلال مع وجود هذا الحرمان ·

سعد : أريد أن أضيف كلمة موجزة على ما قاله عدلى باشا ، وهى انه لا محل فى الخوف مطلقا من الدسائس الاجنبية ومادامت بريطانيا قد اعترفت لمصر باستقلالها واتفقت معها اتفاقا ترضاه اذ يجد المصريون حينذاك أن من مصلحتهم مصافاتها ومصادقتها ·

ملنر : هذه مسالة صعبة تهدد الاتفاقية ويجب ان اتامل فيها ، وأستشير فيها أعضاء اللجنة وآخرين ولهـذا يلزم تاجيل النظر فيها الى أمد بعيد ، يحسن أن يكون يوم الثلاثاء القادم فى الساعة الرابعة بعد الظهر · فتم الاتفاق على ذلك ·

وقبيل الانصراف ، التفت ملنر الى سعد وقال له : « هل عندكم أخبار من مصر ؟

سعد : لاشىء الا الشكوى المتزايدة من ضغط المراقبه وتضييقها الخناق على مراسلات الناس وما تنشره الجـرائد ، حتى صرت أسائل نفسى عما اذا كان من الحكمه أن اتفاوض هنا معكم فى جو من المسالمة والمجاملة ، وبلادى تتعذب وفى كرب شـديد من هذه



احمد لطفى السيد

المراقبـــة · فلا انا قادر على ابلاغهم ما أريد ولا هم قادرون على ابلاغي افكارهم ومشاعرهم سوى الشـــكوى المتكررة من الرقابة ·

وهنـــا سكت ملنر واغمض عينيه ، وهذه هى عادته عنـد الغضب ، فقد عرف عنه أنه لا يثور ولايظهر غضبه الاباغماض عينيه قليلا وهو هادئ الظاهر ساكن ساكت ، ثم يفتح عينيـه ويبتسم ويقول : سأنظر فى هذه المسألة ·

وهذا بالضبط ما حصل

لم تعقد جلسة المفاوضـــة الثالثة فى موعدها الذى تحدد «بيوم الثلاثاء» ، وتأجل الموعد مرة بعد مرة بحجة اشـتغال ملنر بمسائل هامة ·

التمثيل السياسى مرة ثانية

وأخيرا عقدت الجلسة فى ٢١ يونيه بوزارة المستعمرات ·

ملنر : قد استشرت زملائى فى اللجنـــة فى مسألة التمثيـــل السياسى واتفقوا على عدم قبوله بنوعيه : الخارجى والداخلى : أما الداخلى فلأن ممثلى الدول الاجنبيـــة فى مصر لا يكونون الا وسائل لبث الدسائس واثارة الفتن فى مصر · وأما فى الخـــارج فلأن ممثلى مصر لا يكونون الا وسطاء فى التدبيرات السيئة ضد بريطانيا · ولهذا اتفقت كلمة أعضاء اللجنة على الا يشيروا على الحكومة البريطانية بقبول التمثيل بنوعيـــه اللهم أن يكون لمصر مندوب سام فى بريطانيا ·

(ألقى ملنر هذه العبارات باللغة الانجليزية قائلا انه يود الكلام

بلغته فى هذه المسألة الدقيقة الخطيرة ، وحتى يستطيع التعبير عن كل ما فى نفسه) ٠

سعد : ليس من المفهوم أن تكون مصر مستقلة من غير أن يكون لها فى الخارج ممثلون ولا أن يكون للدول الاجنبيــة لديها أيضا ممثلون ٠ ولا يمكن التوفيق بين الاستقلال الذى هو أساس المحالفة، وعدم التمثيل الذى اتفقتم عليه فى لجنتكم فهل تعرفون دولة مستقلة حالها كحال مصر ، مستقلة ومحرومة من التمثيل ؟ أم تريدون أن تكون المحالفه بين تابع ومتبوع ؟

ملنر : سفراء بريطانيا فى الخارج يمكنهم أن ينوبوا عن مصر فى شئونها ، وحينذاك تكون مصر ممثلة فى الخارج ، وحاجتها من التمثيل مكتفية فضلا عما ستوفره مصر من المصاريف الطائلة التى تثقل كاهلها فى هذا السبيل لو كان لها ممثلون من أبنائها ٠

سعد : ان الاستقلال يجب أن ينتج نتائجــــه الطبيعية التى من أخصها وأبرزها التمثيل بنوعيه ، وعدمه انما هو مظهر من مظاهر الحماية التى لا تقبلها مصر بحال من الاحوال مهما أعطى لها من الاسماء والالوان والاشكال ٠

محمد محمود : ان الشعب المصرى يدوسنا بالاقدام اذا رضينا لمصر بعدم التمثيل ، ولا محل للمخاوف التى تساوركم من جانب نواب الدول عندنا ٠ ولو فرضنا جدلا انهم يميلون الى الدسائس فان عملهم لن يروج عندنا لاننا نكون أحرص الناس على الاعراض عنها ، بل وقمعها واحباطها ٠

سعد : ان بريطانيا عنــــدما تعترف باستقلال مصر ســيعتبرها المصريون صديقة لهم وعونا على رقيهم ، فلا يصــــغون الى كلام ضدها ولا يسلكون سبيلا يضرها ٠

ملنر : اننا لا نخشى منكم أنتم ، وانما نخشى ممن يخلفكم ولا ينظر الى الامور نظرتكم ، ويجب عند الاتفاق الاحتراس والاحتياط التام وافتراض من تلزم الخشية منه وتفادى كل ما يمكن أن يأتى به ٠

سعد : ان الاخذ بهذا المبدأ أولى بنا منكم ، لاننا ضعاف وأنتم الاقوياء ٠ والضعيف هو الذى يلزمه الاحتراس من القوى ٠ وأما القوى فحارسه القوة ٠ ولكم القوة فى كل مكان فى البر والبحر والهواء ، وبجوارنا فلسطين التى تحتلونها وتقيمون فيهــا ، فما الذى تخشونه بعد ذلك ٠

ملنر : اننا لا نخشى على مصالحنا وانما نشفق عليكم أنتم ٠

سعد : نشكركم على هذا الاشفاق الكريم الرحيم ٠ ولكنا أشفق على أنفسنا منكم٠ ويؤلمنا أن نعارض رغبات أمتنا باسم مصلحتها٠ وتصادر أمانيها بحجة الاشفاق عليها ، ووجه الالم أن مصر تشعر من هذا بأنها غير مقدرة ندرها ٠ وانها معتبرة غير أهل لمعرفه مصلحتها وما ينفعها وما يضرها ، وهو حكم قاس يحق لها أن تتألم منه وتشكوه ٠ ان لكم أن تدافعوا عن مصالح بريطانيا وتتكلموا باسم هذه المصالح ، ولكن الدفاع عن مصر ومصالحها ينبغي أن يترك لمصر وممثليها لانهم أعرف بهذه المصالح ٠ وماسلب المصريون عقولهم حتى يتركوا ما ينفعهم الى ما يضرهم ، ويسعوا خلف من لم ينفعهم من الدول ضد من انتفعوا بمعونتها ، واستفادوا من صداقتها ٠ انهم وان كانوا ضعفاء ماديا فلهم عقول تدرك منافعهم ومضارهم ٠

ملنر : هذا واضح وصحيح ٠ ولكن ما هو العمل الذى سيباشره ممثلو مصر فى الخارج ؟

لطفى السيد : ان عملهم يكون الوقوف على حركات العالم وتطوراته وتقدمه وأحوال التجارة والصناعة فيه ، ولوازم المصريين النازلين فى الجهات المختلفة وما يقع من الحوادث مما يكون له ارتباط بشئون مصر ، وما الى ذلك من أعمال ممثلى كل دولة لدى الدول الاخرى ٠

عدلى : سيكون للدول بطبيعة الحال قناصل فى كل جهة من الجهات المهمة فى مصر ٠ وقناصل كل دولة يرجعون بطبيعة الحال الى رئيس لهم ، فماذا تكون صفة هذا الرئيس ؟

ملنر : ان قناصل الدولة يرجعون الى قنصل جنرال أى قنصل عام ٠ وفى الشئون التى يجب الرجوع فيها الى السلطة المحلية يرفعون الامر الى وزير الخارجية المصرية ٠

عدلى : اذن لماذا لا يكون رئيس القناصل وزيرا ؟ انى أرى كونه غير وزير أمرا نظريا لا عمليا والدسائس المخوف منها ، يمكن أن يباشرها أى موظف أجنبى فى هذه القنصليات مهما انحطت مرتبته وصغر شأنه ٠

لطفى السيد : ان نواب الدول فى مصر وزراء الى الآن ، فاذا نزلوا عن هذه الدرجة كان ذلك تنقيصا لمقامهم عما هو عليه حتى بعد الحماية مع أن المنتظر أن يكون أكبر ٠

ملنر : انى رجل عملى · ولهذا أرى أن نواب الدول اذا كانوا سياسيين فانهم يميلون الى الاشتغال بالسياسة ، واذا لم يجدوا عملا سياسيا خلقوه · وبناء عليه أرى أن وجود نواب لمصر فى الخارج أقل صعوبة من أن يكون للدول ممثلون لها فى مصر · ولا يستطيع انسان أن ينكر أن من الحكمة السعى فى تقليل فرص تلك الدسائس ، ومما يساعد على الوصول الى هذه الغـاية مسألة الامتيازات الاجنبية ، وحصر المحافظة عليها فى يد واحـدة هى بريطانيا الحليفة لمصر · فان هـذا الحصر يقلل علاقة الاجانب بحكومة مصر ، ومن الممكن أن تعطى مصر حق فرض الضرائب على الاجانب والتشريع لهم ، ويكون حالهم كحال الوطنيين تماما بشرط أن يكون لمعتمد بريطانيا الحق فى وقف تنفيذ القوانين التى لاتكون عادلة بالنسبة للاجانب مع بيان أسـباب هذا الوقف ، وأن يكون لبريطانيا الحق كذلك فى التصديق على الانظمة القضائية الخاصة بالاجانب ·

سعد : اننا نعـترف بأن الامتيازات الاجنبيـة مضرة بمصر ، ونريد الغاءها ونشكركم اذا ساعدتمونا على الخلاص منها حتى يصبح التشريع والقضاء للمصريين والاجانب على السواء ، ولكن ما تقترحونه الآن ليس الغاء للامتيازات الاجنبية وانما هو محافظة عليها وتركيزها فى يد انجلترا وحدها ، وهذا لا ينفعنا فى شىء ·

ملنر : ليس من وظيفة القاضى النظر فيما اذا كان القانون عادلا أو غير عادل ، ولكن له حق تفسيره فقط ·

سعد : هذا صحيح ، ولكن له الحق أيضا فيما اذا كانت شروط تطبيقه على موضوع مستوفاة أولا ، على أن وضع هذا الحق فى يد المعتمد البريطانى السياسى يجعله خاضعا للسياسة وبواعثها ثم انه متى يستعمل هذا الحق ؟ أقبل صدور القانون أم بعده ؟·

ملنر : انه يستطيع أن يعرفها ·

سعد : يعرفها كما يعرفها سائر القناصل ·

ملنر : لا · ان المعتمد البريطانى ليس كغـيره من المعتمـدين السياسيين بل يلزم أن يكون ممتازا عنهم · ثم سـأل : هل يكون لمصر ممثل فى جهة لا يكون لها مصلحة فيها ؟·

سعد : طبعا لا ··

ملنر : هل فى هذه الحالة يمكنها أن تنيب عنها السفير البريطانى؟·

سعد : لا مانع · ولكن نحن الآن فى حدود التمثيل السياسى لمصر لا بصدد الامتيازات الاجنبية ·

ملنر : مازلت أقول ان مسألة التمثيل السياسى فى غاية الصعوبة، والاحسن الآن تركها ·

سعد : ولكن نحن جميعا اكدنا لكم مرارا انها مسألة اساسية، واذا كنتم قابلين لها مبدئيا على شروط خاصة ، فلا بأس من بحث هذه الشروط والا كان التأجيل لها عبثا لا طائل تحته ·

ملنر : يلزمنى أن ارجع فيها مرة أخرى وأعيد الاستشارة ·

سعد : لقد طال علينا الامد ، وقد مضت مدة طويلة للمراجعة والاستشارة ، ومازلنا حيث كنا ·

ملنر : (فى شىء من الانفعال) اننا راجعنا واستشرنا ولكن من راجعناهم واستشرناهم رفضوا قبول التمثيل ، ونريد الآن نظرا لتمسككم به كل هذا التمسك نريد أن نعيد الكرة فى المراجعة والاستشارة عسى أن يوافقوا . وهذا يحتاج الى مدة من ثلاثة أيام الى أربعة ·

فوافق سعد ·

وقبل انتهاء الجلسة قال ملنر وماذا ترون فى عنوان نائب الملك فى مصر ؟

سعد : اننا لانريد أن يكون له العنوان الحالى (مندوب سامى) أو لقب مقيم لان كلا منهما يشعر بالحماية · ونحن نريد أن تذهب الحماية الى غير رجعة وبكل اثر لها ·

ملنر : نتناقش فى هذا الموضوع فى جلسة قادمة ·

ورفعت الجلسة ولم يحدد للجلسة القادمة ميعاد، وستكون جلسة خطيرة جدا يبت فيها فى مصير مسألة التمثيل السياسى الخارجى والداخلى ، بل يبت فيها فى مصير المفاوضات كلها هل تستمر أو تقطع ·

التمثيل السياسى ــ مرة ثالثة

هل يقبل ملنر ولجنته حق مصر فى التمثيل السياسى فتستمر المفاوضات ؟ أو هل يرفض ملنر ولجنته هذا الحق لمصر فتنقطع

المفاوضات معه ويعود الوفد الى باريس ؟ أو هل يرجىء البت فيه. يطلب الانتقال بالمناقشة الى موضوع آخر ؟· وماهو العذر الذى يبديه فى حالة طلب التأجيل ويقنع الوفد بجـــدوى الاستمرار فى المفاوضات ؟ هذه هى الاسئلة التى كانت فى كل فكر وظهرت على كل لسان ·

ملنر فى الجلسة الماضية حدد ثلاثة ايام او اربعة لاتمام استئناف مشاوراته فى هذا الموضوع مع أعضاء لجنته ومع زملائه الوزراء ·

وانقضت الايام الاربعة وانتصف اليوم الخامس وسعد وعدلى واعضاء الوفد جميعا مجتمعون وينتظرون · مكامـلة بالتليفون او رسالة مكتوبة ، لا هذه ولا تلك ، هل هناك ازمة ، او مجرد مظاهر أزمة ؟·

الرئيس سعد غاضب ثائر هائج حانق يريد العودة الى باريس فورا محافظة على الكرامة ·

وعدلى واعضاء الاكثرية المعروفة يهدئون ويصابرون ويؤملون وينتظرون ·

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر هذا اليوم الخــامس حضر الى مكتبى مستر ولرند ــ الانجليزى الاعـــرج صديق ملنر وصـديق عدلى وصديق معظم أعضاء الوفد وقال لى انه يحمـــل رسالة شفوية من لورد ملنر الى الرئيس سعد باشا : فسألته جادا « قبول أو رفض ؟ » فضحك وقال مازحــا : « لا أقول لك لانك لم تدعنى للغداء معك حتى الآن » ·

ومستر ولرند هذا ـ انجليزى أعرج خفيف الدم حلو « الثأثأة » ويستغلها أحسن استغلال ، تزيد معه عنـــد الحاجة الى التفكير اثناء الكلام وتخف حتى لا تراها ولا تسمعها عندما تكون الفكرة واضحة امامه فيعبر عنها فى وضوح ويسر ومن غير « تأتأة » ولا فأفأة ، واعرف أن ســـعدا يحبه ويستلطفه ويمزح معـــه كثيرا بالفرنسية التى يعرفها جيدا ·

دخلت على الرئيس وصحبه فى حجرة الاجتماع وابلغتهم بمقدم « ولرند » فشاع فى الجو هدوء غـــريب بعد أن كانت المناقشات محتدمة ومحتدة ، والوجوه عابسة مقطبة ، فانبسطت الاسارير

وصدر الاذن فورا بدخول الزائر المرتقب بفارغ الصبر · وصحبته الى داخل حجرة الاجتماع ، ولم ينس أن يسلم باليد عليهم جميعا واحدا واحدا على الطريقة المصرية بادئا بسعد ثم عدلى ثم باقى الاعضاء سائلا عن الصحة والعافية كانهما عنده من أعز الامانى ثم قال : « ان لورد ملنر أرسله ليعتذر عن التأخير حتى الآن ويرجو عقد اجتماع مع المفاوضين المصريين فى الساعة الخامسة من مساء اليوم فى وزارة المستعمرات . فاذا لم يكن الموعد ملائما لقرب تحديده فيمكن أن يكون الاجتماع غدا فى الساعة العاشرة صباحا » ·

فكان الاجماع أن يكون الاجتماع فى الساعة الخامسة بعد الظهر ·

ثم أخذ عدلى يمزح معه بكلمات خفيفة ، وقبيل انصراف المجتمعين سلم باليد مرة ثانية وهمس بكلام فى أذن الرئيس سعد : فضحك الرئيس وسلم عليه وانصرف . وبعد انصرافه سأل الاعضاء رئيسهم : « خير ان شاء الله » ·

فقال الرئيس ان هذا الاعرج خفيف لطيف اذ قال · « لا تعكر صفوك : كل شىء سيتحسن فى النهاية » · فتفاءل الحاضرون بذلك واستبشروا خيرا · ·

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر كان الرئيس سعد وصاحباه : محمد محمود ولطفى السيد فى وزارة المستعمرات مع ملنر وقد سبقهم اليه عدلى · وانتظم الاجتماع ·

قال ملنر : (مبتسما) ان مصر حرة فى التمثيل الخارجى والداخلى ، ولكن لا أرى حاجة الى النص على ذلك فى المعاهدة ، لأن التمثيل السياسى نتيجة طبيعية للاستقلال ، فانفرجت الازمة وانبسطت الاسارير وساد الابتسام والسلام ·

وفى هذا الجو الهادىء الباسم رفعت الجلسة لتعقد فى اليوم التالى صباحا فى الساعة العاشرة بعد أن اتفقوا على الموضوعات التى سيتناولها البحث والمناقشة ·

الفصل الثانى

خبر فاجع..
وبدء العاصفة

اول يوليو ١٩٢٠ :

وردت برقية طويلة جدا من مصطفى النحاس ظهر اليوم تحمل انباء القبض على عبد الرحمن فهمى بك السكرتير العام للجنة المركزية للوفد · والشخصية القوية الممتازة المنظمة للحركة الوطنية فى مصر ، والذى لا يمكن ان يملأ مكانه بعد اعتقاله فرد . ولاجماعة ، ذلك لانه كما اعرفه شعلة ذكاء وشخصية قوية حازمة بارعة فى التنظيم وصوته القوى الجهورى يكشف عن نفس تعودت ان تملى ارادتها وتدرك ما تريد · فوقع خبر القبض كالصاعقة على الرئيس سعد ، وعلى جميع اعضاء الوفد · وصدمنى صدمة مدوخة وانتشر فى جو حجرة الاجتماعات هنا غضب وغيظ وسخط وسوء ظن بالانجليز · .

وبعد قليل وردت برقية اخرى تحمل اسماء سبعة وعشرين مصريا اخرين من زعماء الطلبة وهم : ابراهيم عبد الهادى طالب حقوق . ومحمد عبد الرحمن الجديلى خريج مدرسة القضاء الشرعى · عبد الحليم عابدين طالب حقوق · على هنداوى طالب بالازهر · حسنى الشنتناوى طالب ثانوى · توفيق صليب طالب بمدرسة الاقباط · محمد حلمى الجيار طالب طب وكامل احمد ثابت وكامل جرجس عبد الشهيد الطالبين بالحقوق · ومحمود عبد السلام مدرس · كامل احمد ثابت خريج الحقوق · ومحمد ابراهيم سليمان



مصطفى النحاس   عبد الرحمن فهمى

طالب بمعهد الاسكندرية ، وياقوت عبد النبى وعبد العزيز حسن هندى طالبين فى الثانوى • وقرياقص ميخائيل صحفى ومحمد حسن البشبيشى المحامى ومحمد المصيلحى طالب بالجامع الاحمدى وعازر غبريال • وناشد غبريال وأنيس سليمان عامل بالسكك الحديدية ، وصالح شلبى ومحمد الميرغنى النجار وحافظ محمود ومنير جرجس عبد الشهيد طالب بمدرسة الاقباط ومحمد سامى سكرتير الامير محمد داود ومحمد لطفى السلمى •

التهمة خلع السلطان والتحريض على القتل

وبهذا يكون عدد المقبوض عليهم ثمانية وعشرين • والتهمة الموجهة اليهم وهى محاولة خلع السلطان وقلب الحكومة والتحريض على القتل والعصيان • والاتهام قائم على شهادة شخص واحد

يدعى عبد الظاهر السمالوطى قيل انه كان ضمن أعضاء الجمعية وخانهم وأفشى سرهم وأبلغ السلطات عنهم • والواقع انه جاسوس مأجور •

هذه هى ترجمة البرقيتين الواردتين من مصر فى هـــذا اليوم الاسود •

أشد الناس غضبا وسخطا وحزنا وغيظا وانفعالا نفسيا عنيفا هو الرئيس سعد زغلول ، والاعضاء هنـــا يحاولون تهدئته وهو لا يهدأ بل يزيد انفعالا • ويقول « لابد من قطع المفـاوضات فورا احتجاجا » • ولكن اخوانه ينصـــحونه بالتريث والانتظار حتى تنجلى السحابة ويعرف الوفد مزيداً من المعلومات من مصر ومن سائر نفسه •

ولكن هذه الاعتقالات ما معناها وما مغزاها ومامرماها ؟

معناها فى نظرى : ان الانجليز يريدون أن يذكرونا ونحن فى لندن انهم مسيطرون على مصر سيطرة تامة ، يفعلون بها وبأبنائها ما يشاءون ويشـــاء لهم هوى الاستعمار ، وألا ننسى أن الوطن المصرى يئن تحت تأثير الاحكام العرفية البريطانية ، وأن المحاكمات العسكرية البريطانيــة مستمرة تتناول أكبر كبير مصرى وأصـــغر صغير ، وأن القطر المصرى كله قد قسموه الى مناطق ، ولكل منطقة محكمة عسكرية انجليزية خاصة وبجانبها جهـــاز من الضـــباط الانجليز الذين يلفقون التهم ويصـــطنعون الادلة للفتك بكل مصرى وطنى يظهر نشاطا فى الحركة الثورية المصرية أو يتوسمون فيــه القدرة على احداث متاعب لهم فى المستقبل •

ومغزاها : ان الانجليز يريدون أن يفهموا المصريين عامة والوفد خاصة انهم لا يكترثون بهم ولا يعبأون بغضبهم أو رضاهم • وانهم لا يقيمون وزنا لمفاوضة الوفد أو عدم مفاوضته ولا لموافقته أورفضه لما يعرضونه عليه ، أو على الاقل هذا ما يريدون التظاهر به فى عدم المبالاة وعدم الاكتراث ، وأن المصريين وزعماءهم أهون عليهم مما يتصورون •

ومرماها : هو التأثير فى سير المفاوضات فى لندن أو لعلى أكون أكثر دقة اذا قلت ان للانجليز أهدافا ثلاثة كما يلوح لى الآن :

١ ـ حمل الرئيس سعد على التساهل وعدم التشدد فى معارضة اقتراحات ملنر بحجة أن ما تعرضه لجنة ملنر على أى حال خير من هذا العذاب الشامل الذى تصبه الاحكام العرفيــة البريطانية ومحاكمها العسكرية على المصريين وعلى كل مشــتغل بالحركة الوطنية . فهذه المحاكمات والاتهامات على هذه الصورة انما هى وسيلة من وسائل الضغط والاكراه التى يلجأ اليها الانجليز للتاثير فى سير المفاوضات فى لندن .

٢ ـ ارهاب العناصر الثورية فى مصر بالقبض على زعماء الطلبة والعمال واعتقال كل من يرى الانجليز فيه نشاطا أو غيرة أو استعدادا لاستئناف الثورة اذا فشلت المفاوضات ، والانجليز يريدون الفتك بالمصريين الذين قد يسببون لهم المتــاعب فى المستقبل والقضاء عليهم عن طريق المحاكمات العســكرية التى فى ظاهرها عــدالة القضاء وفى باطنها غدر الاستعمار .

٣ ـ التأثير فى نفسية الشعب المصرى وروحه المعنوية وحمله على عدم التمسك بالغاء الحماية وبالمطالبة بالاستقلال ، وحمــله كذلك على قبول ما قد يعرضه ملنر على الوفد . فان ذلك على كل حال خير من جبروت السلطات البريطانية العسكرية وطغيان مظالم محاكمها العسكرية ، هذا ما أراه وأشعر به الآن والرواية لم تتم فصولا ، ولكن الانجليز واهمون .

عودة الى الامتيازات الاجنبية

٢ يوليو ١٩٢٠ :

ذهب الرئيس وعدلى صباح اليوم لمقابلة ملنر . وكان الرئيس متجهما يحاول كتم غضبه وضبط عواطفه ما استطاع ثم قال الرئيس لملنر : ما هذا الذى ترتكبونه فى مصر من اعتقال السكرتير العــام للوفد وعدد كثير من خيرة المصريين . ماذا لديك من معلومات ؟

فقال ملنر : انه يجهل كل شىء وانه أسرع بارســـال برقية الى اللنبى يطلب منه التفصيلات الكافية وسيبلغهــا الى الرئيس فور وصولها .



عبد العزيز فهمي



علي ماهر

ثم قال ملنر : الامتيازات الاجنبية وحقوق الاجانب ، فقد سبق أن تكلمنا فى هذاالموضوع كلاما سطحيا، ونريد أن نتعمق فيه لنصل الى نتيجة مرضـــية ولذلك اقترح تأليف لجنة فنيـة مشتركة من رجال القانون من الجانبين المصرى والانجليزى ، تضع لنا مذكرة وافية تحتوى على اقتراحات محددة ، وهـــذه الاقتراحات تكون موضوع المناقشة والتعديل أو الاقرار •

فوافق الرئيس على هذا الاقتراح، وتألفت هذه اللجنة التشريعية على الوجه الآتى :

يمثل الجانب المصرى : عبد العزيز فهمى وعلى ماهر ومحمـد على علوبه •

ويمثل الجانب البريطانى : هرست ، ويعاونه اثنـان من رجال القانون فى الحكومة البريطانية •

مذكرة بريطانية في مسألة الامتيازات الاجنبية

٥ يوليو ١٩٢٠ :

في اقل من ثلاثة ايام قدم هرست مذكرة اضافية الى اعضاء اللجنة من الجانب المصرى ، وهى تتضمن ما يأتى :

بما أن الحكومة المصرية تجد نفسها على الدوام مكتوفة اليدين لا تستطيع سن قوانين تسرى على الاجانب بغير مصادقة حكومات بلادهم ٠

وبما أن بريطانيا الحليفة تريد تخفيف هذه الاعباء عن كاهل الحكومة المصرية ، وتنقيص القيود التى تقيد بها السلطة التشريعية

للحكومة المصرية الى ان يحين الوقت الذى تلغى فيه الامتيازات الاجنبية الغاء تاما ٠

فان الحكومة البريطانية مستعدة أن تقنع الدول صاحبات الامتيازات بأن تحل محلها وتنوب عنها بتوكيل منها فى معالجة هذه الامتيازات الاجنبية بشرط أن توافق مصر على هذا الاجراء ، أو بعبارات أخرى يكون هذا الحق (الذى سبق أن منحته مصر لهذه الدول المتمتعة بالامتيازات الاجنبية ضمانا لمصالحها فى مصر) محصورا فى يد دولة واحدة هى بريطانيا العظمى ٠

وبناء على هذا تقدم الجانب البريطانى باقتراحات عشرة ينص عليها فى المعاهدة وهى :

اولا : أن تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشارا ماليا بريطانيا يعهد اليه بالاختصاصات التى لاعضاء صندوق الدين الآن ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته فى جميع المسائل الاخرى التى ترغب فى استشارته فيها ٠

ثانيا : أن تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفا بريطانيا فى وزارة الحقانية ويتمتع بحق الاتصال بالوزير مباشرة ، وتجب احاطته علما بجميع المسائل المتعلقة بالقضاء فيما له مساس بالاجانب ٠ ويكون أيضا تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته فى أى أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام العام ٠

ثالثا : نظرا لما فى النية من نقل الحقـوق التى تستعملها الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية ، تعترف مصر بحق بريطانيـــا العظمى فى التدخـل بواسطة ممثلها السياسى فى مصر لتمنع ان يطبق على الاجانب اى قانون مصرى يستدعى الآن موافقـــة الدول الاجنبيـــة ، وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بالا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون مجحفا بالاجانب لاسيما فى مسائل فرض الضرائب أو فى القوانين التى لا تتفق مع مبادىء التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات ٠

رابعا : تبذل بريطانيا جهودها لدى الدول المختلفة ذات الامتيازات لادخال تعديلات على نظام هذه الامتيازات مثـــل ابطال المحاكم القنصلية الاجنبية وتعديل نظام المحـــاكم المختلطة واختصاصها ، حتى يتيسر سريان التشريع الذى تضعه الحكـــومة المصرية ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب على جميع الاجانب فى مصر ٠

خامسا : لا يسوغ العمل على التمييز المجحف برعاية اية دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ، ويســـتمر هؤلاء الرعايا يتمتعون فى مصر بنفس المعاملة التى يتمتع بها الرعايا البريطانيون ٠

سادسا : فى المسائل التى ينالها مساس من جراء ابطال المحاكم القنصلية تعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا والدول الاجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجـــرمين وتسليم البحارة الفارين ، وكذلك المعاهدات التى لها صبغة سياسية سواء أكانت معقودة بين أطراف عدة أم بين طرفين كاتفـاقات التحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب ، وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفا فيها ٠

سابعا : تخول مصر موظفى قنصليات الدول الاجنبية نفس النظام الذى يتمتع به القناصل الاجانب فى بريطانيا ٠

ثامنا : تتعهد مصر بضمان حرية ابقاء المـــدارس الاجنبيـــة ، وتعليم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام فى المدارس المصرية ، وكذلك حـــرية ابقاء أو انشاء معـــاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ ٠

تاسعا : يقتضي تعديل نظام المحاكم المختلطة أن يضاف اليها كل الاختصاصات التى كانت تخـولها الى الآن للمحاكم القنصلية الاجنبية ، ويترك اختصاص المحاكم الاهلية بغير مساس ·

عاشرا : تتعهد بريطانيا بالعمل على الغاء صندوق الدين الدولى وعلى ابعاد العنصر الدولى عن مجلس الصحة فى الاسكندرية ·

*** ورد مصرى

تلقى أعضاء الوفد الثلاثة بعض هـذه المقترحات البريطانية بالاعتراض لاسيما على المقترحات الثلاثة الاولى · ووضعوا من ناحيتهم مذكرة ردوا عليها ، وقد جاء فيهـا : « ان المبادىء التى اشتملت عليها مذكرة الجانب البريطانى تناقض كل المناقضـة للاستقلال الذى تسعى اليه مصر · وان نظام الامتيازات عبء ثقيل تريد مصر حطه عن كاهلها دفعة واحدة حتى يكون مصريا كل من الشارع والقاضى لجميع السكان على اختلاف جنسياتهم ، على أن مصر (رعاية منها لرغبة بريطانيا فى تخفيف أعباء ومضـار ومتاعب الامتيازات الاجنبية الى حين الغائها الغاء تاما وحقيقيا) تقبل أن تنوب بريطانيا عن هذه الدول فى استعمال حقوقهما لمدة معينة وبشروط خاصة ، وكذلك ترى أن يكون الغاء المحاكم القنصلية وتحويلها الى المحاكم المختلطة باتفاق خاص نظرا لاحتيـاجه الى دراسة فنية ·

فى ٧ يوليو ١٩٢٠ :

اجتمعت هيئة المفاوضات : الجانب المصرى برياسة سعد وانضم اليه عبد العزيز فهمى ، والجانب البريطانى بريـاسـة ملنر ومعه سبندر وهرست صاحب المقترحات العشرة ·

ملنر : بعـد ما شكر اللجنة التشريعية المختلطة على مقترحاتها الفنية الدقيقة وملاحظاتها المفيدة قال :

«لاشك أن مصر ستستريح الى حد كبير من متاعب هذه الامتيازات الاجنبية · وستجد فى حليفتها بريطانيا خير معوان على انجـاز التشريعات التى ظلت معطلة زمانا طويلا بسبب هذه الامتيازات . ولن تقف بريطانيا فى سبيل أى خير ترجوه مصر ، ولا ضرر هناك

فى أن كل تشريع بعد اليوم لا يعرض الا على ممثل بريطانيا السياسى فى مصر وهو ممثل الحليفة ثم يصدر من الحكومة المصرية ويسرى على المصريين والاجانب على السواء ما لم يعترض عليه، واذا لم تقبل مصر هذا الاعتراض جاز لها أن ترفع الامر الى عصبة الامم .

سعد : ان هذا الاقتراح يهش لنا ، ولكننا نقبله على الطريقة الآتية :

« ان كل تشريع مصرى يسرى على المصريين والاجانب ما لم تعترض عليه بريطانيا بسبب عدم وجود نظير له فى أى قانون من قوانين الدول ذوات الامتيازات ولمصر الحق ان لم تقبل هذا الاعتراض أن تعرض الفصل فيه على عصبة الامم » .

ملنر : ولكن يلزم أن يترتب على هذا الاعتراض وقف تنفيذ القانون المعترض عليه فلا يسرى على المصريين والاجانب معا حتى يفصل فى الامر .

سعد : لا يمكن قبول هذا التعميم لان التشريع للوطنيين يجب أن يكون مستقلا عن كل مداخله .

ملنر : ولكن مادام الاعتراض موجها الى القانون فلا معنى لان يسرى مفعوله على قوم دون آخرين .

سعد : اننا لا نريد أن يسرى التشريع من تلقاء نفسه على الاجانب كما يسرى على الوطنيين ، بل يسرى على الاجانب بعملية أخرى ، وهو أن يصدر أمر عال خاص يقضى بسريانه عليهم ، فاذا كان هناك اعتراض وجب توجيهه على هذا الامر .

ملنر : انا أطلب مهلة لبحث هذا الموضوع والتروى فيه .

مذكرة بريطانية بشأن الموظفين البريطانيين

٢ يوليو :

بينما كانت اللجنة التشريعية المختلطة منشغلة بدراساتها واعداد اقتراحاتها بشأن الامتيازات الاجنبية ، وبينما كانت هيئة المفاوضات لم تجتمع بعد لمناقشة تلك الاقتراحات والبت فى تعديل أو فى مصير

الامتيازات الاجنبية ، أرسل ملنر الى سعد بمذكرة مسببة مفصلة عن مسألة الموظفين البريطانيين الذين في خدمة الحكومة المصرية لبحثها ودرسها توطئة لاعادة مناقشة هذا الموضوع في هيئة المفاوضات عند اجتماعها فيما بعد (ويظهر أن الانجليز هنا في لندن لا يريدون أن يتركوا الرئيس وأعضاء الوفد من غير عمل متصل الحلقات يشغلونهم به عن التفكير في مسألة القبض على عبد الرحمن فهمي واستمرار الاحتجاج عليه والشعور بالمرارة بسببه) ٠

أعطاني الرئيس هذه المذكرة لترجمتها الى العربية فأتممت ترجمتها في ثلاث ساعات كاملة بسبب طولها غير المعتاد ، وفيما يلي أهم ما اشتملت عليه من بيانات :

١ ـ المصريون يشغلون ٨٦٪ من الوظائف ذات المعاش ويقبضون ٧٠٪ من الماهيات ٠ والبريطانيون يشغلون ١٤٪ من الوظائف ذات المعاش ويقبضون ٣٠٪ من الماهيات ٠

٢ ـ نصيب المصريين في الوظائف الكبيرة لا يبلغ الربع ، ولكنه يصل الى الثلث في وزارتي الداخلية والحقانية فقط حيث يعين المديرون والقضاة ووكلاء النيابة من المصريين ٠

٣ ـ اما في وزارات المالية والمعارف والاشغال والزراعة والمواصلات فوظائفها الكبيرة يشغل المصريون منها ٣١ مقابل ١٦٩ يشغلها البريطانيون ، وماهيات كل منها اكثر من ٨٠٠ جنيه مصري في السنة ، والسبب في زيادة عدد الانجليز في هذه الوظائف الكبيرة وفي هذه الوزارات بالذات ، هو أن هذه الوظائف تقتضي معارف فنية خاصة ولا يوجد مصريون قادرون او صالحون للقيام بها في الوقت الحالي ، ولكن اذا كان المصريون يريدون حقا أن يصبحوا مسئولين في ادارة بلادهم الداخلية فالواجب اتخاذ تدابير أحسن من التدابير الحالية لتدريبهم واعدادهم لتقلد أمثال هذه الوظائف الكبيرة ٠

٤ ـ لاحظت اللجنة وهي في مصر أن العنصر المصري في الوظائف الصغيرة زاد عدده من ٤٥٪ سنة ١٩٠٥ الى ٥٠٪ سنة ١٩٢٠ ، ولكن نقص عدده في الوظائف الكبيرة من ٢٧٪ سنة ١٩٠٥ الى ٢٣٪ سنة ١٩٢٠ ، وزاد نصيب البريطانيين في بعض هذه الوظائف الكبيرة من ٤٢٪ الى ٦٠٪ من المجموع كله ٠

٥ ــ مراكز الموظفين البريطانيين الذين في خدمة الحكومة على أعظم جانب من الاهمية اذ يتوقف عليهم انتظام الحكومة وحسن ادارتها في مصر ، فنظام الداخلية الحالي برمته ، بنى الموظفون البريطانيون معظمه بجدهم واجتهادهم وعملهم وقدرتهم · وقضى كثيرون منهم زهرة العمر في مصر ، فاذا بعـــد العنصر البريطاني عن الحكومة المصرية حالا خيف من تقويض اركانهـــا وخراب بنيانها ، بل ان مجرد التسرع في تخفيض عدده يخشى منه ان يؤثر في متانة البناء ويعطل حسن ادارة أعمال الحكومة كثيرا ·

٦ ــ ولكن لجنة ملنر تشعر مع ذلك بانه لا خوف الآن من ان تعود الحكومة المصرية بعد خروج الموظفين البريطانيين منها الى سوء الادارة التي انقذت مصر منها ، ذلك لان عدد المصريين الاكفاء علما وخلقا قد زاد ويمكنهم الاشـــتراك في أعمال حكومتهم على مبادىء المدنية الحديثة · ومنذ الاحتلال اعتاد المصريون جميعـــا على ان تكون أعمال حكومتهم واداراتها حســـنة الانتظام عادلة صادقة فلا يصبرون عليها اذا عادت الى مساوىء العهد الماضي · ولكن مع هـــذا كله لا يخلو الامر من خطر على البناء الجديد أن يتداعى بنيانه اذا أبعد كل الذين بنوه ولا يزالون عماده ، فلا بد أن يجرى التغيير تدريجا ·

٧ ــ ومن الطبيعي والحالة هذه أن ننظر بعين القلق لاول وهلة الى الاقتراح المصري الذي فحواه ان تترك الحكومة المصرية وشأنها مطلقة الحرية في استبقاء من تشاء وفي اخراج من تشـــاء من الموظفين البريطانيين الموجودين الآن في خدمتها على اننا لا نرى من المعقول أن يقدم أي وزير مصري على اخراج جميع الموظفين البريطانيين من وزارته دفعة واحـــدة ، وحسبنا أن نتصور حال تلك الوزارة بعدما تفقد فجأة أعظم مستشاريهـــا وموظفيها علما وخبرة وكفاءة ، واكثرهم تحملا للمسئولية ، انهـــا لاشك تنهار انهيارا تاما وتستهدف نفور المصريين انفسهم من هذا الوزير نفورا شديدا فضلا عما يترتب على ذلك من سخط الاجانب عليه وخوفهم على مستقبلهم ، فان الجاليات الاجنبية الكبيرة الغنية التي يتوقف عليها كثير من يسر مصر ورفاهيتها ، لا محالة تقوم ضد هذا الوزير قومة واحـــدة لانها جميعا تعد وجود عـــدد من البريطانيين في الحكومة المصرية عنوانا لســـلامتها وضمانا لرفاهيتهـــا وضمانا لسلامتهم كذلك ·

٨ ـ ثم ان المعتمد البريطاني لا ينتظر منه ان يمكث على حالة كهذه وهو وان كان لا يملك حق الامر والنهى على الحكومة المصرية المستقلة ، فانه كممثل حليفة مصر واسمى الاجانب مقاما فى مصر بل حامى مصالح الاجانب فيها ، يكون لرأيه شأن عظيم ويهم كل وزير مصرى أن يكون على صفاء واتفاق تام معه .

٩ ـ هذا ولا يخفى أن الموظفين البريطانيين الذين يكونون فى خدمة مصر المستقلة سوف يتغير سلوكهم فلا يأمرون ولا ينهون كما كانوا يفعلون وانما يبذلون كل ما وسعهم لمساعدة الوزراء والرؤساء المصريين حتى يزداد هؤلاء رغبة فى الاعتماد عليهم وعدم التفريط فيهم باخراجهم من الخدمة .

١٠ ـ لاحظت اللجنة مع الاسف أن عدد الموظفين البريطانيين قد زاد عن الحد الضرورى أحيانا وخصوصا فى السنوات الاخيرة ، وقد آن الاوان لان يطبق المبدأ القائل بانه لا يجوز تعيين بريطانى أو أجنبى فى وظيفة يمكن أن يعين فيها أحد المصريين الاكفاء .

١١ ـ هناك خطر من نوع آخر ، وهو أن الموظفين البريطانيين أنفسهم قد يتركون خدمة الحكومة المصرية من تلقاء انفسهم خوفا من أن يبقوا تحت رحمة حكومة مصرية مستقلة ، فاذا فعلوا ذلك وقعت كارثة للحكومة المصرية .

على اننا نرجو أن يبقى كثيرون منهم فى وظائفهم اذ ما من خدمة يخدمونها اشرف من العمل على انشاء شركة حبية بين بريطانيا العظمى ومصر ومساعدة المصريين حتى ينجحوا فى انظمة الحكم الذاتى .

١٢ ـ يحسن وضع نظام متفق عليه لتدبير امر الموظفين البريطانيين الذين تروم الحكومة المصرية أن تستغنى عن خدماتهم أو الذين يرومون هم أنفسهم أن يخرجوا من خدمتها عند تنفيذ النظام الجديد ، فهؤلاء وهؤلاء يجب أن يعاملوا بانصاف وسخاء اذ لا شىء يكدر صفو العلاقات بين الانجليز والمصريين فى المستقبل اكثر من أن يخرج عدد من الموظفين وهم يتظلمون من الحيف الذى وقع عليهم ، ولهذا نقترح أن يوضع نص فى المعاهدة على اساس ما يأتى :

« الضباط والموظفون البريطانيون الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة ، يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في أى وقت خلال سنتين بعـــد العمل بالمعاهدة، وتحدد المعاهدة المعاش أوالتعويض الذى يمنحه الموظفون الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالى ، وفى حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظف الحالية بغير مساس ·

١٣ ـ الوظائف الآتية يستمر الانجليز يشغلونها لخطورتها ، وذلك لفترة من الزمن يتفق عليها وهى وظائف « المستشار المـالى ومستشار الحقانية ومدير الامن العام للاجانب فى الداخلية ووكيله وهؤلاء يعينون باتفاق الحكومتين البريطانيـــة والمصرية ، وذلك لايجاد ضمانات للدول لالغاء الامتيازات الاجنبية » ·

(وقد سبق أن اعترض الرئيس سعد على مثل هذا الطلب ورفضه وكان اعتراضه ورفضه قائمين على أساس أنه مخل بالاســـتقلال الداخلى ، وبأن الامتيازات لا تعطى الدول أى حق فى أن يكون لها موظفون فى ادارة البلاد · فلا معنى لاعطاء هذا الحق الى بريطانيا بنيابتها عنهم فى هذه الامتيازات) ·

ثم « ووظائف النائب العمومى لدى المحاكم المختلطة وحكمدارى البوليس فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد ، ثم ضابط بريطانى كبير فى وزارة الحربية ليشرف على الجيش المصرى ·

(وقد سبق أن اعترض الرئيس سعد وأعضاء الوفد على جميع الوظائف التى يرغب الانجليز فى أن يكون التعيين فيها بالاتفاق بين الحكومتين البريطانية والمصرية) ·

إرجاء المناقشة

٨ يوليو :

عقدت الجلسة فى الساعة العاشرة والنصف فى وزارة المستعمرات ودارت المناقشات فى مسألة الموظفين البريطانيين فى خدمة الحكومة المصرية فكرر الجانب المصرى رفض ما سبق له رفضه وقبول معاملة الموظفين الذين يتركون الخدمة أو تستغنى عنهم الحكومة بسخاء

وان يكون للحكومة الحق فى تمصير الاداة الحكومية على الوجه الذى تراه وبالسرعة التى تراها ، واخيرا اتفق الطرفان (ملنر وسعد) على تأجيل الجلسات الى اجل غير مسمى حتى يضع كل طرف مشروعا بصيغة الاتفاق على حسب ما فهمه من المحادثات السابقة ، ثم يحصل الاجتماع بعد ذلك للمقابلة بينهما والمقارنة •

مصر والسودان قطر واحد

وعند الانصراف قال سعد : « اننا لم نتكلم فى مسالة السودان ، والسودان ومصر قطر واحد ، وكلاهما مكمل للآخر والنيل واحد • ولا يمكن الفصل بينهما بحال من الاحوال ، بل لا غنى لاحدهما عن الآخر باعتراف كبار البريطانيين انفسهم •

فقال ملنر : « هذه مسالة اخرى نرجىء الكلام فيها الى فرصة اخرى» •

وفى جو يشوبه شىء من التوتر بسبب القبض على عبد الرحمن فهمى والاجراءات التعسفية الانجليزية القاسية التى تتخذ لمحاكمته ومحاكمة الوطنيين المصريين معه ، رفعت الجلسة فى منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر •

مشروع وفدى

وفى المساء عقد الوفد جلسة فى منتصف الساعة السادسة ولم يحضر الجلسة عدلى لاول مرة ، وقال الرئيس ان الغرض من الاجتماع هو اختيار لجنة من اعضاء الوفد لوضع مشروع الاتفاق الذى نقبله لنبعث به الى ملنر ردا على مشروعه فتالفت اللجنة من عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبة ، وتفاهم الرئيس معهم على ضرورة الانتهاء من وضع المشروع فى اسرع مدة ممكنة ثم رفعت الجلسة •

واخبرنى الرئيس بعد انصرافهم انه سيضع بنفسه مشروعا مع واصف غالى للمقارنة بينه وبين مشروع هذه اللجنة حتى يكمل كل منهما الآخر وحتى يخرج المشروع الوفدى اقرب ما يكون الى الكمال •

برقية خطيرة ـ عنصر جديد في العاصفة القادمة

٩ يوليو ١٩٢٠ :

حضر مستر ولرند (الانجليزى الاعرج) فى الساعة ٦ مساء واطلع الرئيس سعد على صورة برقية ارسلها ملنر الى لورد اللنبى فى مصر فى ٣٠ يونية ردا على أسئلته المتكررة عن سير المفاوضات فترجمتها للرئيس وهذا نصها :

« المفاوضات تسير سيرا مرضيا وديا · وزغلول واصحابه يريدون الوصول الى اتفاق ، والظاهر انهم يقبلون تسوية تضمن المحافظة على أساس المراقبة البريطانية لامور مصر بشرط أن يكون الشكل غير ظاهر التناقض مع مطلب الوفد والامانى التى ولدها فى نفوس المصريين · واللجنة تريد محالفة تضمن استقلال مصر بصفتها دولة ملكية دستورية ، ومن جهة أخرى تعترف مصر لبريطانيا بحقها فى استبقاء جيش للدفاع عن مصر وفى تعيين انجليز فى وظائف الحكومة المصرية لحماية مصالح الاجانب بواسطة نظام بوليسى يكون فيه الحكمداريون انجليزا مع استبقاء المحاكم المختلطة فى شكلها الحالى وضمان الوفاء بالدين العام · وامامنا الآن ثلاث صعوبات :

١ ـ قد لا يقبل زغلول ورفاقه تحفظاتنا التى سنتمسك بها لانها تقيد الاستقلال قليلا ·

٢ ـ أو قد يقبل زغلول ورفاقه ولكن اصحابهم فى مصر لا يقبلونها فينضمون الى الحزب الوطنى للتاثير فى الجمعية التشريعية المصرية ، فلا تكون للاتفاق قيمة كبيرة ·

٣ ـ لا بد من اشراك السلطان وبعض الوزراء فى العمل لان المفاوضات الحالية ليست فى الواقع الا مناقشات بقصد اكتشاف مدى الاستعداد الموجود عندهم ·

« ولغاية الآن لم تحدث مناقشة اصلا فى مركز السلطان وقوانين الوراثة ، ولذلك نرجوكم كمندوب سام أن تتكلموا فورا مع السلطان وتطلعوه على الموقف كما هو الآن ، وتؤكدوا له ان حكومة جلالة الملك ليس فى نيتها مطلقا أن تصل الى خل من وراء ظهره » ·

سعد يرفض مراقبة انجلترا ولا يقبل السلطان

هذه البرقية وقعت من نفس سعد أسوأ وقع وكأنها قنبلة انفجرت في وجهه والتفت الى الانجليزى الاعرج وقال له فى غضب وفى شيء من الحدة :

« لو ان ملنر لم يطلعنى على هذه البرقية لما كان لى من حق فى نقده ، أما وقد ارسلها الى للاطلاع عليها بعد ارسالها فمن حقى ان اعترض عليه اشد الاعتراض ٠ اننا لم نقبل ولن نقبل اية تسوية تقضى بوضع اية مراقبة لانجلترا على مصر ، ظاهـــرة او خفية ، وتعتبر الشعور الذى قام بنفس اللورد ملنر مجردا من كل اساس ، ونحن لا نقبل بقاء جندى واحد من جيش الاحتلال عندنا كما لا نقبل وضع نظام خاص بالبوليس ، كما نرفض الاشتراك مع غيرنا فى المفاوضات ، وكذلك نرفض ان نتفاوض بأمر الســلطان بالاشتراك مع اى انسان كان ، بل لا نقبل هذا السلطان نفسه » ٠

أليست هذه قنبلة اشد وافدح من قنبلة ملنر التلغرافية السابقة ؟؟ بلى انه سينقلها الى سيده ملنر فيستاء كما نقلها الى سعد فانفجر ، والشر بالشر والبادى اظلم ٠

موقف لعدلى ولطفى السيد

عرض الرئيس هذه البرقية على زملائه أعضاء الوفد فاظهروا استياء منها الا لطفى السيد فانه قال « انه لا بأس بهـــا فى مجموعها » ٠ فثار سعد فى وجهه وقال : « ألا ترى أن مطلع البرقية طعن فى أمانة الوفد ، وأن البرقية انطوت على مزاعم لا تتفق مع الواقع ؟ »

وعقب انصراف الجميع طلب عدلى على غير عادته أن يتعشى مع الرئيس ، وفهم الرئيس منه أثناء العشاء وحدهما أن البرقية عرضت عليه قبل عرضها على سعد بيوم واحد وانه لم يفاتحه فيها لانه لم يجد الرئيس وحده كما علم أن لطفى السيد اطلع عليهـــا معه ولم يخبر الرئيس بها كذلك ٠

قابلت الرئيس بعد خروج عدلى عقب العشاء معه وقلت له : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » • فقال ماذا تعنى ، قلت : فكرت فى برقيــــة ملنر الى اللنبى فرأيت أنها قد تلطف من حــدة جبروت الانجليز فى مصر وتخفف من شر الطغيان والاضطهاد منهم ضد عبد الرحمن فهمى أملا فى عدم عرقلة الاتفاق المنتظر فى لندن ، لان برقية ملنر تفتح أمام اللنبى باب الامل • وليس للبرقية فيما عدا ذلك أية قيمة اخرى ، فابتسم الرئيس وقال : « أنت تســـتخرج النعم من النقم » •

ولا شك عندى فى أن ما قلته الليلة سيكون له بعض الاثر فى الرئيس عندما يقابل ملنر غدا حتى لا يحصل تصادم شديد بينهما •

حديث مع ملنر

١٠ يوليو :

ذهب سعد ومعه عدلى لمقابلة ملنر فى وزارة المواصلات صباح اليوم •

قال سعد : ان مستر ولرند اطلعنى على برقية منكم الى لورد اللنبى وهى تشتمل على قسمين :

الاول : لا يحق لى ان اتكلم فيه لانه كلام بينكم وبين زميلكم ، والعبرة فيه عندى هو بما يتم بيننا لا بما يحيكه للغير احدنا •

وأما القسم الثانى : وانى لا اقبل الانتداب للمفاوضة بالاشتراك مع غير الوفد •

ثم دار الكلام فى النظام وما يجب ان تشتمل عليه المعاهدة من مبادىء

عدلى : انه ينبغى ان يتضمن الاتفـاق على هذه المبـــادىء ضمانة له •

سعد : انه لا محل لان يتضمن الاتفاق شيئا من ذلك اللهم الا ان توصف الحكومة فيه بانها دستورية على المبادىء الديمقراطيـــة ولا يحق لبريطانيا ان تتدخل فيه لانه مسألة داخلية بحتة •

ملنر : ان بريطانيا لكونها ضامنة استقلال مصر تكون بالطبع ضامنة لمبادىء هذا النظام الذى تشتمل عليه المعاهدة ·

سعد : لم يتقرر ضمان بريطانيا لاستقلال مصر ولم تحصل اية مناقشة فى ذلك ·

وانتهى الاجتماع فى شىء من الجفاء ·

ولما عاد الرئيس روى هذه المناقشة لاعضاء الوفد بحضور عدلى فوافق عليها غير أن عدلى تأثر نوعا ما من رواية الرئيس ما سبق أن أبداه عدلى من اشتمال المعاهدة على مبادىء النظام الدستورى للبلاد وفكرة ضمان الانجليز لها ·

سعد يقترح قطع المفاوضات

١١ يوليو :

دعا الرئيس اعضاء الوفد للاجتماع به فى الساعة ١١ من صباح اليوم فحضروا جميعا وحضر معهم عدلى ، وكان موضوع الحديث « مسالة عبد الرحمن فهمى » فقال الرئيس انه تلقى برقيــة من مصطفى النحاس من القاهرة، يثبت الاجراءات الاستثنائية التعسفية القاسية التى اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية ضد عبــد الرحمن فهمى واخوانه ، وأن النحاس وزملاءه المحامين منعوا من مقابلة المتهمين المسجونين سجنا انفراديا ، وأن الشهود المزورين يجمعون بالرشوة تارة وبالاضطهاد احيانا اخرى ليشهدوا ضــد عبد الرحمن فهمى بأنه دبر حوادث الاغتيال وأعمال التخريب فى مصر ، وأنه يخشى على صحته وعلى حياته اذا استمر جو الارهاب الحالى سائدا فى البلاد بينما زعماء الامة يتفاوضون فى لندن · ثم قال الرئيس انه سبق أن طلب من ملنر بيانا بأسباب هذا القبض وما صاحبه من الاجراءات التعسفية فوعد ملنر بالاستفسار من اللنبى وأن « الاعرج » أخبر الرئيس منذ يومين بأن ملنر ارســل برقية مستعجلة يطلب التفصيلات فلم يرد الرد للان ·

واقترح الرئيس أن تقطع المحادثات مع لجنة ملنر والعودة فورا الى باريس ، وذلك للاسباب والاعتبارات الآتية ، وقد تكلم الرئيس فى تأثر ظاهر وقال :

١ ـ ان عبد الرحمن فهمي رجل كبير في مركزه الماضي والحاضر وهو في طليعة الرجال الاكفاء العاملين في مصر ، وهو المنظم لسير الحركة الوطنية والمنفذ لرغباتنا وقراراتنا بصفته السكرتير العام للهيئة المركزية للوفد • ولا يخالجني شك في انه برىء من كل تهمة لاسيما وهو الشخصية البارزة العاملة التي نعرفها ، فالقبض عليه ان هو الا طعنة بريطانية تشل نشاط الحركة الوطنيــة في مصر وتنشر الرعب والارهاب في جوانبها حتى ينصرف الناس عن الوفد ، هذا فضلا عن ان القبض عليه فيه مســاس بنا ، ويلقى شــبهات علينا •

٢ ـ قبض على عبد الرحمن فهمي في اول يوليو ونحن الآن في ٩ يوليو وملنر لم يحطنا بشي ولا يعقــل مطلقا أن اللنبي لم يهتم باحاطة الحكومة البريطانية بكل التفصيلات في هذا الحادث الجلل الذي اقدم عليه ، فكيف يكون معقولا او مقبولا الا يخبرنا ملنر بما نسال عنه حتى بعد القبض عليه بهذه المدة الطويلة ، ثم يزعم ويدعي كذبا انه لا يعرف وانه سيسال اللنبي تلغرافيا عن الحقائق التي لا شك انها الآن بين يديه ؟ اننا يجب أن نلغي عقولنا لكي نصدق كلاما كهذا • وان ملنر يجهل التفصيلات •

٣ ـ لو كان ملنر يحترمنا حقا ويراعي عواطفنا ويحرص حقــا على نجاح المفاوضات لرأى من واجبه أن يبلغنا كل التفصيلات عن عبد الرحمن فهمي ونوع التهم الموجهة اليه قبل أن يقبض عليه فعلا، او حتى بعد أن يقبض عليــه ، ولكن ملنر لم يفعل شيئا لا قبـــل القبض ولا بعده ، وادعى الجهل وهو لا شك عالم بكل شيء وتركنا في ظلام نتالم لما يقع في بلادنا من استبداد الانجليز وطغيانهم وعسفهم ولايحاول حتى تخفيف الصدمة عنا اويبرر تصرف الانجليز في بلادنا ومع رجالنا •

٤ ـ ان الانجليز بهذا التصرف الجائر الظالم انما اعلنوا حربا علنية على الحركة الوطنية في مصر ، فهم يشردون ويســـجنون

ويضطهدون وينشرون الارهاب فى مصر ، ونحن هنا فى لندن نحضر الولائم والحفلات.ونتفاوض مع اعدائنا وكان الامور عادية فى بلادنا، فهل هذا معقول ؟ ان قلبى ليذوب اسى واسفا على هذه الحـــالة التعسة التى لا تطاق ٠

٥ ـ لا شك ان واجب اللياقة وحسن السياسة كان يقضى بل يحتم على الانجليز ان تكون فترة المفاوضات مع ملنر فى لنـــدن فترة هدنة فى مصر ، فيكفوا عن عدوانهم ولا يعلنوها حربا عوانا وتشريدا لرجالنا وابنائنا فى مصر ٠ ولكن لا لياقة ولا سياسة ولا عدالة ولا احترام عندهم ، لهذا كله لا ارى معنى لهذا العبث الذى يوصف بالمفاوضات ، ونحن نراها كل يوم تتعثر فى كل خطوة ولا امل مطلقا لانجاحها لا سيما فى هذا الجو الموبوء الذى تعيش فيه بلادنا ، ولهذا ايضا ارجوكم الموافقة على قطع المفـاوضات واعلان ذلك فى خطاب مسبب نرسله الى ملنر فورا وسيكون هذا احتجاجا بينا على ما يجرى فى بلادنا ، وخلاصا لنا من هـــذا العبث الاليم الذى نحن فيه ، وفيه على الاقل محافظة على كرامتنا وكرامة البلاد ٠

هنا سكت الرئيس بعد ان تدفقت كلماته ومعانيه ، وتجلت حججه ومراميه فى صوت قوى فصيح مؤثر ، ووجه عابس معبر وغضب مكتوم ظاهر وغير مستور سافر ، واسباب يسوقها فى فصاحة واقعية فائقة مرتبة متلاحقة كانه يتلوها من كتاب مسطور ، ولا يدلى بها على البديهة الملهمـــة ٠ منذا الذى يستطيع أن يعـارض هذه الاسباب المسوقة لقطع المفاوضة ؟ أية حجة يمكن أن تســاق فتقف فى وجه هذه الاسباب ، فلا يغلق للمفاوضة باب ؟

كلام لاعضاء الوفد

وسكت الاعضاء وكان على رؤوسهم الطير : ثم كان اولهم فى الكلام حمد الباسل الذى قال : « ان الرئيس على حق فيما يــرى ويشعر به ٠ ولكنه يرى قبل اتخاذ اى قرار فى هذا الموضـــوع

الخطير ان يتفضل عدلى باشا فيقابل ملنر وينقل اليه ما فى نفوسنا ، ويفهم الموقف جيدا » ·

هذه كلمات المتكلم الاول ، فاجاب عدلى على الفور « بأنه لا يذهب فى هذه المهمة وانه يحسن التريث قليلا فقد ياتى الغد بجديد » · وهنا تكلم الاعضاء ودارت المناقشة : « فى هل من الحكمة والصواب أن تقطع المفاوضة مع لجنة ملنر الآن فى هذه المرحلة بالذات » ·

فكان من رأى عدم القطع لطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبة ومحمد محمود والمكباتى وعبد العزيز فهمى وقالوا ان الوفد وصل الى مرحلة دقيقة نهائية فى المفاوضات ، وأن ملنر على وشك أن يقدم مشروع المعاهدة التى قد تسفر عن خير البلاد فلا يجوز والحالة هذه أن يتصرف الوفد فى حالة انفعال وغضب وأن التريث القليل قد يفيد ولا يضر ·

وقال عدلى ان ملنر يجب أن يعطى الزمن الكافى ليصلح ما افسده غيره ·

وقال الرئيس ان ملنر من غير شك يعرف كل شىء حتى قبل أن يقع القبض فى اول يوليو ، وانه انما يخفى ويدعى المعرفة لان المستبد الظالم لايستطيع ان يقنع احدا ويبرر طغيانه· واخيرا اقترح عبد العزيز فهمى تاجيل البت فى هذا الموضوع الخطير حتى يتمكن كل عضو من التفكير الهادىء فى خير السبل التى يجب على الوفد سلوكها فى هذه الازمة ·

ورفعت الجلسة فى كمد وغيظ وسخط على الانجليز ·

الاعتراف السابع ـ خواطر الرئيس وملاحظاته بعد الاجتماع

١ ـ قال الرئيس بعد انصراف الجميع : « لا يتأتى لضعيف ان يبث روح الثورة ، ولا لهازل أن يدرك معنى الجد والكرامة » · فادركت مبلغ المرارة فى نفسه ازاء أعضاء الوفد الذين لم يوافقوه على قطع المفاوضة ·

وبعد قليل عاد محمد محمود وامضى مع الرئيس ربع ساعة ثم خرج ، وبعد خروجه دعانى الرئيس اليه ، فلما دخلت وجلست قال : « أتدرى ماذا قال لى صاحبك ؟ » قلت ماذا ؟ قال : « انه

نصحني قائلا ان السياسة تقضي بالمجاملة ، و
فقلت له لا اقبل أن تكون ناصحي بطريقة عامة
وانا مستعد للعمل بما ترى اذا بان لي وجه الد

قال محمد محمود · « كلا هذه فكرة عامة طر
الرئيس ويخرج صاحبه . وهنا سكت الرئيس
ثم رفعه وقال لي :

« لقد ضاق صدري من احوال هؤلاء الـــ
القاسية ان يكونوا زملاء لي في عمل لا هم يليقو
للقيام به فضلا عما عندهم من غرور عجيب ،

٢ ـ قلت للرئيس : « اني اشعر بأن محمد
الاعضاء لك » · فقال : « قد يكون ذلك صحيـ
الناس كثيرا فوجدت الوفاء فيهم قليلا والاخلا
في امكاني أن اصلح غيري · ولا في امكان غيـ
غض النظر عن نقائص المنافقين والعفو عن ·
ومن أراد أن تقل همومه وتخف متاعبه أن يعـ
أكثر مما له عليهم ، وأن له عنـــدهم اقل مما
الانسان لانانيته يميل بطبعه الى ان يستكثر ما لـ
ما لهم عنده ، ومن هذا تعب الانسان وشقاؤه

برقية حول محاكمة عبد الرحمن

١٢ يوليو :

ورد تلغراف من مصطفى النحاس عن نوع «
فهمي وأصحابه جاء فيه : ان المحامين خرجوا
السماح لهم بالدفاع ، وعلى استمرار القاضي
أقوال الشهود عليهم حتى يذكرهم بكل ما فيـ

فلما حضر الاعضـــاء وعدلي هذا الصباـ
الرئيس على هذه البرقية · فغضب الاعضاء غضـ
عدلي أن يذهب الى ملنر حاملا البرقية الخطير
النيات والتصرفات من جانب الانجليز ، والرئيس
فرط الغيظ وسوء الظن والتسويف ·

وبعد ساعتين كاملتين عاد عدلى من مقابلتـــه لملنر ، وروى للرئيس وللاعضاء ما قاله له وما سمع منه وخلاصته : « ان عبد الرحمن فهمي ومن معه قبض عليهم لانهم متهمون بتدبير الاعتداءات الذي وقعت على الوزراء وغيرهم ، وكذلك أعمــال التخريب التى وقعت في القاهرة والاسكندرية في الشهور القليلة الماضية ، وأنهم كانوا يستعدون لاحداث اضطرابات على أوسع نطاق اذا لم تأت المفاوضات مع ملنر بنتيجة مرضية تحقق الاستقلال التـام ، وأن ملنر أرسل برقية الى اللنبى ينصحه فيها بالحكمة والاعتدال لاسيما فى هذا الوقت الذى دخلت فيه المفاوضات مع الوفد في مرحـلة خطيرة دقيقة . وأن عدلى قال للملنر انه يخشى أن السياسة البريطانية للانجليز في مصر تريد وتعمل على عرقلة المفاوضات فى لندن حتى لا يتم اتفاق ، وقال عدلى انه وجد ملنر مهمـوما ومهتما بهـــذه التطورات في مصر وأثرها فى سير المفاوضات معه هنا فى لندن ».

فخفف بهذا البيان حدة الغضب عند الاعضاء ، وتفاءلوا ببعض الخير ، ولكن لم يكن له أقل تأثير فى حدة الغضب عند الرئيس الذى ظل متشائما كل التشاؤم .

ملاحظات وخواطر وتحليل وتعليل

١٤ يوليو :

لاحظت في الايام القليلة الاخيرة ظاهرتين عجيبتين :

الاولى : ظاهرة ركود شديد فى ناحيتين كانتا فى غاية النشاط الى وقت قريب :

١ ـ مفاوضات (سعد وملنر) توقفت تماما منـذ ٨ يوليو، فلا مناقشة ولا اتصال .

٢ ـ اجتماعات الوفد توقفت تماما كذلك من ١٠ يوليـــو فلا اجتماعات ولا مقابلات ، وهذا الركود المزدوج تفسـيره وتحليله وتعليله ينجلى فى الظاهرة الثانية .

الثانية : ظاهرة نشاط زائد متزايد محمـوم مسرف . وأراه منتشرا فى أربع جبهات فى وقت واحد :

١ ـ نشاط ملنر ولجنته صباحا ومساء (كما أبلغنى ولرند الانجليزى الاعرج) لاعداد مشروع المعاهدة والفراغ منه فى أسرع

وقت ممكن ولارساله الى الوفد لدراسته . ثم استئناف المفاوضة فيما عسى ان يراه الوفد من تعديلات فيه مبوله .

٢ ـ نشاط لجنة الوفد المكلفة بوضع مشروع لمعاهدة ترتضيه مصر ومقارنته بمشروع ملنر ولجنة الاربعة هذه (عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبه) تجتمع صباحا ومساء . والى ساعة متاخره من الليل فى حجره مجاوره لنا هنا فى فندق كارلتون وهى تنتقل فى بعض الاحيان الى فندق حلاردج للاجتماع بعدلى واستشارته فى بعض التفصيلات ولم تجتمع بالرئيس سعد لاستشارته مرة واحدة . ولا يخالجنى شك فى ان سعدا سيتأثر من هذا التصرف تاثرا كبيرا (اذا عرفه) .

٣ ـ نشاط الرئيس سعد وواصف غالى فى اعـداد مشروع للمعاهدة ترتضيه مصر (وبعبارة أصح وأدق) يرتضيه سـعد ويرضى الامة بقبوله وانا مع الرئيس صباحا ومسـاء الى ساعة متاخرة من الليل : يفكر ويملى ويعدل ويغير ، ويراجع ويصحح ، ويملى من جديد ، حركة دائبة مستمره لا تهمد ولا تخمد ولا ترقد ولا تركد .

قلت له اثناء تناول الشاى معه : انه يفرط فى اجهاد نفسه بلا هوادة ولا رحمة فى عمل يقوم به غيره (قاصدا لجنة الاربعة) ، فلماذا لا يرحم نفسه وجسمه من هذا الاحتراق والانهاك ، ويستجم فى هذه الفترة ويستعيد بعض صحته ويدخر بعض النشاط للايام المقبلة حتى يقدم اليه مشروع ملنر ومشروع الاربعة ؟ .

فقال سعد :

كيف أدرس مشروعات وأناقشها قبل أن اكون قد فكرت طويلا فى كل مادة فيها ؟

وكيف أحدد بفكرى فى كل مادة بدون أن اكتبهـا وانظر فيها وأراجعها وأتأملها ؟

وكيف أتحاشى ما يريده ملنر وأصحابه من صيغتهم الخبيثـة الخلابة بعد أن تظهر لى نياتهم واتجاهاتهم ؟ .

وكيف أتحايل على حملهـم على قبول رغباتنا بصيغ دقيقة تحررها بعد تأمل ؟ .

ثم مشروع لجنة الاربعة ، كيف اعـــرف ما فيه من نقص . وما احتوته مواده من عيوب ، وكيف أصلح هذا النقص وهذه العيوب بالبديهة المجردة ؟.

كيف يتأتى لى كل ذلك ان لم أكتب المـواد نفسـها بعد تفكيرى الخاص وبأسلوبى وصيغتى الخاصة ؟ حينـذاك اذا انتقـدت شيئا أو مادة تقدمت فى الوقت عينه بالصيغة التى تحل محلها وتكون خيرا منها وعليهم أن يردوا بالبداهة ان استطاعوا .

ثم قال : لا شىء غير الكتابة يحدد الافكار ويساعد على التفكير الدقيق .

فاعجبت بالفكرة وان كنت ما زلت مقتنعا بحاجته القصوى الى الراحة والاستجمام فى هذه الايام التى أراها أشـبه بعطلة نادرة بعد أن تخلص فيها من كل اجتماع وكل مقابلة وكل مناقشـة وكل مناكفة ومشاكسة . ولا يسعنى هنا الا أن أسجل اعجابى بواصف غالى الذى يساعد الرئيس سعدا بدقة بحثـــه وملاحظاته وبراعته فى الفرنسية حين يصـوغ بها ما يقترح من افـكار ومواد يدبجها الرئيس فى مشروعه .

٤ ـ الجبهة الرابعة التى انفجر فيها نشاط عنيف مفاجىء هى جبهة مصر نفسها ، فقد فتح الانجليز هذه الجبهة فى عنف أجرامى عندما أحسوا أن المفاوضات مع ملنر تعقدت وتعثرت وانهـا على وشك الفشل .

ولاجل أن نفهم سياسة الانجليز وخططهم يجمـــل بنا أن نبين سلوكهم وتصرفاتهم فى مصر فى الشهور القلائل الماضية :

قبل وصول لجنة ملنر الى مصر « لتحقيق أسـباب الاضطراب الذى حدث فى مصر وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة فى البلاد » كانت الاحكام العرفية البريطانيـــة غاية فى الشدة والقســوة : اعتقالات ومحاكمات وتشـــتيت للمظاهرات بالرصــاص القاتل الى آخر ما سبق لى أن وصفته عنـــدما بينت حالة مصر فى أواخـر ١٩١٩/١٩٢٠ .

بعد وصول لجنة ملنر الى مصر فى أوائل ديســمبر ١٩١٩ ـ لغاية يوم سفرها من مصر عائدة الى بلادها فى أواخر شهر مارس ١٩٢٠ (أى مدة أربعة اشهر كاملة اقامتها فى مصر) خفت الاحكام

العرفية البريطانية في مصر خفة ملحوظة جـــدا كأن هدنة وقعت واتفق عليها بين بلدين متحاربين ، وذلك حتى يتشجع المصريون على الاتصال بلجنة ملنر والاطمئنان لها ، وحتى تتمكن لجنة ملنر من اجراء التحقيق الذى كلفت به وتعرف الحقائق التى أرادتها ، فلما فشلت اللجنة فى مهمتها بفضل المقاطعة الاجماعية الرائعة من جانب الامة ، عاد ملنر ولجنته الى بلاده بخفى حنـــين واضطر اضطرارا الى مفاوضة سعد والوفد المقيم فى باريس ٠

ومن شهر مايو ١٩٢٠ لغاية اخر يونيو ١٩٢٠ أى شهران كاملان هما فترة التمهيد للمفاوضات وانتقال ســـعد والوفد الى لندن ، والمفاوضات الفعلية مع ملنر ولجنتـــه . خفت الاحكام العـــرفية البريطانية فى مصر خفة عجيبة حتى خيل للناس جميعا أنها زالت من الوجود واختفى الجنود البريطانيون من الظهور ، وانتشر بين المصريين شعور بالتفاؤل فى كل مكان بأن مفاوضات سعد ــ ملنر ستحقق لمصر استقلالها وخلاصها من ويلات الاحتلال البريطانى ، وكان الدعاء فى المساجد أيام الجمع يرتفع الى الله لتحقيق الحرية والعزة والكرامة والاستقلال لمصر والمصريين . والانجليز أمام كل هذا ساكتون هادئون يتربصون ٠

وفى أواخر يونيو : تجلى لملنر أن الاتفاق مع سعد مستحيل لان المفاوضات أسفرت عن عدم اتفاق الطرفين على اى شىء . واثبتت خلافها فى كل شىء اللهم الا « مسألة التمثيل » ٠

وسعد يعتقد أن المفاوضة فاشلة لا محالة ٠

وملنر يعتقد أن ســـعدا لن يوافق على اسس مشروع المعاهدة التي سيقدمها الى الوفد بعد أيام ، وان الوفد سينتقل قريبـــا الى باريس بعد فشل المفاوضات ٠

فماذا عسى أن يكون رد الفعل فى مصر بعـــد خيبة الامـل فى المفاوضات ؟

ثورة ثانية لا محالة

قد لا تقل وقد تزيد على ثورة سنة ١٩١٩ نفسها . هذا ما تدل عليه كل الدلائل . فهل يسكت المستعمرون حتى نقوم الثورة فعـلا وتقع الواقعة ؟

بحثوا حولهم فى مصر فلم يجدوا عناء فى معرفة البارزين من المصريين ذوى النفوذ فى الحركة الوطنية ، هو ذوى التأثير البليغ فى الشعب المصرى : عبد الرحمن فهمى سكرتير اللجنة المركزية للوفد . رجل عجيب فى نشاطه ووطنيته وشخصيته القوية الجذابة ونفوذه الجارف ، وهو « الدينامو » المحرك المسير المنظم للحركة الوطنية فى البلاد من أقصاها الى اقصاها وحوله أعوان من شباب الطلبة الفصحاء الشجعان أمثال ابراهيم عبد الهادى وعبدالرحمن الجديلى ، وأعوان من زعمــاء العمال والصناع المسيطرين على الحركة العمالية فى البلاد ٠

على هؤلاء بالذات انقض العسكريون البريطانيون فقبضوا عليهم جميعا فجأة بغير سؤال ولا سابق انذار وبعـــد أن كانت الاحكام العرفيــة البريطانية خامــدة هامدة منزوية ملتوية على نفســـها كالافعى ولا يشعر بوجودها انسان مدة المفاوضات ، برزت فجـأة فى أول يوليو ١٩٢٠ كأقسى وأعتى وأشنع ماتكون بمجرد ما ثبت لملنر أن نجاح المفاوضة مع سعد أصبح مستحيلا ، وأن رد الفعـل فى مصر قد يكون ثورة عاتية ٠

غضب سعد والوفد وسخطوا على هذا الاعتــداء الوحشى على ممثلهم فى مصر وأبناء وطنهم المخلصين ، وادعى ملنر الجهـــل والبراءة ووعد بالاستفسار من اللنبى كأن اللنبى يستطيع أن يقدم على عمل جرىء كهذا من غير علم لندن وفى أثناء وجــود زعماء مصر فى لندن يتفاوضون ٠

طبخة بريطانية فاحت روائحها الكريهة فزكمت انوف الوطنيين ٠

وحيلة استعمارية لجأ اليها الانجليز ليمنعوا أو يعرقلوا قيام ثورة فى مصر بعد أن يرفض الوفد مشروع ملنر الذى سيقدمه بعد أيام قلائل ٠

ويشاء الله أن تظهر الحقيقة على لسان ملنر نفسه يوم ١٠ يوليو حين قال لعدلى بعد تجاهل وتمنع طويلين : « ان عبد الرحمن فهمى وأعوانه قبض عليهــم بتهمة تدبيرهم اعتـــداءات على الوزراء ، وانهم كانوا يستعدون لاحداث اضطرابات على أوسع نطاق اذا لم تأت المفاوضات بينهم مرضية » ، اذن برح الخفاء وظهرت النيــات السوداء ٠

والخلاصة : ان الموقف يتجلى للفهم بتتبع منطق الحوادث التى تتسلسل على الوجه الآتى :

١ ـ احكام عرفية بريطانية خفيفة خفة الريش عند التمه للمفاوضات وطوال مدة السير فى المفاوضات المرضية ٠

٢ ـ اللنبى يسأل عن سير المفاوضات ويحاط علما بكل مرح من مراحلها ٠

٣ ـ اللنبى كقائد عسكرى يضرب ضربته المفاجئه ويثقل عا البلاد بأحكامه العرفية بمجرد شعوره بأن المفاوضة نتعثر ويلو فى أفقها الفشل المؤكد ٠

٤ ـ اللنبى يسبق الحوادث فيقبض على عبد الرحمن فهم وزعماء الطلبة والعمال والاعيان حتى لاتقوم فى البلاد ثورة عند تعلم الامة بفشل المفاوضة وتشعر باليأس بعد الامل الباسم ٠

٥ ـ باعث الانجليز الحقيقى هو شعورهم المردوح أولا بقدر هؤلاء الذين قبضوا عليهم ، على اثارة الشعب ، وثانيا بأن الشع المصرى ثائر لا محالة وفى حاجة الى القادة الذين يوجهون خطوا فى الثورة ٠

٦ ـ وبما أن هذاالباعث لا يكفى مبررا للقبض والاعتقال فى نظ العالم المتمدين فقد زعموا أنهم تآمروا ودبروا اغتيال الوزرا وأعمال التخريب ، وهذه جريمة محدده عقوبتها السجن تحن الاحكام العرفية ٠

٧ ـ ملنر يعلم تمام العلم ويتآمر مع اللنبى فى استعدادا وتصرفاته ، ثم يدعى الجهل أمام سعد ، ثم يكذب بأنه سيستفس تلغرافيا من اللنبى ، ثم يكذب مرة ثانية بأن الرد لم يصل له حتى بعد مرور أيام على استفساره المزعوم ، وهو العليم المحيط بكل ما هنالك ٠

٨ ـ هذا العنف والظلم وحكم الارهاب فى مصر يرمى الى غرضين الاول منع نشوب الثورة فى مصر عند اعلان فشل المفاوضات ، والثانى ايجاد ضغط شديد على سعد والوفد فى لندن لقبول مشرو ملنر الذى سيقدم اليهم بعد أيام قلائل ، وقبولهم اياه كفيل بالافرا عن كل هؤلاء المعتقلين والمقبوض عليهم من المصريين الوطنيين ، ولكنه كفيل فى الوقت عينه باعتقال مصر كلها ووضعها فى سج الاستعمار ، وشعار المستعمرين « الغاية تبرر الواسطة » ، وبئس به من شعار حقير !!

الفصل الثالث

١٧ يوليو ١٩٢٠ :

في الساعة الواحدة الا عشر دقائق من بعد ظهر اليوم حضر الى فندق كارلتون سكرتير ملنر وسلمني مظروفا مغلقا بالشمع الاحمر لايصاله الى الرئيس ، فسارعت به الى حجرة الاجتماع وسلمته الى الرئيس وكان معه بعض الاعضـــــاء فلما فضه الرئيس ووجد انه المشروع المنتظر بفارغ الصبر سلمني اياه وكلفني بترجمته الى اللغة العربية فورا ، ولما هممت بالانصراف سألني « كم من الوقت يلزمك لاتمام الترجمة ؟ » .

فقلت ساعة واحدة أو ساعتين على الاكثر تقدير اذا أردت أن أزن كل كلمة بميزان الذهب » فقال : « خذ ساعتين اذن وساعة للغداء وليكن اجتماع الوفد في الساعة السادسة مساء .

وتكفل الدكتور حامد محمود بابلاغ الاعضـــــاء وعدلي بموعد الجلسة .

وفيما يلي ترجمة المشروع :

« النقاط التي استوثق انه يمكن الاتفاق عليها مع الوفد المصري الموجود الآن في لندن هي : ابدال الحالة الحاضرة بمعاهدة محالفة دائمة بين بريطانيا العظمى ومصر يتقرر فيها ما يأتي :

١ ـ تتعهد بريطانيا العظمى بضمان سلامة أرض مصر واستقلالها كمملكة ذات أنظمة دستورية ٠

٢ ـ وتتعهد مصر من جانبها الا تعقد اية معاهدة سياسية مع اية دولة أخرى بدون رضاء بريطانيا العظمى ٠

٣ ـ نظرا للمسئوليات الملقاة على عاتق بريطانيا العظمى بمقتضى الفقرة المتقدمة ، ونظرا لما لها من المصلحة الخاصة فى حفظ مواصلاتها فى الشرقين الادنى والأقصى فان مصر تعطيها حق ابقاء قوة عسكرية فى الاراضى المصرية وحق استعمال الموانىء والمطارات المصرية لغرض التمكن من الدفاع عن القطر المصرى ومن المحافظة على مواصلاتها مع املاكها فيما وراء البحار ، أما المكان أو الامكنة التى تعسكر فيها تلك الجنود البريطانية فانها تعين بالاتفاق بين الطرفين ٠

٤ ـ تقبل مصر أن تعين بالاشتراك مع حكومة جلالة الملك مستشارا ماليا يعهد اليه بجميع الاختصاصات المخولة الآن لاعضاء صندوق الدين لحماية حقوق دائنى مصر ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى جميع المسائل الاخرى التى ترغب استشارته فيها ٠

٥ ـ تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر فى تحرير نفسها من القيود التى تقيد حريتها فى التشريع والادارة بسبب الامتيازات التى يتمتع بها الاجانب فى مصر ، وفى وضعها نظاما بمقتضاه تكون القوانين المصرية سارية على المصريين والاجانب على السواء ٠

٦ ـ وتوقعا لتنازل الدول الاجنبية فى الامتيازات الخاصة التى يتمتع بها رعاياها حتى الآن، ونظرا لضرورة تطمين تلك الدول على أن حقوق الاجانب الشرعية ستكون مع ذلك محترمة ، فان مصر تعطى لبريطانيا العظمى حق التدخل بواسطة ممثلها فى مصر لوقف تنفيذ أى قانون يكون ماسا بحقوق الاجانب الشرعية او مخالفا للمتبع فى البلاد المتمدينة ، واذا وجدت الحكومة المصرية أن حق التدخل قد استعمل فى اية حالة مخصوصة بلا مبرر فى الواقع رفعت الامر الى عصبة الامم ٠

٧ ـ قضاء المحاكم المختلطة الحالية أو ما يحل محلها من الانظمة المماثلة لها يبقى قائما ، وينسحب هذا القضاء على المواد الجنائية وجميع الدعاوى الاخرى الخاصة بالاجانب فى مصر ٠

٨ ـ تقبل مصر أن تعين بالاشتراك مع حكـــومة جلالة الملك موظفا انجليزيا بوزارة الحقانية يكون له من الاختصاص والسلطة ما يتأكد معه من تأكيد حسن ادارة القوانين فيما يتعلق بالاجانب ٠

٩ ـ تكون حكومة جلالة الملك مستعدة لان تأخذ على عهـدتها تمثيل مصر في أي بلد لم يعين فيها ممثل مصري ، ولكن ليس لمصر أن تعهد بهذا التمثيل الى اية دولة اخرى غير بريطانيا العظمى ٠

١٠ ـ تعترف الحكومة المصرية أن لمركز ممثل بريطانيا العظمى في مصر صفة خاصة وان له باعتباره ممثل الدولة الحليفـة حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين ٠

١١ ـ الموظفون البريطانيون وغيرهم من الاجانب عدا من ذكروا بالمواد السابقة تسوى حالتهـــم باتفاق خاص بين الحكـــومتين البريطانية والمصرية ٠

وهذا الاتفاق يعتبر جزءا متمما للتراضي المزمع عقده بينهما » ٠

الوفد ضد المشروع

ما كاد الرئيس سعد وأعضاء الوفد يطلعون على هذا المشروع حتى أصابتهم دهشة بلغت درجة الذهول ٠ وبلغ اليأس بالرئيس خاصة أقصى الحدود، واعتبروا كل هذه المواد في صيغتها وأهدافها خاصة أقصى الحدود، واعتبروا كل هذه المواد في صيغتها وأهدافها واتفقت آراء الاعضاء جميعا على رفضها وعدم امكان قبولها بحال من الاحوال ـ فليس في الوفد الآن اغلبية واقلية كما كان الحـــال قبل المفاوضة ٠

وهذا فقط هو المكسب الوحيد حتى الآن ٠

١٨ يوليو ١٩٢٠ :

عقد الوفد اليوم ثلاث جلسات حضرها جميع الاعضاء وعدلي٠ جلسة٠في الصباح وجلسة بعد الظهر وجلسة بعد العشاء ، وذلك للمراجعة الاخيرة للمشروع الذي أعده الوفد وأسجل هنا أن الرئيس هو الذي أعد بنفسه نص المادة الاولى ونص المادة الثانية ، وحمل الاعضاء على قبول هـــذين النصين لانهما غاية في الصراحـــة

والوضوح ، أو معا على الاقل اكثر وضوحا مما وضعته اللجنة وقد عاون الرئيس فى الصياغة واصف غالى .

نص مشروع الوفد

١٩ ـ يوليو ١٩٢٠ :

حملت مشروع الوفد الى سـكرتير ملنر فى مكتبه بوزارة المستعمرات حوالى ظهر اليوم ونصه كما يلى .

المادة الاولى :

تعترف بريطانيا العظمى باستقلال مصر .

تنتهى الحماية التى أعلنتها بريطانيا العظمى على مصر فى ٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ هى والاحتلال العسـكرى البريطانى ، وبذلك تسترد مصر كامل سيادتها الداخلية والخارجية ، وتكون دولة ملكية ذات نظام دستورى .

المادة الثانية :

تجلى بريطانيا العظمى جنـودها من القطر المصرى من تاريخ العمل بهذه المعاهدة .

المادة الثالثة :

عند استعمال الحكومة المصرية حقها فى الاستغناء من خـدمة الموظفين الانجليز تلتزم بحسن معاملتهم على الكيفية الآتية :

« فى غير حالة الرفت لبلوغ السن القانونية أو العجز النهائى عن العمل أو بمقتضى حكم تأديبى أو لانتهاء المدة المحددة فى عقد الاستخدام ، يعطى للموظف المرفوت تعويض اضافى بمقدار شهر عن كل سنة قضاها فى الخدمة ، ويمنح هذا التعويض أيضا لكل موظف يترك باختياره خدمة الحكومة المصرية فى ظرف سـنة من تاريخ العمل بهذه المعاهدة .

المادة الرابعة :

تخفيفا لمضار الامتيازات الاجنبية الى حين الغائها تقبل مصر أن الحقوق التى تستعملها الدول الآن بمقتضى هذه الامتيازات يكون لبريطانيا العظمى استعمالها باسمها بالكيفية الآتية :

١ ـ الزيادات والتعديلات التى يراد ادخالها على لائحة ترتيب المحاكم المختلطة لا تتم الا بموافقة بريطانيا العظمى ٠

٢ ـ كافة القوانين الاخرى التى لا تنفذ الآن فى حق الاجانب اصحاب الامتيازات الا بموافقة الدول أو بقرار بالموافقة صادر من الهيئة التشريعية لمحكمة الاستئناف المختلطة أو من الجمعية العمومية لهذه المحكمة تصير نافذة عليهم بمقتضى دكريتو يصدر وينشر لهذا الغرض ما لم تحصل معارضة من بريطانيا العظمى تبلغ الى وزير الخارجية المصرى من تاريخ النشر بالجريدة الرسمية ٠ ولا تصح هذه المعارضة الا اذا كان مبناها أن القانون يشمل أحكاما لا نظير لها فى شريعة من شرائع الدول ذوات الامتيازات فى المعاملة بشأنها بين المصريين والاجانب ٠ وفى حالة حصول خلاف بين الحكومتين فى صحة مبنى هذه المعارضة فلمصر رفع الامر الى عصبة الامم للفصل فيه ٠

المادة الخامسة :

فى حالة الغاء المحاكم القنصلية واحالة محاكمة الاجانب على ما يقع منهم من الجنايات والجنح الى المحاكم المختلطة ، تقبل مصر أن تعين أحد رجال القانون من التبعية الانجليزية فى وظيفة النائب العمومى لدى المحاكم المختلطة ٠

المادة السادسة :

تقرر الحكومة البريطانية أنها مستعدة للنظر بالاشتراك مع الحكومة المصرية بعد مضى خمس عشرة سنة فى مسألة ازالة المساس الحاصل بسيادة مصر على سكان بلادها بسبب ما للاجانب من الامتياز فى التشريع والقضاء ، وتحفظ مصر لنفسها الحق فى رفع هذه المسألة ان اقتضى الحال الى عصبة الامم بعد الميعاد المذكور ٠

المادة السابعة :

فى حالة الغاء قومسيون الدين العمومى فان مصر تعين موظفا ساميا تختاره بريطانيا العظمى يكون له ما للقومسيون المذكور من الاختصاصات الآتية ، ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية فى كافة ما ترغب تكليفه به من الاستشارات والمهمات المالية ٠

المادة الثامنة :

لبريطانيا العظمى (ان رأت لزوما) أن تنشىء على مصاريفها بالشاطىء الاسيوى قنال السويس نقطة عسكرية للمساعدة على حد ما عساه يحصل من الجهات الاجنبية على هذا القنال ، وتحديد منطقة هذه النقطة يحصل بمعرفة لجنة مكونة من خبراء عسكريين من الطرفين بعدد متساو ، ومن المتفق عليه أن انشاء هذه النقطة لا يعطى لبريطانيا العظمى أى حق فى التدخل فى أمور مصر ، ولا يخل أدنى اخلال بما لمصر من حقوق السيادة على تلك المنطقة التى تبقى خاضعة لسلطة مصر ومنفذة فيها قوانينها ، كما لايمس بالسلطة المخولة لمصر باتفاقية الاستانة المحررة فى اكتوبر عام ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة فى قنال السويس . وبعد مضى عشر سنوات من تاريخ العمل بهذه المعاهدة يبحث المتعاقدان الامر لمعرفة ما اذا كان استبقاء هذه النقطة لم يعد له لزوم وما اذا كان ممكنا أن يترك لمصر وحدها العناية بالمحافظة على القنال وفى حالة الخلاف يرفع الامر الى عصبة الامم .

المادة التاسعة :

فى حالة ما ترى مصر التى لها حق التمثيل السياسى ، الا تعين نائبا مصريا عنها لدى أى بلد من البلاد ، تعهد بالمصالح المصرية فى هذا البلد الى نائب بريطانيا العظمى وهو يتولى الدفاع عن تلك المصالح وفق آراء وزير الخارجية المصرى .

المادة العاشرة :

يوافق الطرفان بمقتضى هذا على عقد محالفة دفاعية بينهما للاغراض الآتية :

١ ـ تتعهد بريطانيا العظمى بالاشتراك فى الدفاع عن الاراضى المصرية ضد كل تعد يحصل من جانب اية دولة من الدول .

٢ ـ عند حصول تعد على المملكة البريطانية من جانب اية دولة اوربية ، ولو لم تكن سلامة مصر ذاتها فى خطر مباشر ، فان مصر تتعهد بأن تقدم داخل حدودها لبريطانيا العظمى ، جميع ما تحتاج له حربيا من تسهيل سبل المواصلات واعمال النقل ، وشروط اداء هذه المعونة تتحدد بعد باتفاق خاص .

المادة الحادية عشرة :

تتعهد مصر فوق ذلك بألا تعقد أية محـالفة مع اية دولة أخرى بدون الاتفاق مقدما مع بريطانيا العظمى ٠

المادة الثانية عشرة :

هذه المحالفة معقودة لمدة ثلاثين سـنة ، وفى نهايتها يمكن للطرفين أن ينظرا فى أمر تجديدها ٠

المادة الثالثة عشرة :

مسألة السودان تكون موضوع اتفاق خاص ٠

المادة الرابعة عشرة :

كل ما كان مخالفا لهـذه الشروط من الاحكام المتعلقة بمصر الواردة فى كافة المعاهدات الاخرى يكون ملغى ولا عمل له ٠

المادة الخامسة عشرة :

تودع هذه المعاهدة بسكرتيرية عصبة الامم لتسجل بها ، وتقرر بريطانيا انها عن نفسها قابلة من الآن دخول مصر بهذه الجمعيـة بصفتها دولة حرة مستقلة ٠

المادة السادسة عشرة :

يعمل بهذه المعاهدة بمجرد تبادل التصديق عليها من المتعاقدين، ويحصل التصديق فيما يتعلق بمصر بناء على قرار صـادر من الجمعية الوطنية التى تدعى لتقرير الدستور المصرى الجديد ٠

ملاحظة :

أرسل الوفد مع هذا المشروع خطابا أمضاه الرئيس هذا نصه :

« أتشرف بأن أبلغكم نبأ استلامى خطابكم المؤرخ ١٧ الجارى والمشروع المرافق به ، وانى أبادر فأعرض عليكم طى هذا مشروع اتفاقا يحوى النقط التى جرت المناقشة فيها خلال محادثاتنا ، وهى النقط التى يلوح لى أنكم تقبلونها ، ونحن نعتقد أن هذا المشروع بالصيغة التى هو عليها من شأنه أن يرضى الطرفين ، فعلى هـذه القواعد يمكننا أن نضع دعائم صداقة متينة وتعاون عماده الاخلاص بين الشعبين الانجليزى والمصرى ٠

« ومن المتفق عليه بيننا أن المسائل التى لم تبحث بعد ، تكون موضوع اتفاق يعقد فيما بعد ·

« ولى عظيم الثقة بأن أعمالنا التى توليتم رياستها بتلك الكياسة يمكن أن تنتهى قريبا حتى يتيسر لى السفر الى (شانل وفيشى) قبل فصل الخريف وذلك للاستشفاء الذى لابد منه لصحتى ·

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

سعد زغلول
(رئيس الوفد المصرى)

ملنر ومشروع الوفد

٢٠ يوليو ١٩٢٠ :

لا يخالجنى شك فى أن مشروع الوفد قد أصاب ملنر بدهشة بلغت حد الذهول كما أصابنا بمشروعه ، ودقة بدقة والبادى أظلم ·

ولا يخالجنى شك فى أن كثيرين فى مصر سيطعنون فى الرئيس والوفد بحجة انه أقر استمرار الاحتلال البريطانى بهذا المشروع ، وانهم لظالمون اذ ليست المسألة مسألة المثل الاعلى الذى يتصوره الحالمون ، وانما هو المثل الاعلى الذى يدركه الواقعيون . حسب مشروع الوفد فخرا أن ينهى الحماية البريطانية على مصر ، ويلغى كل الاحكام المتعلقة بها الواردة فى المعاهدات الدولية الاخرى وأن ينتزع الاعتراف باستقلال مصر . وهذا كله يحقق توكيل الوفد كل التحقيق ·

وفى الساعة العاشرة صباحا اجتمع الوفد بكامل هيئته · وبعد قليل وصل عدلى وأبلغ المجتمعين أن ملنر اتصل به تليفونيا وأبلغه انه ساخط على مشروع الوفد ورافض له ، فأعلن الرئيس فى شىء من الغضب والعزم ضرورة قطع المفاوضات والعودة فورا الى باريس ·

انقسام فى الوفد

ولكن أغلبية الاعضاء ومعهم عدلى رأوا ضرورة التريث وضبط الاعصاب فى هذا الظرف العصيب واقترحوا أن يذهب عدلى لمقابلة ملنر بعد ظهر اليوم ليتعرف رأيه الاخير قبل أن يصدر الوفد قرارا ·

وحوالى الظهر خرجوا متفرقين : فذهب عدلى الى ملنر رأسا وخرج الاعضاء ليلتقوا به فى فندق (كلاردج) بعد عودته من مقابلة ملنر ·

وبقى سعد فى حجرته ومعه واصف غالى وسينوت حنا ·

وهكذا ثبت لى مرة أخرى ان أغلبية الاعضاء متضامنة متفاهمة مع عدلى ، ومؤملة فيه خيرا ، وكنت أظن أن هذا الانقسام فى الوفد قد زال بعد الاجماع على رفض مشروع ملنر ثم الاجماع على مشروع الوفد · ولكنى كنت واهما واخلق بمن جعل الاوهام زاده ان يتزود الهم اذا استبان الحق · والحق الذى لا مرية فيه هو أن أعضاء الاغلبية الوفدية ما زالوا عند رأيهم فى سعد ، وشعورهم نحوه كما كانوا فى باريس قبل المفاوضات ، وأن الانقسام فى الوفد أعمق وأخطر من أن تزيله الاحداث الجسام ، وكل ما تأتى به الايام ·

هذا موجز حالنا فى لندن هذه الايام ·

والحال فى مصرنا للعزيزة المعذبة أشد وأنكى ·

الحالة العامة فى مصر قد وصلت الى درجة الغليان والانفجار ، بعد القبض على عبد الرحمن فهمى وعلى زعماء الطلبة النابهين وزعماء العمال البارزين ، فالعواطف فائرة والنفوس ثائرة والافكار حائرة والاحكام جائرة، يصدرها حكام بريطانيون طائشون متهورون لعبت القوة الغاشمة بعقولهم كما تلعب الخمور ، فأسكرتهم ودفعتهم الى الفتك بالمصريين الابرياء الوطنيين المخلصين ، ونشروا الرعب وحكم الارهاب فى كل ميدان وكل مكان وزرعوا الحقد والثورة فى كل وجدان ، وأصبحت البلاد كالبركان فما أشقى جيلنا هذا الذى يكتوى بكل هذه النيران ·

فى الساعة الواحدة بعد الظهر وأنا أستعد للنزول للغداء نادانى الرئيس سعد وسألنى « هل أنت مستعد للسفر معى الى باريس بعد غد ؟ » فقلت « اليوم ان شئت » فقال « متى تستطيع أن تحصل على التأشيرات اللازمة من القنصلية الفرنسية ؟

ـ فأجبت : « فى الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم سأتسلم جواز سفرك وجواز سفرى مؤشرا عليهما « بالفيزا » اللازمة » · فقال : «حسن » · وانصرفت ·

حديث مع علوبة



محمد على علوبة

وفى الساعة الخامسة والربع بعد الظهر وانا عائد بالجوازين مستوفيين شروط السفر، وعلى مقربة من فندق كارلتون قابلت صديقى محمد على علوبةالذى تفضل كعـــادته فاطلعنى على كل ما يعرفه ٠

قال : « ان عـــدلى باشـــا بحسن سياسته وبراعة دهائه قد تمكن من تغيير الحال تغييرا تاما ، فقد قابل ملنر وتحدث اليه طويلا ، ومع أن ملنر قد رفض مشروع الوفد وهدد بقطع المفاوضات ، فانه عـــدل عن تهـديده الآن ، واعـــرب عن استعداده لتعديل مشروعه الذى قدمه الى الوفد ، وسيرجو سعدا العدول عن السفر وابداء كل الملاحظات التى يراها ضرورية لتعديل مشروعه حتى يكون مقبولا للوفد ، وأنه سيبعث ببرقية الى اللنبى يرجـوه فيها تخفيف وطأة الاحكام العرفية فى مصر وعدم اتخاذ أى اجراء من شانه ان يثير سخط المصريين أو المحامين عن المقبوض عليهم ٠ وان اعضاء الوفد من معسكر الاغلبية قدموا الشكر لعدلى باشا على ما بذل من جهد وعلى ما أدرك من توفيق » ٠ ثم قال محمـــــد على علوبة : « انه ذاهب الآن الى سعد ليخبره بكل هذه التفصـــيلات » ٠ فقلت له : « لا داعى لذكر الشكر الذى قدمتموه الى عدلى على مسمعه » ٠٠ فضحك وقال : « طبعا لا اذكر ذلك لسعد » ٠

وقد تمت مقابلته للرئيس وخرج من عنده ساخطا وقال لى : « ان هذا الرجل عنيد ومتشائم ، ولكنى أقنعته بكل صعوبة أن يؤجل السفر مرة أخرى » •

وفى الساعة السادسة مساء تسلم سعد خطابا من ملنر يرجوه أن يقابله فى بيته غدا الساعة الحادية عشرة صباحا •

محادثة غاية فى الصراحة بين سعد وملنر

٢١ يوليو ١٩٢٠ :

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم كان سعد مع ملنر فى بيته وعنده « الانجليزى الاعرج » وهى المرة الاولى لاجتماعهما بعد تبادل المشروعين المتناقضين ، وتوتر الاعصاب من الجانبين ، وللمرة الاولى كذلك لم يكن عدلى حاضرا اجتماعا بين سعد وملنر •

وللمرة الاولى أيضا يجرى حديث بين سعد وملنر فى خلوة ولا ثالث لهما •

وفيما يلى تفصيل الحديث كما أملاه على الرئيس لتدوينه واطلاع الاعضاء عليه فى الاجتماع القادم :

ملنر : سمعنا أنك تفكر فى السفر ، فهل حددت له موعدا ؟

سعد : نعم • فكرت فى السفر لانى سمعت انك هددت بقطع المفاوضة وانك رفضت مشروع الوفد كما رفض الوفد مشروعك، فما معنى البقاء هنا الآن ؟

ملنر : ان هناك أمورا اخرى لم نتناولها بالبحث ويحسن أن نناقشها ، ثم ان المشروع الذى ارسلته اليكم قد تضمن شروطا اساسية لا بد منها ، واخرى تفصيلية يمكن مناقشتها وتعديلها اذا أردتم ، وانى احب ان اسمع اقتراحاتكم بالتعديلات •

سعد : انا فى حاجة الى السفر للاستشفاء وأرجو ان تساعدنى على ذلك لان صحتى تستلزمه •

ملنر : وانا كذلك شديد الرغبة في الانتهاء بسرعة لان مصلحتنا تستلزمه وما هى الا أيام قليلة أخرى حتى نفرغ معا · ثم استطرد الى الكلام عن القوة العسكرية البريطانية وقصة الدفاع عن المواصلات الامبراطورية ·

سعد : لقد سبق أن بحثنا هذا الموضوع وتناقشنا فيه بكل صراحة ، وأبدى كل منا رأيه ، فهل عندك اليوم جديد ، وقد أكدت لك مرارا اننا لا يمكننا أن نقبل استمرار الاحتلال في اى مكان لانه مخالف لتوكيلنا ومخل بالاستقلال ·

عظمة سعد

ملنر : انتم كثيرا ما تستندون على هذا التوكيل ، وانتم الذين وضعتموه وامليتموه على الشعب المصرى ·

سعد : ليكن ، ولكنه الآن عقد بيننا وبين أمتنا لا نستطيع نقضه او تحويره ·

ملنر : اننا الآن في مصر حائزون على كل شيء وفي قبضتنا كل شيء · ونريد أن نتخلى لكم عما في ايدينا في نظير أن تقبلوا أن يكون مركزنا الفعلى عندكم مركزا شرعيا ، اذ لا نستطيع أن نتخلى عن مصر بعد أن أتممنا ما اتممنا فيها من الاصلاحات ولا نستطيع أن نتركها دفعة واحدة خشية أن تفسد هذه الاصلاحات فلا بد لنا ن مراقبة سير الامور فيها ، والاطمئنان الى انتظامها ، ووضع قوة عسكرية في بعض نواحيها تقيها شر هذا الفساد ·

سعد : انا أحمد لك صراحتك هذه وارجو أن تحمد انت صراحتي كذلك، فالصراحة لازمة في بعض الظروف· اننا لانستطيع مطلقا أن نوافق على تصحيح مركزكم في مصر فيصبح المركز الفعلى مركزا شرعيا لان هذا يناقض الاستقلال على خط مستقيم وما اتينا هنا الا بحثا عن الاستقلال · ولا نقبل أن يكون لبريطانيا مراقبة علينا مستندة على قوة عسكرية في بلادنا · اننا ما اتينا هنا الا للخلاص

من هذا ، ومسألة الاصلاحات التي تتحدث عنها تهمنا نحن لاننا اصحاب البلاد المستولون عن حاضرها ومستقبلها ، وهو حقنا وواجبنا معا فلا يجوز لكم ان تنظروا منا ان نوافق على عقد مثل هذا الاتفاق الذي يصحح مركزكم الفعلي .

ملنر : نحن لا يمكننا ان نفرط في املاكنا ، ولا ان نترك مصر لنفسها بعد أن لبثنا اكثر من مائة عام نسعى للحصول عليها حتى استولينا عليها استيلاء تاما وما نطلبه منكم الآن لا يضركم في شيء ، بل فيه مصلحتكم .

سعد : نحن ادرى بمصلحتنا من غيرنا ، واني أراني مضطرا لان اذكرك الآن أن الحكومة البريطانية على ألسنة رجالها الرسميين قطعت على نفسها أكثر من ستين عهدا ووعدا بالجلاء عن مصر ، فاذا طالبناكم بوفاء عهودكم وتنفيذ وعودكم لا نعد مجاوزين للحد ولا مبالغين في الطلب .

ملنر : وعدناكم ستين مرة او مائة وستين مرة لا يهم الآن . ان أملاكنا لايصح أن تتعرض للخطر . على اننااذا وثقنا بأنكم سائرون سيرا حسنا فلا يبقى في بلادكم جندى بريطاني واحد كما حصل في كندا واستراليا اذ لا اثر للجنود البريطانيين فيهما ، ومع أن بريطانيا العظمى لم تطلب منهما شيئا مدة الحرب فانهما قدمتا لها خدمات جليلة كثيرة من تلقاء انفسهما . والمراد الآن أن تسيروا انتم مثلهما حتى تصلوا الى ما وصلتا اليه وان كانتا من الامبراطورية البريطانية وانتم لستم داخلين فيها .

سعد : اذن وعودكم الرسمية بقرب الجلاء لا قيمة لها مطلقا في نظركم الآن وتفضل أن تحدثني حديث القـــوة ، وأن تحدثني عن خشيتكم من أن الامور قد لا تسير سيرا حسنا اذا تم الجــلاء . ولا محل لهذه الخشية لاننا ضعاف وأنتم أقوياء . وما يخشى القوى ضعيفا . ولكن العكس طبيعي ومعهود . ولست أرى كيف يمكن

ان تمس املاككم بضرر اذا خرجتم من مصر خصوصا اذا كانت مصر حليفة لكم ، وما دمنا سنكون حلفاء فلا معنى لاساءة الظن بنا ٠

ملنر : نحن اذا تخلينا عنكم وخرجنا من بلادكم وقعت بلادكم في ثورة كما جربنا ذلك مرارا ٠

سعد : اذا دخلنا الآن في فروض واحتمالات فلا آخر لحديثنا وانا أؤكد ان الثورة لا معنى لها ولا هي محتملة ٠

ملنر : ان مسافة الحلف بيننا في الواقع ليست بعيدة ٠

سعد : أرجو أن تقطعوا انتم هذه المسافة لانى لا أستطيع زيادة السير وانتم أقوى منى عليه ٠

ملنر : انى سأرسل اليكم خطابا غدا بعد اجتماعى بزملائى والمناقشة معهم فى موضوع مشروع الوفد الذى أرسلتموه الينا فى ١٩ يوليو ٠

وهنا افترقا ٠٠ بعد السلام كلاما وامتلاء نفسيتهما خصاما ٠

هكذا تكلم لسان القوة الغاشمة الميت الضمير باسلوب اعتى ما يكون واقسى ٠

وهكذا تكلم لسان الحق الاعزل الشريف الشجاع باسلوب ابلغ ما يكون واقسى ٠

⊙❖⊙

عاد الرئيس الى حجرة الاجتماع فوجد الاعضاء جميعا وعدلى فى انتظاره فقص عليهم كل ما رأى وكل ما سمع وكل ما قال ، واذا هم جامدون فى مقاعدهم لا يتحركون ، ساد سكوت ووجوم والم ظاهر مكتوم ٠

ثم قال سعد وسط هذه « الجنازة » الصامتة : يحسن أن نستريح الآن وننتظرخطاب ملنر عنهاحتى تكون امامنا كل الحقائق فنناقشها كلها دفعة واحدة ، ونصل فيها الى قرار حاسم ٠ فوافقوا بالاجماع ٠ وانفض الاجتماع ٠

خطاب صاعق من ملنر

٢٢ يوليو :

فى الساعة الواحدة بعد الظهر وصل خطاب ملنر المنتظر بفارغ الصبر وهذا نص ترجمته الحرفية أسجلها هنا لما انطوى عليه من معانٍ خطيرة :

« تسلمت مشروعكم المؤرخ ١٩ الجارى وأسف ان أنهى اليكم اننى وزملائى لا نستطيع قبوله اساسا للمناقشة ، ولقد ذهبنا بعيدا فى رغبتنا فى ارضاء الوفد بل كنا ميالين للنزول عن بعض أمور كنا فى حكمتها مترددين كل التردد فعلنا ذلك بقصد اكتساب قبولكم الصريح للنقط القليلة التى نعتبرها تحفظات لا مندوحة عنها ، والتى نرى انفسنا مضطرين للتمسك بها ٠

« لهذا أرجو أن تعتبروا وثيقتى الماضية (مشروع ١٧ يوليو) انها محتوية على أقل ما يمكن من التحفظات ، وانها تمثل فى معناها الحد الاقصى الذى يمكن أن نذهب اليه ٠ ونرى أن ما اقترحناه سخى من جانب بريطانيا العظمى ، ثم انه فى الوقت عينه مفيد وشريف لمصر ٠

« وكان املنا أن يصادف مشروعنا قبولكم ، وينال مساعدتكم وتاييدكم أنتم وزملائكم وانصاركم ٠

« ولذلك نرى اذا أريد استئناف محادثاتنا (كما أرجو ذلك من صميم الفؤاد) أن تقبلوا أن تستمر المناقشة على أساس تلك الوثيقة» ٠

المخلص ، ملنر

حديث سعد لاعضاء الوفد

الآن بلغ السيل الزبى ، وطفحت الكاس باليأس وغامت كل نفس٠

وابتسم الرئيس ابتسامة الفيلسوف وقال للاعضاء «ألم أقل لكم»

« اتنتظرون بعد هذا نذيرا او انذارا بقطع المفاوضة ، أصرح من هذا وأصرخ ؟ »

ولكن عدلى ولطفى السيد ومحمد على وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود لم ييأسوا كل اليأس ، وأما الباقون على ماهر وواصف

غالى والمكباتى وسينوت حنا وحمد الباسل فلم تعد تدخل صدورهم شعاعه من امل ولا بصيص من رجاء ، ونادانى الرئيس وقال لى على مرأى ومسمع من الجميع : « استعد لنسافر الى باريس بعد غد » .

سعد يلح في ضرورة قطع المفاوضات

ثم التفت الرئيس الي الاعضاء جميعا وقال « ماذا تنتظرون بعد الآن ؟ »

« ان ملنر قد صارحكم بأن مشروعه قد اشتمل على اقصى ما يمكن لبريطانيا التساهل والتسامح فيه ، ولما كان هذا المشروع يصرح بان بريطانيا تضمن استقلال مصر ، وانها لهذا السبب يلزم ان يكون لها في مصر نقط عسكرية من جيش الاحتلال لتامين مواصلاتهم الامبراطورية ، وأن مصر لا تعقد معاهدة مع دولة أخرى من غير رضا بريطانيا ، وان ترتبط مصر ببريطانيا فى محالفة ابدية ، وأن يكون لبريطانيا حق مراقبة التشريع والقضاء والمالية في بلادنا فيما يختص بالاجانب ، وأن يكون لممثل بريطانيا السياسي في مصر مركز ممتاز ، ومتقدم ، على سائر ممثلي الدول ، فان هذه كلها عناصر الحماية الحقيقية السافرة ولا يمكن لواحد منا ان يقبلها بحال من الاحوال .

« ولا يمكن أن نقبل أن يكون هذا المشروع اساسا للمناقشة .

« واذن فلا معنى لبقائنا هنا بعد هذا الخطاب الصريح ، بل يجب السفر من لندن فورا الى باريس » .

عدلى يقترح تأجيل الجلسة

كان المنتظر أن يوافقوا بالاجماع على هذا الرأى وهذا القرار مدعمين بأقوى الحجج ، كان المنتظر أن يحزموا أمرهم فورا اذ ليس للموضوع وجه آخر ولا للامل نافذة واحدة ، ولكن عدلى اقترح تأجيل الجلسة الى صباح الغد حتى يفكروا هادئين مستقلين، حتى يفكر كل واحد على حدة ويبحث الموضوع والموقف بينه وبين عقله وضميره ، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

فوافقت الاغلبية على التأجيل ورفعت الجلسة على أن تعقد فى الساعة العاشرة من صباح الغد . وعند انصرافهم حرصت على

مقابلة صديقي محمد على علوبة الذي يأنس بي وأنس به · وهمست في أذنه أن يتناول معي العشاء ، هذا المساء حوالى الساعة التاسعة وقصدي من ذلك معروف · فقد أردت أن أعرف كل شيء من وجهة نظره وهو دائما رجل حصيف صريح مهذب منطقي حلو الحديث ، فاعتذر آسفا وقال انهم جميعا ذاهبون الآن للاجتماع بعدلي في فندقه « كلارج » وربما تناولوا جميعا طعام العشاء معه ·

الآن فهمت شيئا : أعضاء الاكثرية في الوفد لا يجدون كلاما يقولونه لرئيسهم سعد زغلول ويجدون كلاما كثيرا يقولونه لعدلي ويسمعونه من عدلي · ويأنسون اليه ، ويأنس اليهم ، وبين هؤلاء الاعضاء أنفسهم ورئيسهم سعد وحشة واى وحشة · منظر عجيب مدهش يحتاج الى تفسير ولكنى لا احاول تفسيره حتى يتبين لي وجه الحق الكامل ، وانى لو حكمت الآن لحكمت حكما قاسيا عليهم وما أريد ذلك فقد أكون غير ملم بكل الحقائق وما أريد أن أظلم أحدا ·

وعقب انصراف الاعضاء اختلى الرئيس سعد بواصف غالى، الزميل الموالى والاديب المفكر ، والذى يجيد الفرنسية أضعاف أضعاف اجادته للغة العربية ، اختلى الرئيس وصاحبه وأخذا فى اعداد خطاب الى ملنر بالفرنسية يتضمن انه لم يبق للوفد بعد انذاره الذى اشتمل عليه خطاب ملنر بالامس الا الاستئذان فى السفر ، وأعطانى الرئيس هذا الخطاب ليكتب على الآلة الكاتبة ، ولم أنصرف حتى تمت كتابته ·

جلسة للوفد صاخبة بين سعد والاعضاء

٢٣ يوليو :

حضر الاعضاء هذا الصباح وأعصابهم متوترة ظاهرة التوتر وحضر عدلي ورشدى كذلك « وكانت جلسة صاخبة ، قرأ الرئيس على المجتمعين الخطاب الذى أعده مع واصف غالى ليرسل الى ملنر فورا ، وهنا تقدم رشدى وأخذ ينصح ويوصى بضرورة سعة الصدر والتروى والهدوء · وأخذ الاعضاء يبدون ملاحظاتهم وعدم موافقتهم على صيغة الجواب ، واقترح عدلي أن يقابل ملنر لعقد جلسة أخيرة معه ، وثار الرئيس سعد وأخذ يصرخ بأعلى صوته ساخرا ومنتقدا لمظهر الضعف والتردد الذى شاهده ·-



حسين رشدى

ثم قال : « اننا سس اطس ر حتى نتمسك بأوهام اوهى من خيط العنكبوت ، الا ترون أن مشروع ملنر ومذكرته ليست الا الحماية تحت اسم آخر وطلاء جديد ؟ أى أمل هناك ، وقد بانت النيات اسطع من الشمس وأكثر احراقا منها ؟ ماذا تريدون وماذا تؤملون وماذا تنتظرون ؟ اننا يجب أن نسافر جميعا من لندن فنحفظ كرامتنا وكرامة امتنا، فما يليق بأمثالنا أن يتعلق بالاوهام » ٠

وهكذا ظل سعد يهدر غاضبا، وظل الاعضاء يردون غاضبين٠ وظل عدلى يثير الامل الخفى على استحياء فيتمسك به الاعضاء ، كما يتمسك الغريق بالقشة الطافية فوق سطح الماء ٠ واشتدت المناقشة بين الاعضاء والرئيس اشتدادا حمل المكباتى أن يرى فيه نية بعض الاعضاء على الانسحاب من الوفد ٠ فانسحب جانبا وكتب للرئيس كلمة يرجوه فيها بعدم التشدد تلافيا للفشل ، وانه قرأ على بعض الوجوه علامات الانسحاب من الوفد ٠

قرأ الرئيس الورقة ثم طواها وسكت ٠ وبعد قليل اقترح عدلى ووافقه الاعضاء على أن يأخذ الخطاب الذى أعده الرئيس مع واصف غالى ويطلع ملنر عليه ، ويستجلى منه حقيقة الامر ، فوافق الرئيس على هذا الرأى ، وانتهى الاجتماع ٠

انصرفوا جميعا ، وظل الرئيس فى حجرته وحيدا ، ودخلت عليه وهو مطرق فرفع رأسه ٠ ورأيته كالبناء الضخم ، فقلت له : « هل تسمح يا سيدى أن اجلس معك قليلا ؟ » ٠

قال : « اجلس ٠٠ انا فى حاجة اليك » ٠

الاعتراف الثامن

وبعد ان سكت قليلا قال : « انى الآن فى اشد المازق واحرج المواقف ولا أملك لنفسى تدبيرا · والتدبير لله وحده · وقد عودنى الله ان ينقذنى من كل ضيق ، ويخفف عنى كل شدة من حيث لا ادرى فلانتظر فرجه ، انى صابر والله يحب الصابرين » ·

فقلت : « انت على حق ·· والامة كلها معك فماذا يضيرك اذا خالفك المخالفون » ·

الاعتراف التاسع

فقال : « انى افكر كثيرا فيما يكون من أمرى ـ فقد اشتد الخلاف بينى وبين بعض الزملاء كما ترى ، وأصبحت لا أستطيع معاشرتهم ولا معاملتهم ، كما فقدت كل ثقة بعدلى · فماذا يكون من أمرى ؟

« خطر لى ان اتمارض وأنسحب ، ولكن ذلك جبن وفيه شبه هروب ·

« او أعلن عدم اتفاقى معهم وكل ذلك تقسيم وفيه ارتباك وتخريب·

« او أستمر معهم فى العمل ، وفى ذلك نفاق ومصانعة ، وما تعودت المصانعة والنفاق · اللهم أوسع حيلتى ، وأرشـــدنى الى المخرج السليم ·

« فما أريد لنفسى نفعا ، ولكنى لا أريد لها ضرا » ·

قلت : « يا سيدى أنت فى حاجة الى الراحة والنوم ، وبعد عن كل انفعال نفسانى ·· حسبك فخرا وارضاء لضـــميرك أنك قمت بواجبك الوطنى على أكمل وجه وسـتعرف الامة موقفك هـــذا ، وستخلد ذكرك على مر الاجيال ، فماذا يهمك الآن ؟ » ·

الاعتراف العاشر

قال والحزن يقطر من وجهه ، والمرارة تنساب مع كل كلمة من كلماته :

« مسكين انا يا كامل لانى اعيش فى غير جيلى وامتد بى أجلى حتى أرى زملاء لا تجمعنى بهم جامعة ، ولا تربطنى بهم رابطة ·

« قوم التفوا حولى ليستخدمونى فى اغراضهم ، لا أن استعملهم فى غايتى • فلما بان لهم بعد غايتى عن غايتهم ، انفضـــوا من حولى ، ثم عملوا على معاكستى ، وانقلبوا من صــــداقتى الى عداوتى • ولكنهم ما فعلوا الا ما يوافق طباعهم ويرضى أهواءهم • ومادام لا غرض لى الا المصلحـــه العامة ، وليست لى مصلحة خاصة ، فلا ينبغي لى ان احزن ، ولا لوم على اذا لم اصل الى تحقيق هذه المصلحة بسبب معاكسة الخارجين• ومضايقة المشاكسين واهمال المساعدين ، ويلزمنى أن أستمر فى موقفى احارب فيه حتي أسقط في ميدان الشرف ، ذلك خير لى من أن أولى الادبار ، وأركن الى الفرار ، خصوصا والامة لم تنفر منى ، بل وما زالت تلتف حولى ، فمن نكران الجميل أن أتخلى عنها قبل أن تتخلى عنى، وان اتركها فى هذا الوقت العصيب •

« وكلما جد الجد كان تحمله فضيلة والصبر عليه مكرمة • فلأتحمل ولأصبر والعاقبة دائما للمتقين الصابرين ! » •

عدلى يقوم بمحاولة جديدة

٢٤ يوليو :

حضر الأعضاء جميعا هذا الصباح وحضر عدلى بعدهم بدقائق واجتمعوا بالرئيس •

فقال عدلى :

انه اجتمع أمس بملنر ساعة كامـــلة وقد اطلعه على الخطاب الذى أعده الرئيس فقال ملنر انه لم يجل بخاطره مطلقـــا قطع المفاوضة ، واكد أنه مستعد للنظر فى التعديلات التى يريد الوفد ادخالها على مشروعه ، وأن عدلى وملنر اتفقا على البحث عن طريقة مرضية لاستئناف المفاوضات •

فحبذ الاعضاء هذه الفكرة وأظهروا الميل الى تأجيل الســـفر انتظارا لما عسى أن يعمله عدلى مع ملنر ، وهنا لاحظ الرئيس أن عدلى لم يأت بجديد لان اللورد ملنر نفسه صرح فى الخطاب الذى

ارسله بانه مستعد للنظر فى « ملاحظاتنا عليه » ، وهذا عين ما قاله لعدلى باشا ، ثم قال الرئيس : « انى مازلت أرى أن بقاءنا هنا فى لندن مضيعة للوقت، وغض من الكرامة الشخصية والقومية»

فطلب عدلى من الرئيس أن يتمهل قليلا لان عنده كلاما يريد أن يقوله فى خلوة ·

ثم انتقل عدلى من مكانه الى سعد ، وقاما معا الى حجرة مجاورة وانضم اليهما رشدى باشا الذى وصل الى لندن أمس ·

فقال عدلى : « ان ملنر عند قطع المفاوضة يريد أن يتكلم فى تقريره بخصوصكم ، لا بصفة اعتراض عليكم ، بل بصفة اعتذار عنكم ، ولا يود أن تكون المقاطعة مغاضبة وأن التسهيلات التى ينتهون اليها (اذا لم تقبلوها) تفيد فى أنهم لا يعدلون عنها ، بل يعرضونها من طرفهم لتكون أساسا لاتفاق بينهم وبين الامة فيما بعد » ·

فقال سعد : هل يريد ملنر فى هذه الحالة أن اسكت عن معارضة هذا الاساس ·

قال عدلى : أظن ذلك ، ووافقه رشدى ·

فقال سعد : اذا كان المراد سكوتى فانى لا أعطى وعدا به ، بل أحتفظ لنفسى بحرية العمل ·

فقال عدلى : لا حاجة الى وعد تعطيه ، وانما المسألة مسألة تفاهم بسيط على عدم المعارضة مؤقتا ·

وقال سعد : كل شىء يتوقف على الظروف ، وانتهى اجتماع الخلوة ·

هدف عدلى

وبعد انصراف الاعضاء أخبرنى الرئيس بانه فهم فهما غامضا بأن عدلى ورشدى يريدان الاستمرار فى المفاوضات بعد أن يقطعها الرئيس ، وأن أعضاء الوفد يميلون ميلهما ومستعدون للتظاهر بالانقسام اذا خالفهم الرئيس ·

فقلت له : ان قرائن الاحوال تدل على هذا الاتجاه دلالة واضحة، فقد أجمع الاعضاء معك على رفض مشروع ملنر وأجمعوا كذلك

على مشروع الوفد ومع ذلك فاغلبية الوفد ما زالت تؤيد عدلى فى نشاطه واتجاهاته وتصرفاته ، وتشجعه على الاستمرار فى ذلك رغم معارضتك ورغم علمهم التام بأن ملنر قد كشف عن نيـــاته الحقيقية فى محادثاته معك ، وفى خطابه الاخير مما لا يتفق مطلقا مع قضية الاستقلال · فقال سعد : « علينا الآن أن نعـــرف ماذا يجب أن يعمل » ·

•• ومشروع غير صالح

٢٥ يوليو :

علم الرئيس اليوم أن عدلي ورشدى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمي ومحمد على علوبة اشتركوا فى وضع مشروع جديد فى ثلاث عشرة مادة · بفكرة أن يكون الطريقة التى يرونها مرضية لاستئناف المفاوضات ، وان عدلي حمله بنفسه الى ملنر بدون أن يطلع الرئيس سعد عليه قبل أن يقدم الى ملنر ·

فاستاء الرئيس استياء شديدا لهذا التصرف ، وازداد استياؤه أضعافا مضاعفة بعد الاطلاع عليه ، وقال فى غضب : « ان هذا المشروع غير صالح لان يكون أساسا للمفاوضات لانه جامع لكل اركان الحماية ، ولا يجوز لنا أن نتفاوض على أساس الحماية » ·

٢٥ ـ ٣٠ يوليو :

حضر بعض الاعضاء ظهر اليوم لمقابلة الرئيس وتوسلوا اليه أن يؤجل سفره من لندن أياما قليلة حتى تتم مقابلة هامة بين عدلى وملنر يوم ٢٨ يوليو ، وهو الموعد الذى حدده ملنر لكثرة اشتغاله باجتماعات مجلس الوزراء البريطانى يوميا فى هـــذه الظروف الدولية العصيبة ، اذ أخذت الجيوش البولندية تنسحب فى شكل هزيمة منكرة أمام الانتصارات المتتالية للبولشفيك الروس ، وعلى الرغم من تهديد الحلفاء للروس البولشفيك بوقف زحفهم وسحقهم للجيوش البولندية أو يساعدون بولندة بكل الوسائل التى لديهم ، فان البولشفيك لا يكترثون لتهديد الحلفاء ويريدون أن تسلم لهم بولندا من غير شرط أو قيد ·

علوبة يطلعني على حقيقة معسكر الاغلبية

٢٦ يوليو :

اتصل بى تليفونيا هذا الصباح محمد على علوبة وقال :

ـ انى أرجوك أن تقبل الغداء معى اليـــوم · فقلت انى أقبله مع الشكر الجزيل ·

وقال ·· حسنا فاتفقنا على تناول الغداء فى مطعم بيكاديلى وأن تكون المقابلة فى ردهة الفندق ، فى الساعة ٣٠ر١ بعد الظهر· وقد عقدت العزم وأنا فى طريقى اليه الا أدخل معه فى مناقشة بل اتركه يتحدث ويفيض بكل ما عنده حتى أقف على الحقائق كلها والبواعث والاهداف لجماعة الاغلبية فى الوفد · ثم ماذا تفيـد المناقشة ؟ هل أنا أقوى حجة من الرئيس سعد الذى عجـــز عن اقناعه هو وزملائه ؟ اذن لا مناقشة وانما استماع بيقظة واهتمام ولا انسى أن نشاط المتكلم على قدر فهم السامع واهتمامه ، ولم يجد صاحبى من هو اكثر اهتماما منى بكلامه ولا أعظم تقـدير منى لبيانه ·

تقابلنا ودخلنا حجرة الطعام ، وفى أحد اركانها استقر بنـــا المقام ، وبدأ الكلام فقال :

« انا آسف لانى لم أتحدث اليك منـــذ أمد طويل » · فقلت « ما أشد حاجتى الى الاستماع الى رأيك والى تحليلاتك وتعليلاتك لما يجرى الآن من أحداث جسام ، انى لا أجـــد أمامى الا ظلاما وخصاما ·

فابتسم قائلا : « ان الشباب لا يرى الظلام ولا يعرف التشاؤم ، ولكنك معذور الى حد ما ·

وابتدأ الكلام فى قلق ظاهر عن مسالة القبض على عبد الرحمن فهمى ومن معه وما يجرى فى مصر الآن من المظالم البريطانية ، والاجراءات الاستثنائية والتعسفات العسكرية التى لا يقبلهـا عقل ولا يقرها قانون ، والتى ربما عرضت حياة هذا الرجل المخلص الوطنى النشيط الجرىء هو ومن معه لأشد الاخطار كالاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة ، ثم قال :

« الم تلاحظ ان كل هذا حصل عندما تعثرت المفاوضات هنا فى

لندن وأخذ سعد يهدد يقطع المفاوضات والعودة الى باريس ؟ ان الانجليز يعرفون تماما أن فشل هــذه المفاوضات سيحدث ثورة ثانيه في مصر فاعتقلوا مقدما عبد الرحمن فهمي وأصحابه وأعوانه حتى اذا قطعت المفاوضات لم تقم ثورة في مصر بسبب اعتقال كل من يمكن ان يتولى قيادتها أو اثارتها أو الاشتراك فيها ، فهو اجراء تحفظي من جانبهم لحمايه أنفسهم ومركزهم في مصر ككل اجراء تحفظي لمنع ارتكاب جريمة قبل وقوعها ، فلولا سعد وتهديده المستمر بقطع المفاوضات عند كل عقبة ، ولولا تشاؤمه المستمر من كل محاوله لوصل ما انقطع من المحادثات والتغلب على العقبات رغبة في الوصول الى اتفاق ، لولا هذا المسلك من جانب سعد لما رأيت كل هذا البلاء الذى نراه في مصر . وسعد مع ذلك ساخط علينا جميعا لاننا لا نميل ميله ، ولا نرى رأيه ، بل نرى ضرورة الوصول الى اتفاق . وهو يهدد باستمرار وفي كبرياء وعناد ، برفض كل رأى وكل اقتراح وكل فكرة لا تتفق مع رياســته في المفاوضات وضرورة قطعها والعودة فورا الى باريس ، ولو أطعناه ماذا بالله نستطيع أن نعمله في باريس ؟ وأى خير يعود على بلادنا المنكوبة المسحوقة المعذبة في اقامتنا في باريس ناعمين متعطلين ؟ ماذا نعمل وماذا نريد ؟ .. جرائد باريس لا تنشر للوفد شيئا ، لا مذكرة ولا بيانا ولا احتجاجا الا اذا كان ذلك في شكل « اعلان » فع ثمن كل سطر كما يدفع كل صاحب اعلان .

« هل نرجو مساعدة فرنسا ؟ فرنسا هذه التى بعثت الى فيصل ...غا نهائيا تأمره فيه بأن يعترف بوصايتها على الشام وبأن اللغة الفرنسية هي لغة البلاد ، وأن العملة الفرنسية عملتها والا حاربته وسحقته واحتلت حلب ودمشق فاحتج فيصـــل بما تحت يده من وعود مقطوعة وحاول المقاومة ولكن ماذا تنفع المقاومة العربيـــة ازاء الطائرات والدبابات والمدافع والجيـوش المـــدربة والمطامع الاستعمارية ؟ وكانت النتيجة عزل فيصل وسقوط الشـام كله في يد فرنسا الجمهورية .

هل نرجو مساعدة ايطاليا التى لا تستطيع أن تحرك اصبعا في وجه بريطانيا وفرنسا ؟ .. أم المانيا ؟ التى هزمت وقهرت وأذلت الى درجة لا يتصورها خيال ، لقد عارضت في تسريح كل جيوشها فدعا مؤتمر « سبا » الماريشال فوش ليحل المشكلة بضربة يحتـــل بها كل المدن ، فسلمت المانيا وسرحت جيوشها وعارضت أخيرا في مسألة الرور وحجمه الذى هو مصدر حياتها الاقتصادية فضــــلا

عن أنه المورد الوحيد الذى بواسطته تستطيع أن تسدد الغرامات الحربية الباهظة التى فرضت عليها فرضا ، فدعا مؤتمر « سبا » الماريشال فوش مرة ثانية ليحتل كل منطقة الرور ، فانصاعت المانيا وخضعت فى ذلة اليمة وهى تحاول هينا أن تناقش بالعقل والمنطق خصما عنيدا يريد شيئا معينا وهو عاقد العزيمة على الحصول عليه بالقوة القاهرة .

« أم نرجو مساعدة تركيا التى سحقت فى الحرب ومزقت اربا بجيوش اليونان وذخائر الحلفاء وطائراتهم وضباطهم واحتلالهم الاستانة (اسطنبول) بعد سقوط أدرنة فى أيدى اليونان ، ثم ترى جيوش مصطفى كمال تنسحب فى آسيا الصغرى الى الداخل من مكان الى مكان والحلفاء ينذرون تركيا بامضاء معاهدة الصلح الثانية أو تطرد نهائيا من الاستانة وكل أوربا ، فاستقالت الوزارة العثمانية ، ولكن سرعان ما الف السلطان وزارة تركية أخرى رأت من حسن السياسة أن تمضى المعاهدة الكريهة وهى صاغرة .

« أم نرجو مساعدة أمريكا التى أدارت ظهرها للعالم بعد أن فشل الرئيس ولسون فى تنفيذ مبادئه فى مؤتمر فرساى ، والآن عادت أمريكا الى عزلتها القديمة وعكفت على شئونها الداخلية بعد أن أكسبت بريطانيا وفرنسا وايطاليا الحرب . والآن قد خلا الجو لهؤلاء الحلفاء الغربيين ظلموا واستبدوا وطغوا فى كل مكان .. مع كل هذه الحقائق الظاهرة الصاعقة يريد سعد أن يعود الوفد الى باريس!

« حقا ان الوفد يستطيع أن يعود مرفوع الرأس محفوظ الكرامة ، ثم لا شىء غير ذلك ، ولكن السؤال الهام هو : ماذا يعمل فى باريس أو ماذا ينتظر اتمامه فى باريس ؟

« هذه أسئلة لا تخطر ببال سعد .. لا يكترث بها عند سماعها . فهو رجل خيالي أو مثالى أو قل فيه ما شئت الا أنه رجل عملى . ان الانجليز حاولوا أن يسحقوا فى مصر ثورة ١٩١٩ بغلظة ووحشية معدومة النظير فقد حرقوا القرى وقتلوا عددا كبيرا من الرجال والنساء والاطفال ، وهم الآن مسيطرون على مصر سيطرة مريعة بجيوشهم وموظفيهم واستعمارهم الوحشى فى كل مكان ..

« ونحن هنا نفاوض ونطالب بحقوق البلاد ، ومصر الآن تقف وحيدة فى وجه بريطانيا الغشوم التى تركتها الدول تفعل فى

مصر وفي غيرها كما تشاء لانهن أنفسهن مشغولات باعتـــداءات اكثر وحشيه وشناعة في بقاع اخرى ٠

« هل تظن ان بريطانيا تخشى راى التاريخ والعالم المتمـــدين فتتردد او تمتنع عن الفتك بمصر وبقتل المصريين بكل ما تملك من قوة ووحشيه ؟ وها هى الشام والعراق وتركيا وبلاد العرب تمزق كل يوم بأيدى اليونان والطليان والفرنســيين والانجليز ، ولا من سميع ولا مجيب ولا نافذ ولا مجير ٠

ثم استطرد علوبة فقال : « ٠٠ في هذه الظروف الدولية القاسية التعسة التي تحيط بنا ، وفي هذا الجو الخانق الذى تتنفس فيه ، وفي هذا العالم الظالم الذى ليس لنا فيه صديق أو معين او نصير، يريد سعد منا أن نقطع المفاوضات ونعـــود الى باريس ٠ فيزداد البلاء فى مصر بلاء ، ونحن عاجزون عن العمل في اى مكان ٠ أهذا أحسن وأفضل من الاستمرار فى المفاوضة هنا فى لندن عسى أن تنتج وساطة عدلي وصداقته للنر بعض الخير لبلادنا ؟ ولكن سعدا يقول ويكرر ، ثم يقول ويعيد ، ولا يتعب من القول والاعادة والتكرار بأن ما يعرض علينا خارج عن توكيلنا ، كأنه محام يترافع فى قضية عادية لا زعيم سياسي يتفاوض فى قضية سياسية ، ومع ذلك خذ قضية عادية ، سل اى مصرى أو اى انسان عاقل : اذا ان لك دين على رجل بمبلغ ١٠٠ جنيه وأنت تطالبه برد هذا الدين ذى تعهد مرارا برده وهو مع ذلك متعنت لا يريد رده فعـــلا ، يس هناك أية محكمة فى العالم تنصفك وتعدل وتحكم لمصلحتك، م يأتى هذا الرجل المدين ويبدى لك استعداده لرد ٧٠ جنيها من مذا الدين فهل ترفض لانه ممتنع عن رد الثلاثين الباقية أم تقبل السبعين وتنتفع بها ثم تستمر فىالمطالبة بحقك في المبلغ الباقي عنده»

وهنا سكت صاحبى قليلا فظننت انه يستريح او يستجمع باقى افكاره ، ولكنه التفت الى وقال : « انى أسالك انت بصفتك مصريا وطنيا متنورا هل تقبل السبعين جنيها أو ترفضها فى مثل هـــذه الظروف وتصر على المطالبة بالمائة كلها على أساس مبدأ « الكل أو لا شيء » ٠

ابتسمت لهذا السؤال المفاجيء ٠ وقلت : « ان هذا الســـؤال كما وضعته يختلف فيه اثنان بل لا يتردد فى الجواب عنه انسان وهو القبول حتما ، ولكنه سؤال ينطوى على تبسيط مسرف لمسألة

شديدة التعقيد . ولهذا أرى أن هذا السؤال لا يمثل الواقع والحقيقة تمثيلا دقيقا ، ذلك لان ملنر لا يريد أن يعطينا ٧٠ جنيها ويحتفظ بثلاثين ، وانما يريد أن يمنحنا هذه السبعين بالشروط الآتية :

١ ـ أن يستمر ساكنا معى فى البيت أى يستمر محتلا لبلادى يهدد بوجوده حياتى .

٢ ـ أن يعين لى مستشارا ماليا يشاركنى فى عملية صرف السبعين جنيها ، فلا أستطيع أن أصرف شيئا الا بموافقته ، فاذا عارض استحال الصرف .

٣ ـ ان اظل مقيدا برأيه فلا اصادق الا من يرضى عنه ، ولا اخاصم الا من يسخط عليه .

٤ ـ ان يتولى هو الدفاع عنى ، وحمايتى من أى اعتداء يقع على ، وهذه هى الحماية بعينها .

٥ ـ أن يعقد معى محالفة أبدية ، فلا يتركنى ابدا ولا أستغنى عنه ابدا .

« اليست كل هذه الشروط عناصر الحماية ومقوماتها ، وهى الحماية التى قامت الامة قومتها للخلاص منها ؟ وماذا بقى لى بعد ذلك من الحرية والاستقلال فى التصرف فى مبلغ السبعين جنيها ؟ لا شىء .. لو أنك وضعت سؤالك من غير هذه الشروط فالجواب بداهة بالقبول .

فضحك صديقى محمد على علوبة وقال : « وهو كذلك . ولكن اليست وظيفة المفاوض المصرى أن يجتهد فى تعديل هذه الشروط وتخفيفها أو العمل على ازالتها ؟ أليس واجبه أن يصبر ويصابر ويفكر ويدبر للخلاص مما يضيق به ، وينفر منه ثم يتحايل بالصيغ والاساليب لادراك ما يريد ؟ أليس هذا عمل السياسى المفاوض »

فلم اشأ أن ادخل معه فى مناقشة ثانية فاقول له مثلا ان الرئيس سعدا قد فاوض ملنر طويلا ، وفكر ودبر وصبر وصابر ، وتحايل بشتى الوسائل لابعاد الحماية وشبحها عن مصر فلم يوفق ، لم أشأ أن اقول هذا حتى لا ادخل فى جدل عقيم ، وحسب الرجل فضلا انه اتعب نفسه وشرح لى وجهة نظره شرحا مستفيضا ، وهذا بالضبط ما كنت انشده وأسعى اليه فحصلت عليه .

حديث مع محمد محمود

٢٧ يوليو :

زارني اليوم في مكتبي محمد محمود باشا وأنا أتصفح الجرائد الانجليزية وسالني عن بعض الامور ثم دعاني للغداء معه حيث جرى حديث عن صحة الزعيم سعد وما عكسته عليها طبيعة المفاوضات العقيم · ثم قال محمد محمود باشا : « ان المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، ليست مفاوضة بين ندين متعادلين ، وانما هي مفاوضة بين القوة المسلحة والحق الاعزل : مصر تقول ان بريطانيا وعدتها بالجلاء ٦٣ وعدا ، فتجيب بريطانيا ، وليكن ١٦٣ وعدا أو اكثر ثم ماذا ؟ ومصر تقول ان عليك يا بريطانيا أن تنفذى وعودك · فتجيب بريطانيا : لا أفعل ولا أنفــذ لانّ ذلك ليس من مصلحتي · ومصر تقول : هل هذا حق ؟ فتجيب بريطانيا وماذا تريدين ؟ انى بحثت عنك اكثر من مائة سنة للاستيلاء عليك وحمدت الظروف التى أوقعتك في يدى ، فكيف أتركك الآن ؟ ومصر تقول : انى أريد أن أعيش حرة مستقلة ، فتجيب بريطانيا ، أستطيع أن أجعلك تعيشين حرة نصف مستقلة فلا تنتظرين منى اكثر من ذلك ·

« هذا هو الوضع تماما ، وسعد يريد الاستقلال مائة في المائة وهذا محال · أليس من الافضل أن نحصل على شيء ونتقوى به ثم نطالب بغيره ، الا ترى أن مبدأ الكل أو لا شيء مبدأ خطير ·· لقد تحدثت في هذا الشأن مع سعد أمس فلم يوافق بل رفض في اصرار » ·

الفصل الرابع

٢٩ يوليو :

• قابل عدلى ملنر الذى اخبره بان بريطانيا تتشبث بامور اربعة كل التشبث ، ولا مندوحة منها :

١ ـ أن تكون مشرفة على التشريع للاجانب •

٢ ـ أن تحتل منطقة القنال لتامين مواصلاتها الامبراطورية •

٣ ـ الا تعقد مصر معاهدة سياسية من غير رضا بريطانيا •

٤ ـ أن يكون لممثلها السياسى فى مصر صفة خاصة ، وأن يكون مقدما على سائر ممثلى الدول السياسيين •

وفى المساء اجتمع الوفد بكامل أعضائه وأبلغ عدلى هذه النقط الاربع اليهم ، وقال انها لاشك تقدم محسوس ، فاظهر لطفى السيد وعبد العزيز فهمى اعجابا شديدا بالتوفيق الذى أدركه عدلى وقدما الشكر اليه •

وقال الرئيس : « هذا اخف انواع الحماية واقل انواع الاستقلال• اما النقطة الاولى : فخطورتها محدودة وان كانت انجلترا ستتخذ منها ذريعة للتدخل فى كل عملية تشريعية على انه يمكن تخفيف ذلك على ما أرى بأن تقتصر معارضتها فى القوانين التى لا نظير لها فى قوانين الدول صاحبات الامتيازات •

« واما النقطة الثانية : فهذه غاية الخطورة لانه يصح ان تتدخل انجلترا بجنودها فى أى اضطراب داخلى بحجة انه يهدد القنال او مصالح الاجانب فتحرم مصر بذلك من عمل أى تغيير فى الانظمة الداخلية التى لا بد منها حسب سنة التطور العالمى ·

واما النقطة الثالثة : فهى مظهر من مظاهر الحماية ·

« واما النقطة الرابعة : فهى مظهر صارخ جدا من مظاهر الحماية ودليل على تبعية مصر لبريطانيا » ·

فقال عدلى انه قضى ثلاث ساعات مع ملنر وهرست ، وكان هرست أكثر تشددا ويكرر السؤال لماذا لا تقبلون الحماية ؟ وقال ملنر لعدلى ان الاتفاق بينه وبين سعد بعيد · وانه تساهل كثيرا رغبة منه فى الاتفاق على هذه النقط الاربع التى لابد لبريطانيا منها ، كما صرح ملنر بأنه سيقدم تقريره بعد أسبوعين او ثلاثة وأنه يرجو أن سعدا لا يعارض ما يتضمنه تقريره من المقترحات عند عرضها على مصر · فقال عدلى ان ذلك يتوقف بطبيعة الحال على نوع الاقتراحات وأنه يظن أن سعدا لا يرضى أن يعطى وعدا صريحا بذلك ·

فقال ملنر : « انى لا اطمع فى الوعد الصريح ، وكل رغبتى أن يعودوا من هنا غير غاضبين ومعلنين الحرب على آرائنا وخطتنا »·

فوعد عدلى أن يتكلم مع الرئيس ومع اعضاء الوفد فى ذلك ·

وهنا قال سعد لعدلى : « انى لا اعد بشىء · وأريد أن احتفظ بنفسى بحرية العمل » ·

ثم تداول الوفد فى قطع المفاوضة وطريقتها ، وأجل قراره الى ما بعد مقابلة عدلى لملنر ·

مصادمة بين سعد وعلوية بسبب اقتراح من ملنر

٣١ يوليو :

كان الوفد مجتمعا برياسة سعد كالعادة وحضر عدلى وقال انه اجتمع فى الصباح بملنر فاكد على انه شديد الرغبة فى الاتفاق

مع الوفد ، وأنه يرى أن يجتمع معه هو وهرست ورتل وود وسيندر يوم الثلاثاء القادم لبحث المشروع الذى وضعه عدلى بمعاونة عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ، وأن ملنر أطلعه على مذكرة من حكومة اليونان بأنها تقبل التنازل عن الامتيازات اذا بقيت الحماية • أما اذا حدث تغيير فانها تعود كما كانت من تلقاء نفسها ، وزاد ملنر بأن قال لى أن الدول الاخرى تنحو جميعا هذا النحو ، وأنه مع شدة رغبته فى أن يعقد مع الوفد اتفاقا يلزمه بأن يقدم لحكومته تقريرا ، وأنه يفهم جدا أن الوفد لا يمكنه أن يؤيد مشروعا الا اذا كان تحت يده وعد من الحكومة البريطانية بتنفيذه من جانبها • وما كاد عدلى يتم كلامه حتى قال لطفى السيد حسن جدا نشكر معاليكم • وعد الباقون من الاعضاء هذا القول خطوة واسعة نحو الاتفاق ، وأنه فتح بابا جديدا للامل •

وفى ختام الجلسة بعد انصراف الاعضاء ، همس عدلى فى أذن سعد بأن ملنر طلب منه أن ينتدب الوفد محمد على علوبة ليتناقش مع هرست فى « مشروع هرست » الخاص بموضوع الامتيازات الاجنبية ، فاستغرب الرئيس تدخل ملنر فى شئون الوفد الداخلية الى هذا الحد ، وقال ان عبد العزيز فهمى أقدر منه على هذا الموضوع لانه سبق له أن درسه وعلق عليه • وأراد سعد التذرع بهذه الحجة لمنع تدخل ملنر فى شئون الوفد الداخلية •

وعندما تقابل سعد مع محمد على علوبة قال له : « لماذا اختارك ملنر لتتناقش مع هرست فى مشروعه » ؟

فقال محمد على علوبة (غاضبا) : « لانه يعلم انى سأخون وطنى وأوافقه على ما يريده » •

فقال سعد : « أستغفر الله انك لم تفهم قصدى » •

فقال محمد على علوبة : « هذا لا يهم » • فاستاء سعد وغضب من هذا الرد الجاف • وهكذا تسوء العلاقات الشخصية يوما بعد يوم بين الرئيس والاعضاء بسبب توتر الاعصاب وانعدام الثقة •

وفى مثل هذه الظلال الثقيلة لا تعيش مودة ولا تبقى كياسة بل تموت فى جوها الخانق كل لباقة •

مقالة خطيرة فى جريدة التيمس موعز بها

٢ اغسطس :

نشرت جريدة التيمس اليوم مقالة شنيعة اللهجة جاء فيها :

« المفاوضات بين لجنة ملنر والوفد المصرى قد طالت اكثر مما ينبغى ، وحق على الوفد أن يكون قد عرف بالضبط نيات لجنة ملنر ومدى ما هى مستعدة للذهاب اليه من التساهل ، كما أن الوفد لا بد أن يكون قد شرح للجنة كل ما عنده من آراء ، واذن يجب على الوفد أن يفهم أن هناك حدا لصبر اللجنة والمشتغلين بالمسألة المصرية ، وخير لزغلول ورفاقه ألا يسيئوا تفسير روح المسالمة التى ظهرت بها اللجنة ازاء هذه المسألة المعقـــدة ، وأن ينتهزوا فرصة استعداد اللجنة لاجابة المطالب المصرية المعقـــولة ، والا فلا معنى لاستمرار المفاوضات وضياع الوقت بغير طائل ، والاولى أن تستأنف اللجنة اكمال تقريرها الـذى قطعته رغبة منهـــا فى الاستماع الى زغلول ورفاقه وأصحابه » .

هذه مقالة موعز بها من غير شك ، والا ما تجرأت جريدة عالمية محترمة كجريدة التيمس أن تنشر كلاما كهـــذا بغير وحى رسمى هبط اليها من الحكومة البريطانية أو من ملنر نفسه ، فدعا الرئيس اعضاء الوفد فورا عقب فراغى من ترجمة هذه المقالة واطـلاعه عليها وقال للاعضاء :

« ان الانجليز كما ترون لا يريدون أن يزيدوا شـــيئا على ما اقترحوه حتى الآن ، وأن أحسن ما نصنع هو المبادرة بالسفر » .

ثم حضر عدلى أثناء الاجتماع ولم يجد كلاما يقوله سوى أنه لم يشعر من ملنر بأنه ضاق ذرعا بالحديث والمفاوضة ، وأنه على موعد معه ظهر اليوم ، بل انه على العكس راغب فى الاستمرار . فقال سعد أنه سيسافر من لندن يوم ١٠ اغسطس وأنه حدد هذا التاريخ البعيد حتى يتمكن الاعضاء من تدبير شئونهم الخاصة حتى يسافروا معه ، وأن البقاء فى لندن أصبح لا يطاق ولا يمكن تبريره بحال من الاحوال لا سيما بعد هذا الكلام الصريح الوارد فى المقالة الافتتاحية لجريدة التيمس .

بين ملنر وعدلى

ولما بلغ هذا الخبز الى ملنر بواسطة عدلى ، كتب ملنر خطابا يخبط بده انى الرئيس سعد يعتذر فيه عن التأخير والتطويل . ويشير الى أن المحادثات الجارية بينه وبين عدلى جرت بناء على اقتراح الوفد وأنه سيجتهد في الانتهاء منها قريبا ، والح في الرجاء أن يبقى الرئيس والوفد بضعة ايام اخرى ، فقبل سعد هذا الرجاء ، ولكنه لاحظ أن المناقشة مع عدلى كانت بناء على اتفاق بين ملنر وعدلى ولا شأن لسعد وللوفد بها كما اشار اليه ذلك الخطاب .

وقد استمر عدلى يقابل ملنر ويتحادث معه للبحث عن الطريقة المرضية لاستئناف المفاوضات ، وكان عدلى يحضر لمقابلة الرئيس وأعضاء الوفد عقب كل اجتماع ويروى ما دار من المناقشات فى الموضوعات المختلفة .

خطاب من سعد الى النحاس

٣ اغسطس :

كتب الرئيس اليوم خطابا الى مصطفى النحاس جاء فيه :

« يؤسفنى أن أكاشفكم باننا لم نعد نرى من السهولة فى المفاوضة ما صادفناه في بدايتها . واصبح الامل لا يهش لنا مشاشته الاولى ، وقبض القوم يدهم بعد أن بسطوها . وعدلوا عن بعض المسائل التى كنا نظن أن الاتفاق تم عليها ، وهم يطلبون الآن منا أن نقبل النقط الاربع الاتية :

١ ـ أن تكون بريطانيا مشرفة على التشريع للاجانب .

٢ ـ أن تحتل منطقة القنال لتامين مواصلاتها الامبراطورية .

٣ ـ أن لممثلها السياسى فى مصر صفة خاصة وأن يكون مقدما على سائر الممثلين السياسيين للدول الأخرى .

٤ ـ الا تعقد مصر معاهدة سياسية من غير رضا بريطانيا .

وفوق هذا فقد طرأت مشكلة اخرى وهى أن الحكومة البريطانية لا تريد على ما يظهر أن يتم الاتفاق على اعترافها باستقلال مصر

قبل أن نتأكد من قبول الدول لقيامها مقامهن فى الامتيازات الاجنبية، ونقترح بناء على ذلك ان يكون الاتفاق بيننا وبينها معلقا على هذا القول ٠

« هذا مركز المسألة الآن ٠ ولا أدرى ما يأتى به الغد »

سعد زغلول

٦ أغسطس :

اجتمع الوفد وحضر عدلى وقال انه قابل ملنر الذى قال له :

« ما معنى سوء الظن بنا ، سيكون لمصر برلمان ووزارة مسئولة أمامه ومستشار للمالية ليس له فى الواقع والحقيقة الا ما لصندوق الدين من حقوق ، فهل كل ذلك ليس دليلا قويا مقنعا لكم على حسن نيتنا ؟

اننا لا نريد أن تكون جنودنا فى منطقة قنال السويس لانهـا منطقة دولية ومحايدة حسب المعاهدات القائمة الآن ٠ فلا مندوحة لنا من ابقاء جنودنا فى الداخل قليلا اى فى جهة التل الكبير أو الزقازيق مثلا وأن يسمح لنا بنقل جنودنا من مكان الى آخر فى السكك الحديدية المصرية لارسالها الى الســـودان أو الى الشرق فهل هذا كثير على مصر أن تقبله وترضاه وأن يؤيده زعماؤها الآن ٠ ونحن فى يدنا كل شىء فى الوقت الحاضر ، ومستعدون أن نتخلى عنه فى مقابل هذه المطالب المتواضعة ؟ »

فقال سعد : « انى قلت لملنر مرارا وتكرارا اننا لا يمكن أن نقبل ذلك وأن مطالبنا أساسية كالغاء الحماية واعلان الاستقلال ، وهو مع ذلك يلف ويدور ويكرر مطالبه الاستعمارية بلا خجل وينتظر منا أن نتعب ونسأم ونسلم بها فى النهاية وهذا مستحيل ٠ وأما عن سوء الظن بالانجليز فعندنا الف دليل ودليل على حقنا فيه ٠ وأقرب دليل على صحته قبضهم على عبد الرحمن فهمى واخوانه ظلما وعدوانا والاجراءات الاستثنائية التعسفية الظالمة التى لجأوا اليها أخيرا فى محاكمتهم ، واستمرارهم فيها رغم المفاوضات » ٠

سعد مصمم على السفر من لندن واعضاء الوفد مرتبكون

الرئيس مصمم على السفر من لندن الى باريس يوم الثلاثاء القادم ١٠ أغسطس والاعضاء منقسمون فى الرأى فى مســـألة

السفر . فقام الرئيس وتركهم وذهب الى حجرته والارتباك ظاهر بين صفوفهم . فلا هم قادرون على اقناع الرئيس بضرورة البقاء فى لندن ، ولا هم قادرون على اقناع انفسهم بضرورة السفر الى باريس ، ولا هم قادرون على تقديم حجة واحدة تبرر البقاء فى لندن أياما أخرى ، ولا هم قادرون على التخلف فى لندن اذا سافر الرئيس وحده أو مع بعض الاعضاء الى باريس ، ولا هم قادرون على قبول ما عرضه عدلى عليهم أخيرا خصوصا بعد أن أظهر الرئيس سخطه الشديد عليهم ، ولا هم قادرون على تكليف عدلى بمهمة جديدة تبرر الاقامة فى لندن بضعة أيام أخرى ، ولا عدلى قادر على أن يقول كلاما جديدا يبرر البقاء أو يشجع على الامل . فما العمل ؟ ..

السفر كريه . والبقاء كريه ، والامل معدوم . والأفق امامهم غيوم وهموم ، ارتباك وحيرة وقنوط ، وعجز تام عن الوصول الى قرار حاسم .

فانصرفوا بين ساخط وقانط وبين اقل أمل صاعد ويأس هابط .

ولابد على كل حال من الوصول الى قرار فى جلسة الغد فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، فالى جلسة الغد مصير الامور .

◎❖◎

خرج عدلى وخرج الاعضاء معه ووراءه وليس بينهم وجه باسم ولا حتى وجه غير عابس وعلمت من صديقى محمد على علوبة انهم ذاهبون الى عدلى لاستئناف الاجتماع به فى فندق (كلاردج) للتشاور فى الموقف العصيب الرهيب الكئيب .

— وعلمت بعد العشاء (من حمد الباسل) أن عدلى سيقابل ملنر غدا صباحا . وجلسة الوفد فى المساء .

٧ أغسطس :

ذهب عدلى لمقابلة ملنر فى الساعة العاشرة صباحا (فى بيته) ما الغرض من هذه المقابلة ، وماذا يرجى منها ؟

ان مهمة عدلى شاقة جدا لانه يريد الا ينقطع حبل المفاوضة بين الوفد واللجنة على ما يظهر لى ، ولانه يحاول التوفيق بينهما لتبدأ المحادثات بين ملنر وسعد مرة أخرى ، فهل بقى كلام جديد لم يقله أحدهما للآخر ؟

الوفد لا يستطيع أن يقبل مشروع ملنر ·

وملنر لا يستطيع أن يقبل مشروع الوفد ·

وسعد يريد السفر فورا ايذانا بفشل المفاوضات وقطعها . لانها كانت في نظره ماساة ومهزلة ولا خير فيها على الاطلاق ·

وملنر لا يريد هذا السفر ولا يريد فشل المفاوضات ولا يريد قطعها وانما يريد التفاهم مع الوفد على شيء واعضاء الوفد لا يريدون هذا السفر ايضا ولا يريدون فشل المفاوضات ولا يريدون قطعها ، ويريدون التفاهم على شيء · .

وملنر يعرف هذا كله عن سعد ورغباته ، وعن اعضاء الوفد ورغباتهم ·

فهو يشد ويرخي ، ويتصلب ويلين ، ولكن « هذه اللعبة » لا يمكن أن تستمر الى ما لا نهاية ·

فماذا يريد في الحقيقة ؟ لا أعرف بالضبط ·

لعل سياسته هذه المتمثلة في « لعبته » سببها الحقيقي خشيته أن تنفجر الثورة من جديد في مصر اشد مما كانت أول مرة ، أو لعل السبب مجرد رغبته في ابقاء الحالة هادئة في مصر في الوقت الحاضر على الاقل ، أو قائمة على رغبته في تطور مسألة المؤامرة والمحاكمة التي تجرى في مصر الآن تطورا يمكن الانجليز من معاكسة الوفد في شكل جديد والخلاص منه في النهاية ؛ أو لعلها قائمة على رغبته في احداث انقسام حاسم كامل في الوفد ؟ ويتحطم الوفد بعد ذلك وازالته من الطريق ·

لا أعرف سر هذا التسويف في الحقيقة ، ولكن لا بد له من نهاية ، ونهايته في مساء هذا اليوم نفسه ·

خطاب للزعيم من ملنر

حضر أخي حسين ظهر اليوم من لفربول لزيارتي لاني سبق أن اخبرته اننا مسافرون من لندن يوم ١٠ الجاري · وبينما نحن نتناول الغداء معا حوالي الساعة الثانية بعد الظهر حضر الدكتور حامد محمود وابلغني أن الرئيس يريد مقابلته حالا لمسألة خطيرة ، وهمس في أذني أن خطابا من ملنر وصله منذ دقائق ·

فذهبنا أنا وأخى معا الى فندق كارلتـون ، وقابلت الرئيس فاعطانى خطاب ملنر (وهو مكتوب بخط يده من أوله الى آخره) وطلب الى أن أترجمه فورا قبل حضور الاعضاء فى الجلسة الحاسمة المنتظرة فى الساعة الخامسة مساء ·

مشروع جديد لملنر

وخطاب ملنر هذا يتلخص فيما يأتى :

– رجاء خاص الى الرئيس ألا يتشبث بالسفر يوم ١٠ أغسطس، ان انتظار بضعة أيام أخرى يساعد على التفاهم وايجاد حل جديد ·

– وأن ملنر وضع مشروعا جديدا فى قالب جديد على أساس مشروع عدلى الذى وضعه مع بعض أعضاء الوفد بمعنى أنه وفق بين مشروع ملنر القديم (اذ اقتبس بعض مواده) وبين مشروع الوفد (اذ اقتبس منه اعتراف بريطانيا باستقلال مصر وبأنهـا دولة دستورية ذات أنظمة دستورية) ·

وفى الساعة الخامسة مساء :

اجتمع الوفد وحضر عدلى وتلا الرئيس عليهم خطاب ملنر كما ترجمته فتحول العبوس الى ابتسام ، وزال كل ظـلام ، ووافق سعد على تأجيل السفر فازداد الابتسام عمقا ، وازداد الانشراح اتساعا وتمت المعجزة ، وانجابت الازمة ، ويخلق ما لا تعلمون ·

ولكن ·· هل زالت الازمة حقا ؟ هل تمت المعجزة حقا ؟ أم أن هذا الابتسام وهذا الانشراح العام يثيرهما سراب لا ماء فيه ؟ هل هما باقيان ؟ أو هما كسحابة صيف عما قريب تنقشع ؟ سنرى·

٨ اغسطس :

رد الرئيس على ملنر بخطاب صباح اليوم ، وفيه يجيبه الى رغبته فى البقاء بضعة أيام أخرى ، ما دام ملنر يرى أن هـذه الايام القلائل كافية لايجاد حل يرضى الطرفين ·

لم يجتمع الوفد اليوم · وخرجت مع الرئيس للرياضـة فى هايدبارك ·

٩ اغسطس :

حضر عدلى بعد الظهر وكان الوفد مجتمعا • وقال انه اطلع على المشروع الجديد الذى وضعته لجنة ملنر « وهو احسن قليلا من مشروعهم السابق » • ولكن الانجليز لا يمكن أن يتزحزحوا عن عزمهم في ابقاء قوة عسكرية فى مصر لتامين المواصلات الامبراطورية وانهم سيرسلون هذا المشروع غدا ، وربما تحددت جلسة يوم الجمعة القادم ١٣ اغسطس بين سعد وملنر للمناقشة فى هذا المشروع •

وهكذا ظهرت بوادر السراب •

سعد يفند مشروع ملنر

طلب منى الرئيس أن أعود اليه بعد العشاء فى الساعة التاسعة مساء ، وهو لا يضن على بكل آرائه وخوالج نفسه لانه يعلم انى اكتب « مذكرات » يومية عن سير المفاوضات وقال : « ان لجنة ملنر تهدف الى غايتين بارزتين ليس أخطر على مصر منهما :

« الاولى : ابقاء قوة عسكرية بريطانية فى مصر أى استمرار الاحتلال برضاء المصريين وموافقة زعمائهم •

« والثانية : مراقبة التشريع الخاص بالاجانب أى اســـتمرار التدخل فى شئون مصر الداخلية •

« ومن هاتين الغايتين تتفرع كل مصلحة لبريطانيا فى مصر • وهذه هى الحماية بعينها ذلك لان « كلمة الحمـــاية » فى غاية المرونة ، وهى تشمل كل أنواع التدخل وكل أعمال العنف كما هو الحال فى مصر هذه الايام ، كما تشمل أخف أنواع الرقابة وأخف أنواع الضغط وللدول القوية الحامية أن تلجأ الى احدى الحالتين كلما تراءى ذلك لها •

« وان بريطانيا قد حصلت على اعتراف جميع الدول بهـــذه الحماية التى فرضتها على مصر •

« والقانون الدولى يقول انه اذا أخذت دولة متمدينة مراقبـــة شئون دولة ضعيفة للاجانب فيها امتيازات ، زالت هذه الامتيازات بطبيعة الحـــال تحت نظام هذه الحمـــاية لان المفروض فى نظام

الامتيازات ، ان الاجانب لا يخضعون لقوانين هذه الدولة الشرقية المتأخرة بحجة أن العدل لا يرجى فى قضائها · ولكن اذا تولت دولة أجنبية أمر هذا التشريع فى هذه الدولة الشرقية المتاخرة سقطت حجة الدول الأخرى فى التمسك بهذه الامتيازات · ولكن هذه الدولة الاجنبية (فى حالة مصر) لا تستطيع أن تتنازل عن امتيازاتها لان الحماية عقد بين الحامى والمحمى والمصريون يرفضون هذه الحماية ، ومن هنا يتضح سعى بريطانيا ورغبتها فى الحصول على موافقة مصر على وضع التشريع للاجانب فى يد بريطانيا ، والانجليز يوهموننا فى الوقت عينه بان هذا فى مصلحتنا بحجة أن فرض الضرائب يسرى على الاجانب فى المستقبل ، ولا يخفى ما فى هذا من فائدة مالية عظيمة لمصر · ولكن الواقع ان انجلترا (اذا وافقت مصر فى هذه النقطة) تصبح فى نظر الدول حامية لمصر فعلا وقانونا وتكون بالتالى حامية للاجانب من قوانين البلاد ، ولا يخفى ما فى هذا من الخطر السياسى الوبيل على مصر ، فضلا عن أنه يجعل لانجلترا الحق فى التدخل فى كل الشئون الادارية بحجة انها تضر بالاجانب، فياتى المندوب السامى البريطانى مثلا ويطلب من الحكومة عزل مدير ما لانه ظلم الاجانب بقرار أو بمشروع قام به أو يعارض فى انشاء ترعة بحجة أنها مضرة بمصلحة بعض الاجانب · والاجانب بطبيعة الحال منتشرون فى أنحاء البلاد لا فى بقعة واحدة ، ولاتفصلهم عن المصريين حواجز ، لذلك كانت هذه النقطة فى المعاهدة المنتظرة شديدة الخطورة ، وتترك لممثل بريطانيا سلطة واسعة هائلة وتزداد هولا بوجود قوة عسكرية انجليزية فى البلاد · ان المرء كلما فكر فى هذا المشروع امتلأ خوفا وجزعا ، وأيقن أن وجود برلمان تام السلطة ووزارة مسئولة امامه وغير ذلك يمكن كله أن يشل شللا كبيرا أو يزول من الوجود فى مصر بجرة قلم · والحكم يومئذ للقوة وللحقوق التى فى يد بريطانيا بموافقتنا · ان بريطانيا تريد أن تخدعنا وتفهمنا اننا مستقلون فى نظرها · ولكننا (فى نظر الاجانب وسائر الدول) تحت الحماية والمراقبة البريطانية ·

ونحن وان كنا لا نكون جزءا من الامبراطورية البريطانية فاننا فى الواقع سنكون فى دائرتها المرنة ، تدافع عنا بريطانيا كما تدافع عن اى جزء من أجزاء امبراطوريتها ونلتزم لها بالتزامات كبيرة كأن تضع كل سككنا الحديدية ومحطات الطيران وما الى ذلك تحت تصرفها · ان بريطانيا تريد ان توهمنا انها تسعى

لتخليصنا من مصيبة الامتيازات الاجنبية ، ولكنهـا فى الواقع تريد حصرها فى يدها هى لا ازالتها نهائيا • وهى بذلك تجعل هذه الامتيازات مؤبدة عندنا لا مؤقتة بطبيعتها الحاليه • بينما لو تركنا وشاننا امكننا ان نقنع الدول فيما بعد باننا اكفاء على الحكم، عادلين فى التشريع • فترتفع عنا قيود هذه الامتيـازات التى قيدونا بها • المركز الآن عسير والخطب جلل » •

هذه هى ملاحظات الرئيس وبياناته سجلتها كتابة عقب خروجى من عنده مباشرة ، وقد ثبت لى بانصع دليل أنه شديد الذعر والهلع من هذه المسألة ، بينما أغلبية الاعضاء لا يشاركونه فى مخاوفه واستجاباته •

فلننتظر الى الغد لنرى المشروع الجديد ، وما الغـد لناظره ببعيد •

وثيقتان من ملنر

١٠ اغسطس :

فى منتصف الساعة السادسة مساء حضر عدلى ومعه وثيقتان:

١ ـ خطاب من ملنر الى سعد •

٢ ـ المشروع الجديد الذى وضعته لجنة ملنر على زعم انه قائم على أساس مشروع عدلى الذى حاول فيه التوفيق بين مشروع ملنر الاول ومشروع الوفـد السـابق • وقد سلمت الى هاتان الوثيقتان لترجمتهما الى اللغة العربية ففعلت وانتهيت من الترجمة فى منتصف الساعة العاشرة ليلا •

أما الخطاب فيتلخص :

أولا : فى دعوة الرئيس سعد الى مقـابلة ملـنر فى وزارة المستعمرات يوم ١٣ أغسطس الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر لاستئناف المفاوضات على أساس المشروع الجديد •

ثانيا : لفت النظر الى أن المشروع الجديد قد بين الاسس التى تقوم عليها تسوية المسألة المصرية على أحسن وجه ممكن لمصلحة بريطانيا ومصلحة مصر معا •

ثالثا : ان ملنر وأعضاء لجنته مستعدون لان يشيروا على الحكومة البريطانبة بقبول السياسة التى وضعت دعائمها فى المشروع الجديد اذا اقتنعوا أن زغلول باشا وأعضاء الوفد مستعدون من جهتهم أيضا للدفاع عنها والترغيب فيها فى مصر ٠

رابعا : أن يستعمل الوفد كل نفوذه حتى يحصل على موافقة دمعية وطنية مصرية على عقد معاهدة على الاساس المبين فى المادتين ٣ ، ٤ من المشروع الجديد ٠

خامسا : لفت النظر الى أن الفريقين (الانجليزى والمصرى) اذا لم يتحدا قلبا وقالبا على تأييد هذا المشروع ، فان النجاح يصبح عسيرا ان لم يكن مستحيلا ٠

النص الكامل لمشروع ملنر

فيما يلى « ترجمة حرفية للنص الكامل للمشروع الجديد » آثرت تسجيله كاملا :

١ ــ لانه مشروع بريطانى تقدمت به هيئة رسمية بريطانية لتسوية المسألة المصرية بعد مفاوضات أجرتها مع هيئة شعبية مصرية ٠

٢ ــ ولان المشروع عظيم الخطر والاهمية التاريخية مما هز البلاد هزا عنيفا طويلا وأحدث انقساما فى صفوف الامة المصرية ، وتصدعا فى كيان الوفد نفسه ٠

٣ ــ ولانه المشروع الذى كان مبدأ سياسة جديدة لبريطانيا فى مصر ، وكان الخطوة الاولى فى سبيل الغاء الحماية البريطانية على مصر فى النهاية ٠

أما نص المشروع فهو :

١ ــ لكى يبنى استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديدا دقيقا ويجب تعديل ما تتمتع به الدول ذوات الامتيازات فى مصر من المزايا واحوال الاعفاء وجعلها أقل ضررا بمصالح البلاد ٠

٢ ــ ولا يمكن تحقيق هذ. الغرضين بغير مفاوضات جديدة تحصل للغرض الاول بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية

وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات وهذه المفاوضات ترمى الى الوصول الى اتفاقات معينـــة على القواعد الاتية ·

٣ ـ أولا : تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تعـترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكية دستورية ذات هيئات نيابية وتمنح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التى تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضـــمانات التى يجب أن تعطى للدول الاجنبية لتحقيق تخلى تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ·

ثانيا . تبرم بموجب هذه المعاهدة نفسها محالفة بين بريطانيا العظمى ومصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تعضد مصر فى الدفاع عن سلامة أراضيها ، وتتعهد مصر بأنها فى حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أراضيها ، تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التى فى وسعها الى بريطانيا العظمى · ومن ضمنها استعمال مالهـــا من الموانى وميـــادين الطيران ووسائل المواصلات للاغراض الحربية ·

٤ ـ تشمل هذه المعاهدة أحكاما للاغراض الآتية

أولا : تتمتع مصر بحق التمثيل فى البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل مصرى معتمد من حكومته ، تعهـد الحكومة المصرية بمصالحها الى الممثل البريطانى . وتتعهد مصر بألا تتخذ فى البلاد الاجنبية خطة لا تتفق مع المحالفة أو توجـــد صعوبات لبريطانيا العظمى . وتتعهد كذلك بألا تعقد مع دولة أجنبية أى اتفاق ضار بالمصالح البريطانية ·

ثانيا : تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية فى الارض المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهده المكان الذى تعسكر فيه هذه القوة وتسوى ما تستتبعه من المســائل التى تحتاج الى التسوية ، ولا يعتبر وجود هذه القوة بأى وجه من الوجوه احتلالا عسكريا للبلاد كما أنه لا يمس حقوق حكومة مصر ·

ثالثا : تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانيـــة مستشارا ماليا يعهد اليه فى الوقت اللازم بالاختصاصات التى لاعضـــاء

صندوق الدين الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الاخرى التى قد ترغب فى استشارته فيها ·

رابعا · تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفا فى وزارة الحقانيه يتمتع بحق الاتصال بالوزير وتجب احاطته علما بجميع المسائل المتعلقة بادارة القضاء فيما له مساس بالاجانب ويكون أيضا تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته فى أى أمر مرتبط بتأييد القانون والنظام العام ·

خامسا : نظرا لما فى النية من نقل الحقوق التى تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات ·الى الحكومة البريطانية ، تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى فى التدخل بواسطة ممثليها فى مصر لتمنع ان يطبق على الاجانب اى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الاجنبية وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بألا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون مجحفا بالاجانب ·

(صيغة أخرى لهذه الفقرة)

« نظرا لما فى النية من نقل الحقوق التى تستعملها الى الآن الحكومات الاجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات الى الحكومة البريطانية ، تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى فى التدخل بواسطة ممثليها فى مصر لتمنع أن يطبق على الاجانب أى قانون مصرى يستدعى الآن موافقة الدول الاجنبية ، وتتعهد بريطانيا العظمى من جانبها بالا تستعمل هذا الحق الا فى حالة القوانين التى تتضمن تمييزا مجحفا بالاجانب فى مادة فرض الضرائب أو لا تتفق مع مبادىء التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات » ·

سادسا : نظرا للعلاقة الخاصة التى تنشأ عن المحالفة بين بريطانيا العظمى ومصر · يمنح الممثل البريطانى مركزا استثنائيا فى مصر ويخول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين ·

سابعا ـ الضباط والموظفون والاداريون من بريطانيين وغيرهم من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية فى اى وقت خلال سنتين بعد العمل بالمعاهدة ، وتحدد

المعاهدة المعاش أو التعويض الذى يمنحه الموظفون الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالى ٠

وفى حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى أحكام التوظف الحالية بغير مساس ٠

٥ ـ تعرض هذه المعاهدة على جمعية تأسيسية ولكن لا يعمل بها الا بعد انفاذ الاتفاقات مع الدول الاجنبية على ابطال محاكمها القنصلية ، وانفاذ المراسيم المعدلة لنظام المحاكم المختلطة ٠

٦ ـ يعهد الى الجمعية التأسيسية فى وضع قانون نظامى جديد تسير حكومة مصر فى المستقبل بمقتضى أحكامه ، ويتضمن هذا القانون النظامى أحكاما تقضى بجعل الوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية ، وتقضى أيضا باطلاق الحرية الدينية لجميع الاشخاص وبالحماية الواجبة لحقوق الاجانب ٠

٧ ـ تحصل التعديلات اللازم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تعقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلفة ذات الامتيازات وتقضى هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القنصلية الاجنبية لكى يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذي تسنه الهيئة التشريعية المصرية (ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب) على جميع الاجانب فى مصر ٠

٨ ـ تنص هذه الاتفاقات على أن تنتقل الى الحكومة البريطانية الحقوق التى كانت تستعملها الحكومات الاجنبية المختلفة بمقتضى نظام الامتيازات وتشمل أيضا أحكاما تقضى بما يأتى :

أولا : لا يسوغ العمل على التمييز المجحف برعايا أى دولة وافقت على ابطال محاكمها القنصلية ، ويتمتع هؤلاء الرعايا فى مصر بنفس المعاملة التى يتمتع بها الرعايا البريطانيون ٠

ثانيا : يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع الاولاد الذين يولدون فى مصر لاجنبى بجنسية أبيهم ولا يحق اعتبارهم رعايا مصريين ٠

ثالثا ـ تخول مصر موظفى قنصليات الدول الاجنبية نفس النظام الذى يتمتع به القناصل الاجانب فى انجلترا ٠

رابعا : المعاهدات والاتفاقات الحالية التي اشتركت مصر في التعاقد عليها في مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف تبقى نافذة المفعول • أما في المسائل التي ينالها مساس من جراء ابطال المحاكم القنصلية فتعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية صاحبة الشأن، مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التي لها صبغة سياسية سواء أكانت معقودة بين أطراف عدة أم بين طرفين كاتفاقات التحكيم والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب ، وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات خاصة تكون مصر طرفا فيها •

خامسا ـ تضمن حرية ابقاء المدارس وتعليم لغة الدولة الاجنبية صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الاوربية بمصر •

سادسا : تضمن أيضا حرية ابقاء أو انشاء معاهد دينية وخيرية كالمستشفيات الخ •

وتنص المعاهدة أيضا على التغييرات اللازمة في صندوق الدين وعلى ابعاد العنصر الدولي عن مجلس الصحة في الاسكندرية •

٩ ـ التشريع الذي تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا العظمى والدول الاجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية وفي الوقت عينه يصدر مرسوم يقضي باعتبار جميع الاجراءات التشريعية والادارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة •

١٠ ـ تقضي المراسيم المعدلة لنظام المحاكم المختلطة بتخويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذي كان مخولا الى الآن للمحاكم القنصلية الاجنبية ، ويترك اختصاص المحاكم الاهلية غير ممسوس •

١١ ـ بعد العمل بالمعاهدة المشار اليها في البند الثالث تبلغ بريطانيا العظمى نصها الى الدول الاجنبية وتعضد الطلب الذي تقدمه مصر للدخول عضوا في جمعية الامم •

خطاب ملنر الى عدلى ومذكرة عن السودان

اخرج ملنر السودان عمدا من كل مناقشاته مع الوفد ، كما استبعده من مشروعه واوضح للوفد أن مشروعه هـذا ومشروع المعاهدة المنتظرة لا يمسان السودان ·

وفيما يلى نص خطابه الى عدلى

١٨ اغسطس ١٩٢٠ :

عزيزى الباشا

« بخصوص الحديث الذى جرى بيننا أمس أعود فاقول مرة أخرى انه ليس بين أجزاء المذكرة التى أنا مرسلها اليك الآن جزء يقصد تطبيقه على السودان كما هو ظاهر من المذكـرة نفسها ، ولكن ملنر لا شـك يعلم انقسـام الوفد الى معسكرين · وهل من المقبول عقلا أن يخفى عدلى هذه الحقيقة عن صـديقه ملنر ؟ وفى هذه الحقيقة سر قوة عدلى ونفوذه وحظوته لدى ملنر الذى لاشك يعلم علم اليقين أن عدلى يسـتند الى أغلبية الوفد ، وان هـذه الاغلبية هى التى منعت قطع المفاوضات مرارا · ومنعت سعدا من السفر ، وكبحت جماحه بحكم السلطان الذى تتمتع به كل أغلبية !

- ان ملنر يعلم انقسام الوفد ـ ما فى ذلك ذرة من شـك · ولكن الشعب المصرى وحده هو الذى يجهل انقسام الوفد ·

يخيل الى أن اجتماع الغد بين سـعد وملنر سيكون اجتماعا حاسما جدا وأعضاء الوفد جميعا يتهيبونه ويخشون نتائجه ·

وسعد نفسه مقبل عليه وفى نفسه مرارة مزدوجة ! مرارة ضد زملائه أعضاء الوفد الذين لا يشاطرونه رأيه ، ومرارة ضد ملنر ومشروعه « الفظيع » ، هذا هو الجو الذى ستجرى فى مفاوضات الغد بعد انقطاعها كل هذا الزمان الطويل ، جو تحفز وتوتر وغيظ وقلق وانتظار !!!

الجلسة الحاسمة بين سعد وملنر

١٣ اغسطس :

حضر عدلى الصديق اللدود واصطحب سـعدا لمقابلة ملنر فى الميعاد ·

وتم الاجتماع فى وزارة المستعمرات البريطانية (الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر) ، ولم يشهد الجلسة الا ملنر وسعد وعدلى ولا رابع لهم ٠

وقبيل الساعة السادسة مساء عاد سعد من الاجتماع ، ورأيت وجهه مكفهرا محتقنا شديد الاحتقان عابســا شديد العبوس فلم أنبس بكلمة وصحبته الى داخل حجرة الاجتماع فقال لى : « يجب أن تستعد لنسافر معا بعد غد الى باريس » ٠ ثم دخل حجرة النوم ليغير ملابسه ، وعدت الى مكتبى وشعرت انى علمت بما دار فى الجلسة ، مناقشة ومصادمة ومخاصمة وقطع كلام بسلام او بغير سلام ، هذه خلاصة وافية لما حـــدث ، أما التفصيلات فسأسجلها كتابة عندما أسمعها من الزعيم ٠

ولم يطل انتظارى ٠ فقد خرج الرئيس بعد دقائق من مخدعه ، وناداني وأملى على كل التفصيلات :

ملنر : انى أقترح أن نجرى المناقشة على الطريقة الآتية :

أن أسمع ملاحظاتكم على المشروع الذى أرسلته اليكم ،

وان نسجل المسائل التى يتم التفاهم عليها بعد مناقشتها ٠

وأن نمضى على اتفاق يتضمن هذه المسائل التى لم يحصــل خلاف عليها ٠

ثم يشتمل تقريرى على المشروع متضمنا الاشــارة الى هذا الاتفاق ٠

على أن يبقى ما نتفق عليه سرا مكتوما حتى يذاع فى تقريرى الذى سأقدمه الى الحكومة البريطانية بعد شهر واحد من الآن وفيه أنصح حكومتى بتنفيذه ٠

سعد : حسن ، ولكن ما الذى نقوله لموكلينا اذا سألوا عما تم الاتفاق عليه وعما وقع الخلاف فيه ٠ ان الشعب المصرى ينتظر بفارغ الصبر نتيجة هذه الاتصالات بيننا وهــذه المفاوضات التى استمرت من ٥ يونيه حتى الآن ؟ هل نعود الى قواعدنا فى باريس سالمين ، ونظل صامتين والناس فى مصر يتساءلون ويستفسرون ولا من مجيب ؟ ٠

ملنر : (سكت وأطرق مفكرا قليلا) ثم قال : « يمكن أن يقال بأن المفاوضات لم تنته • وانتهاؤها متوقف على بعض الاستيضاحات• أرى اجتنابا لكل خطأ وسوء فهم فى المستقبل أنه يحسن بنا أن ندون رأى اللجنة ، وهو أن موضوع السودان الذى لم نتناقش فيه قط نحن وزغلول باشا وأصحابه ، خارج بالكليــة عن دائرة الاتفاق المقصود بمصر •

« فان البلدين يختلفان اختلافا عظيما فى أحوالهمــــا ، ونحن نرى أن البحث فى كل منهما يجب أن يكون على وجه مختلف عن وجه البحث فى الآخر •

« ان السودان تقدم تقدما عظيما تحت ادارته الحالية المؤسسة على مواد اتفــاق ١٨٩٩ ، فيجب والحالة هذه الا يســمح لاى تغيير يحدث فى حالة مصر الســياسية أن يوقع الاضــطراب فى توسيع نطاق تقدم السودان وترقيته على نظام أنتج مثل هــذه النتائج الحسنة ، على أننا ندرك من الجهة الاخرى أن لمصر مصلحة حيوية فى ايراد الماء الذى يصل اليها مارا فى السودان • ونحن عازمون على أن نقترح اقتراحات من شأنها أن تزيل‌هم مصر وقلقها من جهة كفاية ذلك الأيراد لحاجتها الحالية والمستقبلة » •

الامضاء : ملنر

كيف ناقش الوفد مشروع ملنر

عقد الوفد خمس جلسات طويلة ساخنة بمناسبة مشروع ملنر الجديد ، وجرت مناقشته ودراسته من كل نواحيه وتفهم معانيه وادراك كل مراميه ، واختلفت كالعادة وجوه النظر فيه • ما السبب الكامن وراء هذه الجلسات التى قضاها رجالات الوفد فى بحث مشروع لا هو بالغامض ولا هو بالمعويص ولا هو بالمعقد ؟ لم تكن الصعوبة فى المشروع ذاته ، فلم يكن هناك فى الواقع غموض فى مواده ، أو التباس فيه ولا تعقيد فى صياغته ، وانما الصعوبة كل الصعوبة كانت فى مسألة واحدة هى « هل يقبل أو يرفض ؟ »

هل يرفضه الوفد لانه مخالف لتوكيله القائم على الغاء الحماية واعلان الاستقلال التام وتحقيق الجلاء ؟

أو هل يقبله الوفد لان المشروع ينطوى على بعض المزايا كما يقول البعض ؟

أو هل يعرضه الوفد على الامة ويمتنع عن ابداء رأيه فيه ؟ ويجعله موضع الاستفتاء العام ؟

او هل يعرضه الوفد على الامة ويبدى سعد رايه فيه كما يبدى سائر الاعضاء اراءهم فيه ؟

انقسم الوفد الى فريقين وهما اللذان سبق أن تحدثت عنهما وشكا منهما سعد مر الشكوى ·

الفريق الاول : مكون من الرئيس وعلى ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، وهؤلاء يرفضون المشروع لانه « حماية » لا شك فيها ·

الفريق الثانى : مكون من الاغلبية الساحقة للوفد وعلى راسها عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومعهما حمد الباسل والمكباتى ومحمد محمود ومحمد على علوبة ·

ومن ورائهم عدلى يشجعهم ويشجعونه ويدفعهم ويدفعونه ويؤيدهم ويؤيدونه ، وهؤلاء يقبلون المشروع لانه اقصى ما يمكن الحصول عليه من الانجليز فى الوقت الحاضر ·

الفريقان لم يتفقا على رأى موحد او خطة موحدة · فما العمل ؟ والرئيس سيقابل ملنر غدا لاستئناف المفاوضات على أساس هذا المشروع الذى أثار كل هذا الخلاف وكل هذه الزوبعة وكل هذه الخصومات الداخلية والتى لم ينته الوفد فيها الى قرار ؟

هل ينفرد سعد بابداء رأيه لملنر مستندا الى الاعضاء الثلاثة الذين يؤيدونه ؟

هل يستطيع سعد أن يهمل رأى الاغلبية الساحقة فى أعضاء الوفد ؟

ماذا يقول سعد لملنر حين يلقاه غدا ؟

كان هذا موضوع المناقشة الطويلة فى الجلسة الاخيرة للوفد ·

وفى آخر لحظة تم شبه تفاهم على أن يقول سعد أن المشروع سيعرض على الامة لاخذ رأيها فيه ·

وفى هذا مخرج من ازمة حادة ، ولكن ليس حلا لهذه الازمة ، ذلك لان هذا المخرج المؤقت ما زال محفوفا بالصعاب وفى حاجة الى ايجاد حلول كثيرة فرعية ٠

كيف يكون عرض المشروع على الامة ؟

من الذى يتولى عرضه على الامة ؟

هل يكتم سعد رأيه عن الامة ؟

هل يكتم الاعضاء رايهم عن الامة ؟

هل يقف الوفد على الحياد ؟

وبماذا يجيب الوفد اذا سئل عن رأيه فى المشروع ؟

وكيف يخفى الوفد انقسامه الى معسكرين ؟

هذه اسئلة لم توجد لها حلول بعد ، ولكنها على كل حال ليست عاجلة ولا تمنع المفاوضة غدا بين سعد وملنر ٠

سعد : ان مصر الآن فى حاجة الى وزارة تستحق الثقة فيها والاطمئنان اليها ، وتعمل على تهدئة الخواطر وتمهيد الطريق للحكم الجديد ٠

ملنر : هذه مسالة اخرى ٠

سعد : هذه مسالة على أعظم جانب من الاهمية ولذلك سمحت لنفسى ان أتكلم فيها عقب كلامكم عن الطريقة التى يجب اتباعها ٠

ملنر : هذه مسالة تهمنا أيضا وهى راجعة الينا ، فيجب أن ننتظر كذلك تعيين مندوب سام جديد لهذا النظام الجديد كما يجب تعيين وزارة جديدة ، وهذا يهمنا نحن لان فى مصر اناسا لا يرغبون فى نجاح هذه المفاوضات واذا نجحت فانهم لايرحبون بها ٠

سعد : انا أوافق على ذلك ، وفى طليعة هؤلاء اولئك الذين دبروا القضية الحاضرة ٠

ملنر : يحتمل هذا ، ولعل هذه القضية من وسائلهم ، ولكن هذه مسالة خارجة عن اختصاصنا هنا ، ويهمنا أن نشغل انفسنا بما نحن بصدده الآن ٠

سعد : اننا هنا لسنا بممثلى حكومة وانما نحن نمثل شعبا ٠ وعزيز علينا ان يقع كل هذا النظام والاضطهاد فى بلادنا ٠

ملنر (منفعــلا) لا شأن لي بذلك ، ويجب أن نحصر الكلام فيما نحن بصدده . ما هي ملاحظاتكم على المشروع الذى ارسلته اليكم ·

سعد · (منفعلا) ان هذا المشروع يحقق لكم كل مطالبكم ويهمل كل مطالبنا · وانت تعرفها ، وهى الغاء الحماية واعلان الاستقلال وتحقيق الجلاء · ولست ادرى كيف تريدون الاحتفاظ بوجود قوة عسكرية فى بلادنا ؟ لماذا لا يتقرر الجلاء تنفيذا للوعود الرسمية البريطانية وهى اكثر من ٦٠ وعدا ؟

ملنر : هذا لا يمكن مطلقا ، ولا يمكن المناقشة فى هذه المسائل ·

سعد : أهذا تأجيل لها ؟

ملنر : لا · لا · ليست مؤجلة ، وانما هى مسائل لا مناقشــة فيها لان المناقشة لا تجدى .·

سعد : انكم وضعتم مادة فى مشروعكم خاصة بموظف بريطانى يعين فى وزارة الحقانية وقد سبق أن تفاهمنا على مجرد الاكتفاء بان يكون النائب العمومى لدى المحاكم المختلطة ، انجليزيا ·

ملنر : هذا غير كاف وهذه مسألة لا تقبـل المناقشة فيها ، وما اردنا بهذا المشروع أن تتناقشوا فى أسسه التى هى غــير قابلة للتغيير ولا حتى للمناقشة ، بل هى اما ان تقبل او ترفض ·

سعد : (سكت وظهر الانفعــال عليه) . ثم قال : « اذن انتهت مهمتى هنا » ·

ملنر : (تكلم بالانجليزية مع عدلى · واللغة الانجليزية لايعرف منها سعد كلمة واحدة) . ثم التفت ملنر الى الرئيس ودعاه أن يستمر فى ابداء باقى ملاحظاته ·

سعد : مادام الامر : قبولا أو رفضا فليس عندى ما أقوله الآن ·

ملنر : (عاد فتكلم بالانجليزية مع عدلى بضع دقائق · ثم وقف ايذانا بانتهاء الجلسة) ·

فوقف سعد وعدلى وافترق سعد وملنر فى فتور تام له مظهــر الخصام ، واما عدلى فقد تخلف باشارة من ملنر بعــد خروج سعد ، وظل مع ملنر بضع دقائق ·

فلما خرج عدلى وعاد بالسيارة مع سعد ظل ســاكتا ولم يقل لسعد كلمة واحدة عما دار فى الحديث بينه وبين ملنر بالانجليزية ،

وفى المرتين اللتين تكلم فيها ملنر بالانجليزية مع عدلى . وقد كان لمسلك عدلى هذا أسوأ الوقع فى نفس سـعد .. ومما زاد الامر شناعة أن عدلى لم يعتذر لسـعد ولم يشرح لماذا احتجزه ملنر وماذا تحدث اليه دقائق بعد خروج سعد .

وفى الساعة السابعة حضر أعضاء الوفد وحضر عدلى ، وروى الرئيس لهم كل مادار فى الجلسة وختم كلامه بقوله : « لا تدبروا فى الامر ، ولابد من السفر فورا ، وانى معكم فى كل ما تقررونه الا فى البقاء هنا ، ومن يحاول ابقائى هنا انما يحـاول عبثا ».. واستأذنهم الرئيس وذهب الى حجـرة نومه ، وتركهم فى حجـرة الاجتماع واجمين ساهمين ثم انصرفوا أفرادا وجماعات كما لو كانوا خارجين من مأتم عزيز مات بعد مرض طويل .

قابلت بعض الاعضاء عند انصرافهـم لانى حرصت على أن اتبين ردود الفعل عندهم وأسمع بعض ما يتفوهون به تعليقا على ما سمعوه أو ما رأوه أو ما يشعرون به ازاء هذه الجلسة الحاسمة وقرب السفر .

محمد علوبة قال لى : « ان سعدا لم يلتزم بقرار الوفد فيقتصر على أن يقول لملنر ان المشروع سيعرض على الامة لأخذ رأيها فيه، ودخل فى تفصيلات مثيرة وأعلن مطالب الامة فى حزم وقسوة .

وعبد العزيز فهمى قال لى : « ان بريطانيا مزهوة بنفسها وهى الآن أقوى دولة فى العالم ، وخرجت منتصرة من الحرب العالميـة الاولى ونفوذها بين الدول ساحق ماحق ولا ينازعهـا منازع ، ومصر أضعف دولة فى العالم وواقعة بين براثن هذا النفوذ البريطانى ونحن هنا « شحاذون » نشحذ منها استقلالنا وحريتنا .

أما أنا فقد التزمت الصمت لانى أعلم أن الاعصاب متوترة الى الدرجة القصوى . وأن ما تنطوى عليه النفوس من الغيظ والكمد والكراهية والمخاوف قد بلغ غاية ما بعـدها غاية ، فطفح الكأس والكيل ، واستحال التفاهم ، وانعدمت الثقة واستبد الضيق وساد الانقباض .

نفسية سعد تفصح وتتجلى فى اجمل حالاتها :

وبعد العشاء حضرت الى مكتبى لعل الرئيس يريد شيئا لاسيما وقد قرب موعد السفر وتحدد (بعد غد أى ١٥ أغسطس) ، فلمـا

علم بوجودى فى مكتبى دعانى اليه وقال : اجلس يا كامل ، ما رأيك فيمن يقول « نحن هنا شحاذون وعلينا أن نظل نطيل بالمنا » ؟.

فأظهرت دهشة ساخطة وقلت « من قال » هذا ؟

قال : انه عبد العزيز فهمى . سمعته عند انصرافه يقول هذه « الكبيرة » الى أحد زملائه فغضبت اشد الغضب ولم اشأ ان أعود اليه لاناقشه الحساب وأثير معركة جديدة فكفى ما نحن فيه من معارك وكرب وبلاء » .

وهنا أطرق سعد مفكرا ثم قال : « يا لكرامة الرجال !! هذا لا يمكن أبدا ولا يطاق .

ولا يجوز مطلقا أن تكون هذه الروح الوضيعة الحقيرة فى رجل كريم على نفسه . لقد كان عزيزا على ، ان افاوض هنا وأبناء وطنى ينكل بهم فى مصر تنكيلا ، ويعذبون ظلما وعدوانا . ان ذكرى الشباب المصرى الذين كانوا يعرضون صدورهم للرصاص ويموتون شهداء وعلى ألسنتهم الهتاف باسمى واسم الوفد واسم الوطن تكفى لملء نفوسنا بأعظم أنواع الشجاعة وأشد انواع السخط والمقت لاولئك المستعمرين الذين سطوا على بلادنا كما يسطو القتلة واللصوص على الابرياء الآمنين .

« نحن شحاذون !! كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا والله ما شعرت وأنا اخاطب هؤلاء الانجليز الا كما يشعر القاضى حين يخاطب اللص .. يطالبه برد الامانة التى سرقها ، ويطالبه بالاستقامة بعد ان حاد عنها ، ويطالبه تنفيذ الوعود التى قطعها على نفسه ، وعهود الشرف التى التزم بها ليرد الى حقى الذى اغتصبه .. فاذا كان هناك من يخجل ويشحذ فهم الانجليز . واذا كان هنا من يطالب بشجاعة وفخار فهم المصريون .

« ومتى كان المطالب بحقه شحاذا ؟ ومتى كان المطالب بماله وحقوقه المسروقة ضعيفا خجولا ؟ ومتى كان المغتصب لحقوق الناس وأموالهم عظيما شريفا جديرا بالاحترام ؟

« والله انى لاعجب كيف يجرؤ ملنر وهؤلاء المستعمرون أن ينظروا فى وجهى وأنا اطالبهم بأن يكونوا شرفاء فينفذوا عهودهم ووعودهم بالجلاء لكى ينقذوا شرفهم وسمعتهم من العار والشنار .

ويتركوا بلادى التى سرقوها بالحيل الشيطانية وبالحديد والنار٠٠؟ هـذه روحى وأنا أخاطب هؤلاء القـــوم ، وتلك هى روح عـدلى وأصحابه المهازيل وهذا فى الواقع هو سر الخلاف بيننـــا وسر البلاء» ٠

الاعتراف الثاني عشر :

ثم سكت سعد قليلا وقال منفعلا حزينا :

« ما حيلتى فى رخاوة بعضُ الاعضاء ؟ ان مصيبتى فى ضعفهم وهزالهم ، ان الواحد منهـــم ليفرح اذا دعاه عظيم من الانجليز ليتناول الغداء معه . وأنا والله لا أفرح ولا اقبل ارفع نيشان ياتينى من ملك هذه البلاد ، وما لبيت دعوة الا كنت لها كارها اقلبهـــا ساخطا لانى اعتبرها نفـــاقا فى نفاق وآية من قوم هم خصومى وأعدائى وانا عدوهم اللدود ٠

« ماحيلتى الآن وقد أخذ بعض الاعضاء لا يخجلون حين يظهرون اللين يأسا أو طمعا فى دخول الوزارة الجديدة التى سيكون عدلى رئيسا لها بكل تأكيد ؟ ان نفوسهم قد هزلت ، وهذا أشر ما يصيب الرجل ، والرجل المجروح فى كرامته وكرامة أمتـه ولا يثور . هو رجل مسكين يستحق الرثاء والاحتقار ولا يرجى منه خـــير على الاطلاق » ٠

بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وسعد يضرب على هذه النغمة ويفيض فيضا ويخطب كأنى وفد من الوفود أمامـــه يحاول كسبه واقناعه ٠

وانتهزت فترة سكوت طارئة ٠ فقلت له : يا سيدى « اما ان لك ان تستريح وقد جاوز الليل نصفه وزيادة وغدا امامك يوم حافل بعمل كثير وزيارات واجتماعات واستعداد للسفر » ؟ ٠

فهز رأسه وقال . حافل بعمل كثيروزيارات واجتماعات واستعداد للسفر ٠ ثم قال : « أجل أجل ٠ اذهب يابنى واسترح كان الله فى عوننا ٠

وانصرفت بعد الساعة الواحدة بقليل من صبيحة يوم ١٤ أغسطس ٠

ملنر يبعث رسولا الى سعد

١٤ اغسطس .

كلفني الرئيس في الساعة العاشرة صباحا ان اطلب من دوماني ان يذهب لشراء تذاكر السفر للرئيس ولخادمه الخاص ولي ولدوماني وقبل أن يذهب دوماني لشراء التذاكر حضر عدلي وجميع اعضاء الوفد ، كما حضر الانجليزى الاعرج « مستر ولرند » وطلب مقابلة الزعيم .

فلما دخل وسلم وابتسم كعـادته ومرج ووقفت اتفرج . قال للرئيس : ان لورد ملنر يريد الحضور لزيارته وتوديعـه بعد ان سمع بعزمه على السفر .

فقال سعد انه مسافر غدا . ولجنابه أن يحضر بعد ظهر اليوم او غدا قبل الساعة العاشرة صباحا اذا شاء .

فتلعثم الاعرج وثاثا وحاول ان يتكلم ففافا ، فانتشرت بين الجميع الابتسامات المكبوتة المخنوقة ، وصاحبها استرخاء داخلى فى النفوس والاعصاب المتوترة ، وما اشد حاجتهم الى شيء من الإسترخاء ، وشيء من الابتسام الذى اصبح نسيا منسيا هذه الايام ، ثم فتح الله على الاعرج فقال : « ان ملنر لم يحدد موعد زيارته لانه مشغول هذا اليوم كله ، وغدا صباحا عنده جلسة مجلس الوزراء ، فاذا تفضل الرئيس بقبول الساعة الرابعة بعد ظهر غد استطاع ملنر ان يحضر الى الفندق لزيارته وتوديعه » .

ثم تدخل عدلي والاعضاء ورجوا الرئيس ان يؤجل سفره يوما واحدا (فيكون السفر ١٦ بدلا من ١٥) حتى تتم هـذه الزيارة التى لا بد منها .

فوافق الرئيس . وفى نفسه من الامتعاض ما فيها .

ثم خرج الاعرج متهللا بتوفيقه وزايلته الثاثاة والفافاة ، وعاد الى انطلاقه الذى لا يتعثر الا حين يرتبك او حين يريد .

وطلب الرئيس من دوماني ان يشترى تذاكر السفر يوم ١٦ اغسطس .

وظل الرئيس وعدلي والاعضاء مجتمعين ساعة كاملة .

وقال عدلى لى أن ملنر سينتهز فرصة حضوره لتوديع الرئيس ليتفق معه على « كيفية » الانصراف · وتناقش الجميع فى ذلك بعض الوقت ، ثم استقر الرأى على أن يكون الانصراف وديا أو على الاقل لا يكون مغاضبة وادبارا ، وأن يبرر هذا السفر بعذر مقبول وأحسن الاعذار ما كان حقيقيا · وهو أن الوفد يريد استشارة ذوى الرأى من الامة فى مشروع ملنر الذى لم تتم الموافقة عليه لاشتماله على ما هو خارج عن حدود التوكيل ··

وأضاف عدلى انه تكلم مع ملنر فى بعض الملاحظات التى كان الوفد أبداها له فى هذا المشروع ، وظهر له أن من الممكن أن يقبل ملنر بعضها ·

وهكذا فتح عدلى بدهائه باب الامل مرة أخرى ·

حديث مع محمد علوية :

وعند الانصراف زارنى صديقى محمد على علوية فى مكتبى ومكث معى بعض الوقت وقال لى : « ان الوفد لا يصح له أن يرفض ، بل يأخذ ما قدم اليه ويعود الى الامة به لعرضه عليها ، والتاريخ كله لم يسجل أن أمة نالت كل تريده دفعة واحدة حتى فى ساعة انتصارها ، وأن مصر بما ستناله بهذا المشروع ستتطور به وستتقوى وستصبح أقدر على المطالبة بحقها الباقى يوما من الايام » ·

فابتسمت وقلت : « فيها قولان » ·

فقال : كيف ؟ هل تشك أو تنكر شيئا مما أقوله ؟ انه فى نظرى من البديهيات ·

فقلت مرة أخرى بابتسامة « فيها قولان » ·

فقال : « انت تدهشنى ·· اشرح لى وجهة نظرك اذن » ·

فقلت : « ياسيدى · ألم تشبع مناقشة وجدلا طوال هذه الجلسات الكثيرة المتلاحقة المحمومة ؟ ألم تسأم وتمل حتى تريد أن تعقد جلسة الآن بينى وبينك ؟ ومن أنا الذى يحاول اقناعك وقد عجز سعد مع فصاحته وقوة عارضته وحجته أن يحولك انت وأصحابك قيد أنملة عن رأيكم هذا ؟ » ·

فقال ضاحكا : يظهر أن الشبان والشيوخ من رأى واحد ، والكهول الذين فاتوا الشباب ولم يدركوا الشيخوخة من رأى آخر ·

فقلت مازحا . الآن انت عرفت الحقيقة . وانصرف قائلا في ابتسام : « لابد لنا من جلسة اخرى على غداء أو عشاء » فقلت : وهو كذلك .

ملنر يزور سعدا في فندقه ليودعه الى لقاء

١٥ اغسطس :

في الساعة الرابعة بعد الظهر حضر ملنر الى فندق كارلتون وكان في صحبته صديقه « الاعرج مستر ولرند » ولتقيا في المصعد بعدلي صدفة واتفاقا والله اعلم . وصعدوا جميعا لزيارة الرئيس في قاعة الاجتماع وكان سعد جالسا فيها في انتظار ملنر، ولما استقر بهم الجلوس بعد تبادل التحيات والكلام في الصحة والهواء . . قال ملنر : ما الذي عزمت على اذاعته بمناسبة سفرك وانصراف الوفد من لندن ؟

سعد : لم اكون فكري بعد فيما ساقوله وأعلنه .

ملنر : الا تستحسنون ان تقولوا أن المفاوضات جرت للآن على طريقة مرضية .

سعد : لقد كان الامر كذلك حتى الجلسة الاخيرة فقد كانت المحادثات فيها غير مرضية .

ملنر : ارجو ان تعلم أن قدرتي محدودة ، وأن يدي مغلولة ومن الاشياء ما لا يمكن تحقيقه . على اني ساقدم تقريري في أواخر سبتمبر القادم ، وسيشتمل على ذلك المشروع . وعلى ما يكون منكم بعد الاستشارة التي تقومون بها في مصر . واني أحب ان اكون على اتصال دائم معك ومع عدلي باشا مدة هذه الفترة .

سعد : وهو كذلك

ملنر : اني أودعك الآن وأرجو ان أراك ثانية في صحة أحسن .

فشكره سعد وانصرف ملنر ومعه عدلي الذي نزل معه في المصعد وخرج معه في سيارته بينما اكتفى سعد بتوديع ملنر حتى باب حجرته .

قرار الوفد بتشكيل لجنة الاستشارة وتحديد مهمتها

كان أعضاء الوفد موجودين فى مكتبى طوال مدة هذه الزيارة ، واصف غالى سينوت حنا ، فلما علموا بانصراف ملنر تركونى وذهبوا الى قاعة الاجتماع ، فعرض عليهم الرئيس ما جرى بينه وبين ملنر فاقروه واعجبوا به ٠

واتفق الوفد على أن يسافر الرئيس وسينوت وواصف غالى ودومانىوأنا غدا ، وأن يسافر الباقون بعدنا كل فى اليوم الذى يريده لغاية يوم الاربعاء القادم بحيث يتكامل عددهم فى باريس يوم الخميس القادم ، وكذلك عدلى ٠



واصف بطرس غالى

وفى هذه‌الجلسة تبادل الاعضاءالرأى فى مسألة الذين يسافرون الى مصر لعرض المشروع ثم أصدر الوفد القرار الآتى :

١ ـ اختيار لطفى السيد ومحمد محمود وعلى ماهر والمكباتى للسفر الى مصر للاستشارة فى المشروع السالف الذكر ، وأن تتناول الاستشارة بصفة خاصة أعضاءالجمعية التشريعية ومجالس المديريات ٠

٢٠ ـ وأن يكونوا على الحياد التام فلا يحبذوا المشروع ولايبدو شيئا من رأى الرئيس فيه ، لان المهم هو معرفة رأى الامة وممثليها فى مصر من غير أن يقع عليهم أقل ضغط أو تأثير من جانب الوفد . رئيسه أو أعضائه ٠

٣ ـ ويلزم بيان كل الحقائق لهم كما يعرفها الوفد ، ثم تركهم ينظرون فى الامر حسبما ترشدهم اليه عقولهم ٠

٤ ـ يضم الى الاعضاء الاربعة ويشترك معهم فى مهمتهم مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى الموجودون فى مصر الآن :

تعليق :

ما كدت اطلع على هذا القرار العجيب حتى شاعت فى نفسى دهشة وعلت وجهى ابتسامة ٠ أما الدهشة فسببها شعورى القوى بان هذه الشروط والقيود التى اشتمل عليها قرار الوفد هذا غير عملية ، ولا يمكن تنفيذها بحال من الاحوال فهى مجرد حبر على ورق ٠

اذ كيف يمكن أن يكونوا محايدين ، والا يبدو رايهم اذا سئلوا عنه ؟ والا يحبذوا المشروع ، والا يقوموا باى ضغط أو تاثير فى الناس ، وان يعرضوا الحقائق مجردة ومن غير تعليق عليها ، وان يتركوا الناس ينظرون فى الامر حسبما ترشدهم اليه عقولهم ؟

أهذا ممكن والقائمون بالعرض فيما عدا على ماهر ، من أشد الاعضاء تحبيذا للمشروع ، وانتصارا له وهم يعتبرون رفضه جناية على الامة، ومضيعة لمصالحها ومصالحهم ومطالبتهم بالتزام هذه الشروط وهذه الحدود مطالبة لهم بالمحال ؟ بل لو انهم حاولوا الحياد مخلصين لاعجزهم ذلك واعياهم ٠

وهل مما يستسيغه العقل ان رجالا أمثال (لطفى السيد ومحمد محمود والمكباتى) يرون هذا المشروع ، وهو أملهم الوحيد ، يتعرض للرفض والموت بالاستشارة وفى استطاعتهم انقاذه ثم يتاخرون ويترددون ويحايدون ام المعقول إنهم يدافعون ويحبذون

حتى تبقى للوليد حياته وتتحقق للامة ولهم مصالحها ومصالحهم كما يعتقدون ؟

لو كان المراد حقا عرض المشروع على الامة بطريقة محايدة لكان السبيل الوحيد لذلك هو مجرد الاكتفـــاء بارسال المشروع بالطائرة الى مصر ، ويتولى رجال اللجنة المركزية للوفد القيــام بعملية الاستشارة . والمشروع واضح كالشمس ومواده لا غموض فيها ولا ابهام ، وهى ظاهرة جلية لا تحتاج الى تفسير وعباراته تحمل كل معانيها ومراميها بلا لبس ولا تعقيد .

الفصل الخامس

الرئيس [illegible]
من لندن إلى باريس

١٦ اغسطس :

سافرنا اليوم من محطة فكتوريا ـ (لندن) : الرئيس سعد ورافقه عضوان من الوفد هما واصف غالى وسينوت حنا ثم دومانى المترجم الفرنسى للوفد وأنا : وكان فى المحطة لتوديع الرئيس عدلى وجميع أعضاء الوفد الباقين في لندن والانجليزى الاعرج (ولرند) ، ولم يحضر ملنر واكتفى بارسال سكرتيره الخاص نيابة عنه ٠

تحرك القطار فى الساعة ١١ صباحا وبعد دقائق معدودات كان القطار يطوى الارض طيا وسط المزارع الزهراء الجميلة والمراعى الخضراء النضرة ٠٠ استغرقنى هـذا الجمال الرائع الذى أبدعه الله وأسبغه على طبيعة هذه البقعة من العـالم ثم أفقت بعد دقائق ونظرت الى الرئيس وكنت جالسا امامه ٠ فوجدته غارقا مستمتعا فلم اتكلم ولم أتحرك وتركته ينعم بهذا الجمال الذى ينسى الانسان حقارة المدنية وبطلان الغرور ، كما ينسيه متاعب الحياة وأفاعيل الانسان بأخيه الانسان من مشاكسات ومماحـكات ، ومن ايلام وتعذيب وتشريد وتنكيل مما يضنى النفـوس ويزهق الارواح ، وينشر الظلم والظلام في هذه الحياة الفانية ٠ ثم افاق سعد بعد قليل ، وابتسم ابتسامة الرضا والاسترخاء وقال : « اشعر الآن بنوع فريد من السعادة ، سعادة السجين المعذب الذى انتهى عذابه وخرج من السجن طليقا يذهب الى حيث يشاء ، فاستعاد حريته ،

واوشك أن يستعيد صحته ، واصبح يجد متاعا في كل ما يراه من آيات الله » ٠

ثم بدأ يحدث صاحبيه (وكانا معنا في الصالون) حديثا عذبا عن ايام صباه وعن حيه الاصيل العميق للريف المصرى ، حتى وصل بنا القطار الى دوفر فى الساعه الواحدة بعد الظهر ، ثم انتقلنا جميعا من القطار الى الباخرة التى عبرت المضـــيق الى كاليه فى ساعة ونصف الساعة ٠

وكان البحر هادئا رائعا وكأنه بالوانه ينافس الحقول والمروج فى جمالها وتاثيرها ، ثم انتقلنا من كاليه فى القطار السريع الى باريس التى وصلنا اليها فى الساعة ٧٫٣٠ مســـاء ٠ وصحبت الرئيس الى مسكنه فى الشانزليزيه حيث التقى بزوجته الفاضلة الكاملة ، فزال من نفسه كل ضيق وكدر ، وانشرح صدره وتنفس الصعداء ، وعاد الابتسام الى وجهه الذى لم يبتسم مرة واحدة طوال مدة المفاوضات ٠

زال عنه كل هذا الكابوس الخانق الثقيـــل الذى انجاب عنـه فجأة بقدرة قادر ، وعاد سعد الزعيم بساما كمن يستقبل الحياة بوجه جديد ٠

استشارة الشعب

١٧ اغسطس :

حضرت الى مكتبى فى الموعد المعتاد (الساعة التاسعة صباحا) وعكفت على ترجمة ما نشرته جرائد لندن ، فلما شعر الرئيس بوجودى نادانى وعلى وجهه ابتســـامة عريضة تدل على السرور لها معناها ومغزاها ، ولعله أيقن الآن أنى لا أريد اجازة لنفسى ، واذا كان هو يستطيع العمل يوميا بلا راحة أو اجازة فانا على هذا النوع من العمل أقوى وأقدر ٠٠ كان الله فى عونه ٠

ثم أخبرنى أنه مسرور لانه استطاع أن ينام ليـــلة أمس اربع ساعات متتالية ، وهذا شىء نادر جدا بالنسبة له ، وانه لا يذكر آخر مرة تمتع فيها بمثل هذا النوم الطويل مـــدة أربع ساعات متتالية !! وقال انه استيقظ منشرح الصدر وفى نشاط بعد أن كان يصحو فى لندن كل صباح وهو متعب متخاذل الاعضـــاء شديد الانقباض ٠

مشروع نداء للشعب

ثم لاحظتني أنه أعد نداء الى الامة . وقد بدأ في كتابتـــه بخط يده ابتداء من الساعة السابعة صباحا وقرأه علي بنفسه وهــذا نصه ·

« بني وطني الكرام :

سعى الوفد للاستقلال جهده · ووصل سعيه الى نتيجــة لم ير اخواني بدا من قبولها · وان كان حقكم واضحا ، وطلبكم عادلا . وددت أول الامر فى اطلاعكم على رايي صريحا خشية أن تتبعوا قولي · فلا يكون من ورائه خير لكم فتتعرضوا للشـــقاء المقيم ، واتعرض للسخط الدائم ·

« اما الآن وقد زال هذا التردد وهذه الخشية من نفسي ، فاني اصارحكم القول بأن المشروع يتضمن حماية تحت اسم استقلال ، او هو استقلال فى معنى الحماية ، وما سعيت للحماية معرضا للخطر نفسي ، وانما سعيت للحرية والاســـتقلال · وما نهضت البلاد نهضتها الكبرى لتنتهي آخر المطاف باقرار ما ثارت عليــــه وحاولت التخلص منه ، لذلك سأستمر مجاهدا لتحقيق آمال الوطن معتزا بهذه الثقة الغالية التى شرفتني بها الامة ولن انفك أعمـل لرفعة الوطن وخلاصه ما حييت » ·

فلما فرغ الرئيس من تلاوة هذا النـــداء ، التفت الى وقال : « اعلم أن هذا النداء مخالف للقرار الخاص بتاليف لجنة الاستشارة، وأول شرط في القرار أن يكون أعضاء اللجنة على الحياد التام فلا يحبذون المشروع ، ولا يطلعون الشعب على رايي ، ولكن هذا ما أراه واعتقده سأضمه الى أوراقي الخاصة عسى أن نحتـــاج اليه يوما ما » ·

بيان جديد للشعب

١٨ اغسطس :

أخبرني الرئيس أنه شرع فى اعداد بيان جديد الى الامة يتفق مع قرار الوفد الذي اتخذه فى لندن ، كما أخبرني أن اعضـــاء

الوفد جميعا سيصلون غدا الى باريس ، وانه يريد أن يفرغ من اعدادهذا النداء أو البيان قبل وصولهم ليوافقوا عليه قبل سفره الى فيشي ٠

وفي المساء فرغ الرئيس من اعداده ، ذاكرا فى لباقة وفى عبارة غامضة أنه شخصيا غير موافق على مشروع ملنر ، ولما سالني رأيي فى هذا النداء الجديد ، قلت : « أميل الى الاعتقاد بأن أعضاء الوفد سيوافقون عليه بالاجماع » فاغتبط وانفرجت أساريره ٠

وفيما يلي نص هذا البيان ٠:

« اخواننا الكرام :

« نهضت الامة المصرية للمطالبة باستقلالها فى ظروف علت فيها الاصوات بالحق والعدل وحرية الامم واجتمع أقطاب السياسة لتقرير قواعد السلام ومصير الاقوام ، على حسب ما تتعلق به ارادتهم ويقتضيه اختيارهم ٠ وندبت من بين أبنائها أعضاء الوفد المصرى ليعبروا عن رأيها ويسعوا بكل الطرق المشروعة للحصول على مطلوبها حيثما وجدوا للسعى سبيلا ، فتحملوا هذه الامانة الكبرى وخصصوا جميع أوقاتهم وأعمالهم للوفاء بها ، وبذلوا فى سبيلها من المجهودات ما تعلمون وما لا تعلمون وصادفوا من الصعوبات ما شعرت به الامة ٠ ولقد أمدهم أبناؤها على اختلاف أديانهم وتباين أهوائهم فى جميع المواقف بمظاهر اتحادهم وتضامنهم ، وضحوا فى سبيل نصرتهم بكل مرتخص وغال ٠ وكان أول ما وجه الوفد اليه اهتمامه أن يعرض القضية المصرية على مؤتمر السلام مدعمة بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ولكنه لم يجد من رجال المؤتمر سوى الاعراض عنه اذ أوصدوا أبوابهم دونه ، ولم يريدوا أن يعرفوا صفته ولا وجوده ، وبعد قليل قرروا الاعتراف بحماية انجلترا على مصر ٠ فلم يكن منه الا أن بذل كل جهده فى نشر القضية المصرية فى العالم القديم والحديث على طريقة حقيقتها لكثير من الافهام ، وعرفها لكثير من الشعوب التى لم يكن لها معرفة بها من قبل ، حتى استقر بيانها لكثير من الاحرار فى البلاد المتمدينة الى الانتصار لها ، والدعوة لاجراء العدل فيها ، قرأت الحكومة الانجليزية أن تعين لجنة لتحقيق أمرها ، والوقوف على أسباب الاضطرابات التى عمت بسببها ، فاتفقت كلمة الامة على مقاطعتها لعلمها أن الغرض منها لم يكن سوى تأييد الحماية

ووضع نظام للبلاد فى دائرتها ، ورأيت أن تقف منها موقف المسئول من السائل ، وأحالت أمر المفاوضات الى عهدة وفدها ، فالتزمت اللجنة أن تعود الى حيث أتت . ثم دعته للمناقشة بقصد الوصول الى وضع قواعد اتفاقية توفق بين استقلال مصر ومصالح انجلترا فيها ، فأبى أن يجيب الدعوة حتى يتأكد من حسن استعداد الحكومة البريطانية بالنسبة لاستقلال البلاد ، وأرسل لهذه الغاية كمـــا تعلمون ثلاثة من أعضـــائه الى لوندرة فتأكدوا من حسن هـــذا الاستعداد حيث صرح لهم انه ليس فى مصـــالح انجلترا بمصر ما يعارض استقلالها . ولهذا لم نجد بدا من الذهاب الى لوندرة للدخول فى المفاوضة .

« ولقد باشرناها منذ وصولنا اليها ، ومكثنا نزاولها الى ١٦ أغسطس ، وانتهت المناقشة بوضع ثلاثة مشروعات : أولها من لجنة ملنر ورفضه بتاتا . والثانى منا ، ورفضته هذه اللجنة كذلك . والثالث منها وهو الاخير ، وقد صرح رئيسها لنا عند البحث فيه أنه غير قابل للمناقشة فى الاساسات التى بنى عليها ، وأنه يلزم

اما أخـــذه كله أو تركه لانه تضمن فى اعتبـــاره أقصى ما يمكن لانجلترا الاتفاق عليه مع مصر ، بل زاد أن هناك شكا فى صـــواب التساهل فى بعض ما اشتمل عليه . ولكننا وجدناه مع ذلك معلقا تنفيذه على غير ارادتنا ، وغير واف بمطالبنا ، فلم يسعنا قبوله لخروجه عن حدود توكيلنا وأظهر للجنة ملنر عدم رضانا به .

« غير أنه نظرا لاشتماله على مزايا قد لا يستهان بها ، وتغير الظروف التى حصل التوكيل فيها ، وعدم العلم بما يكون من الامة بعد معرفتها بمشتملاته ، وقياس المسافة التى بينه وبين أمانيها ، رأى اخواننا : خروجا من كل عهدة وحرصـــا على كل فائدة ، واستبقاء لكل فرصة ، الا يبتوا فيه رسميا بما يقتضيه توكيلهم ، قبل عرضه عليكم انتم نواب الإمة المسئولون وأصحاب الرأى فيها . وبناء عليه اتفقنا مع لورد ملنر على تأجيل القرار النهائى الى ما بعد الاستشارة ، وتعين كل من حضرات محمد باشا محمود ، وعبد اللطيف بك المكباتى ، ولطفى بك السيد ، وعلى بك ماهر ، وويصا بك واصف ، وحافظ بك عفيفى ، ومصطفى بك النحاس ، لهذه الغاية ، وليشرحوا لكم بالنزاهة المعلومة فيهم،والدقة المعروفة عنهم ، الحقائق والوقائع التى ترون الوقوف عليها لازما لتكوين

اعتقادكم حتى تبدوا بعد استشارة ضمائركم والتأمل فى حاضركم وقابلكم رايكم فيه بالرفض أو القبول ، فاذا رفضتم أعلن الوفد رسميا رفضه ، واذا قبلتم دخلت المسألة فى دورها النهائى . ووضعت معاهدة على القواعد التى تضمنها ، وعرضت على الهيئة النيابية للتصديق عليها ، ووضع نظام دستورى للبلاد . وارجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمكم الصواب فى ترويكم وان يكلل بالنجاح مساعيكم امين » .

سعد زغلول

عودة أعضاء الوفد ومعهم عدلى من لندن الى باريس

١٨ اغسطس :

عاد اليوم من لندن جميع أعضاء الوفد ومعهم عدلى . ولم يتخلف عن الحضور سوى محمد على علوبة لمرض طارىء اعتراه فى اليومين الاخيرين (انفلونزا) ، وفى المساء حضروا جميعا الى شقة الرئيس (٣٩ شارع الشانزليزيه) وظلوا معه ساعة كاملة ثم انصرفوا على أن تعقد جلسة للوفد غدا صباحا للاطلاع على بيان الرئيس .

جلسة الوفد : موافقة على بيان الرئيس الى الامة

١٩ اغسطس :

فى الساعة العاشرة صباحا عقدت جلسة الوفد بمسكن الرئيس لا فى مقر الوفد ، وحضر الاعضاء جميعا ومعهم عدلى ، فتلا عليهم الرئيس البيان الذى أعده أمس فاقروه بالاجماع .

وكان جو الجلسة يميل الى المسالمة والمرح ، وخلا من كل مناقشة أو جدل ، واقترح المكباتى أن يعطى لكل عضو فى الوفد من المقيمين فى باريس مكافأة شهرية قدرها ستة آلاف فرنك فاستكثرها الرئيس، وتقرر جعلها أربعة الاف فقط اى حوالى مائة جنيه مصرى شهريا .

وبعد مناقشة قصيرة خفيفة تقرر ان يسافر المندوبون الاربعة (محمد محمود ولطفى السيد وعلى ماهر والمكباتى) الى

مارسيليا يوم ٣١ اغسطس على الباخرة لوتس التى تصل الى الاسكندرية فى فجر يوم ٧ سبتمبر ، على ان يبقوا فى مصر شهرا واحدا أى حتى ٧ أكتوبر يعودون بعدها الى باريس ومعهم أعضاء الوفد الثلاثة (مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف) .

السفر الى فيشى وخطاب من على ماهر

٢٠ اغسطس ١٩٢٠ :

سافر الرئيس بقطار الظهر من باريس الى فيشى للاستشفاء بمياهها المعدنية . وكانت فى صحبته السيدة الفاضلة قرينته أم المصريين ، وطاهر اللوزى وزوجته وجورج دومانى وأنا .

وظل الاعضاء الاربعة فى باريس عشرة أيام كاملة بعد سفر الرئيس الى فيشى قبل ابحارهم الى مصر للقيام بمهمتهم الرسمية وهى استشارة ما سموه« بممثلى الامة » وفى بحر هذه الايام العشرة ورد خطاب هام الى الرئيس من الاستاذ على ماهر وقد جاء فيه

ان المندوبين يجب أن يظهروا متحدين وفى مظهر واحد . وأنه من غير المستطاع عمليا وهم قادة أن يقفوا على الحياد عند عرض مشروع ملنر ، بل يكاد يكون من المستحيل أن يمتنعوا عن ابداء رأيهم اذا سئلوا عنه ومن السهل أن يعرض الانسان موضوعا او مشروعا بطريقة تغرى بالموافقة عليه أو عرضه بشكل يؤدى الى رفضه واستنكاره » ..

وعلى هذا الاساس يقترح الاستاذ على ماهر فى خطابه أن يكون العرض على الطريقة الاولى التى تغرى الناس بقبول المشروع مع الحرص أن تكون طريقتهم غير صريحة ولا ظاهرة الاهداف .

وكان أسلوب الخطاب هادئا مهذبا لبقا ، ومع ذلك فان الرئيس غضب منه وسخط عليه غضبا شديدا وسخطا مريرا . وقال فى حسرة وكمد : انه هو شخصيا الذى اختار على ماهر لمراقبة لطفى السيد ومحمد محمود والمكباتى عند عرض المشروع ، وكبح جماحهم اذا حاولوا الخروج من دائرة الحياد المطلق فى عرض المشروع

عرضا موضوعيا صرفا تستبين منه معـــالمه : مزأياه ، والاضرار والاخطار التي ينطوى عليها مما لا يتفق مع الاستقلال المنشود ·

ورد الرئيس على هذا الخطاب في شيء غـــير قليل من الحدة وختمه بأن هدد وتوعد أن يطلع الامة برايه مبـــاشرة اذا لم ينفذ بيانه تنفيذا دقيقا ، واذا لم يقفوا جميعا على الحياد ، ويقتصروا على بيان ما فى المشروع من مزايا وعيوب ونقائص ·

خطاب الرئيس الى مصطفى النحاس

فيشي ٢٣ اغسطس ١٩٢٠ :

أملى على الرئيس هذا الصباح الخطاب التـــالى الى الاعضاء الثلاثة بمصر وعنوان المظروف مصطفى النحاس وفيــه يصارحهم برايه في المشروع وهو انه حماية لا استقلال ، وهذا هو نص الخطاب :

« اهديكم اطيب تحية وبعد ،

« فانكم تجدون طى هذا بيانا لمثلى وارباب الراى فيما تعلمون مضمونه من تلاوته واظنكم تستشفون منـــه انى لست من رأى المشروع الذى ستعرضونه على الامة انتم والقـــادمون اليكم من اخوانكم وهذا موافق للحقيقـــة لأنه (وأريد أن يكون الامر بينى وبينكم) مشروع ظاهره الاستقلال والاعتراف به ، وباطنه الحماية وتقريرها ·

فقيه من خصائص الحماية ومميزاتها الشيء الكثير ·

ـ كوجود القوة العسكرية ·

ـ والتدخل في التشريع للاجانب وفى القضاء المختص بهم ·

ـ والتدخل فى الشئون المالية واعمـــال وزارة المالية والتدخل فى شئون وزارة الحقانية بواسطه موظفين بريطانيين ··

ـ وجعل المعتمد البريطاني ذا مقام خاص وله التقــدم على غيره من وكلاء الدول الاجنبية الاخرى ·

ـ ثم تقييد حرية مصر فى عقد المعاهدات وفى اختيار وكلائهـا السياسيين وفى التجاء هؤلاء الى ممثلى بريطانيا ·

ـ وتولى بريطانيا دون مصر عقد المعاهدات المتعلقة بالغــاء الامتيازات الاجنبية مع الدول الاخرى ·

ـ وفضلا عن ذلك فان ما اشترطه من تعليق تنفيذه على قبول الدول لالغاء المحاكم القنصلية ، وصدور الدكريتات باعدة تنظيم المحاكم المختلطة ، تجعل الفوائد التى تعود منــه على المصريين وهمية اذ قد ينقضى الدهر ولا تقبل الدول هذا الالغاء ولا تصدر الدكريتات بذلك التنظيم ·

« ولكن اخوانى لا يرون فيه رأيى ، ولم ارد ان اظهـر الخلاف بينى وبينهم حرصا على الوحدة التى هى قوتنـا ولكيلا يشمت الاعداء بنا ، ولو ان اخوانى اصــغوا الى قولى ، او لو لم اكن اخشى على هذه الوحدة من الانقسام لفارقت لندن فى يوم ٢٢ يونيو الماضى ، وهو اليوم الذى وردنا فيه خطاب من لورد ملنر عن مشروع سابق وضعته لجنته ورفضناه لكونه كان يرمى الى ما يخــالف مبادئنا وتوكيلنا ، وكان رفضنا له بالاجمــاع · ومن الغريب ان المشروع الثانى جاء ابلغ فى باب الحماية لاشتماله على كثير من مميزاتها · ومع ذلك راى اخوانى صلاحية عرضه على نواب الامة ولا اريد ان اشكو منه اليكم لانهم انمــا راوا ذلك لاسباب قامت عندهم واقنعتهم بصحة ارائهم ، واهمها تغير ظروف الحال وعدم وجود السند والنصير لنا فى الخارج ، وانفراد الدولة البريطانية بالعزة والسلطان، وعدم قدرة الامة على متابعة المعارضة والمقاومة· وانى اعترف باهمية هذه الاسباب ، ولكنها لا يمكن ان تقلب حقيقة المشروع من حماية الى استقلال ، ولا ان تجعلنا نرضى بما نهضنا

لمقاومته وقمنا للمطالبة ببطلانه ، وما ضحت الامة فى سبيل النفور منه ، والقضاء عليه بدماء الكثيرين من ابنائهــــا ، وحريه العدد العديد من شيوخها وفتيانها ، ولا يحملنــــا نحن دعاة الاستقلال وحملة الويته والصائحين به فى كل صقع وناد على أن نتحول الى تأييد ما هو بعيد عنه فى الواقع ، وان كان قريبا منه فى الظاهر ٠

« أما اذا قبله غيرنا وكان الانجليز معهم ، فذلك شيء آخر لاتقع تبعته علينا ٠ لهذا رايت ان اكتب اليكم بفكـرى حتى تكونوا فى مستوى واحــــد مع اخوانكم الذين ستشتركون معهـم فى عرض المشروع ، وان يكون مركزكم اذا استحسنتم من الذين تستشيرونهم مركز الشارح للحقائق او العارض للوقائع من غير تاويل ولاتفسير لكيلا يجـــد خصومكم سبيلا للطعن عليكم ، ولاحسادكم حجـــة يقيمونها ضدكم ٠ وسوف تطلعون على جميع المكاتبات التى دارت بيننا وبين لجنة ملنر ، وعلى المشروعات الثلاثة التى ورد فى البلاغ ذكرها ، وتقفون من الاخوان على جميـع المعلومات التى يهمكم الوقوف عليها فى هذا الشأن ٠ وانى على ثقة تامة بانكم ستكونون فى عرض هذا المشروع مثال الدقة والنزاهة والبعد عن مزالق القدم ٠

« وانى مستعد لان أرسل اليكم كل ما تشاءون من الاوراق ، ولان اجيبكم عن كل ما تشاءون من الوقوف عليــــه من المسائل ، والله يكون فى عونكم ، ويقيكم شر خائنة الاعين ، وما تخفى الصدور ٠

الواقع انى لم ادهش من مسلك الرئيس سعد هذه المرة لمخالفة شرط الحياد ، وذلك للاسباب الآتية :

١ ـ لانه اعتقد اعتقادا جازما وبحق بان الاعضـــــاء الاربعة سيخرجون على هذا الشرط وانهــــم سيعرضون المشروع بتحيز ، فيحبذونه على استحياء أو قد يحبذه بعضهم جهارا نهارا ، فأراد أن يفوت عليهم أغراضهم ، ويحبط أعمالهم ويخيب آمالهم ٠

٢ ـ انه أيقن ان اى تهديد أو وعيد منه اليهم لا يجدى ولايغنى فتيلا بعد وصولهم الى مصر واختلاطهم بالناس فى السر والعلن ٠

٣ ـ انه أراد حقا وعدلا أن يرفض المصريون هـــذا المشروع تمسكا منهم بالاستقلال واستئنافا للجهاد في سبيله ، وذلك لان الامم لا تنال حريتها واستقلالها من اول هزة ولم يقبل على ضميره ان يقول التاريخ عنه «وكلته أمته في طلب الاستقلال فجاء لها بالحماية مقنعة مبرقعة بعد أن خدعها باستشـــارات مضللة واستفتاءات مزيفة» ٠

٤ ـ انه رغم شيخوخته وأمراضه المتعددة كان بغير شك ولا نزاع اصلب أعضاء الوفد عودا واقدرهم على احتمال المكاره في سبيل قضية بلاده واصدقهم عزما وابعدهم نظرا وأكـثرهم جراة وافصحهم لسانا واثبتهم جنانا وذلك لو سلمنا جـدلا أنهم جميعا في الوطنية سواء ٠

أرسل سعد مدة اقامته في فيشي اكثر من عشرين خطابا ، أربعة منها الى سعيد زغلول ابن اخته المقيم في بيته في مصر ، والباقية الى بعض أعضاء الجمعية التشريعية البارزين الذين يتوسم فيهم النجابة والحرص على مصالح البلاد ٠ وكان سعد فيهـــا صريحا غاية الصراحة في استنكار المشروع وكشف دقائق صوره وهكذا قاد سعد معركة هائلة ضد المشروع وهو مقيم في فيشي بينما كان الاعضاء الاربعة يقومون بعرض المشروع على طريقة تغـــرس في الناس قبوله كما قال على ماهر في خطابه الى سعد ٠

حديث مع صاحب الاهرام

٠ حضر صاحب الاهرام يوم ٨ سبتمبر لمحادثة الرئيس فاكتفى الرئيس بأن أدلى اليه بجملة قصيرة صغيرة جمة المعـــاني وطلب اليه نشرها ، ونصها :

« ان المشروع ليس متفقا مع توكيلنا ولهذا لم يسعنا الموافقة عليه وفضل اخواننا قبل رفضه رسميا استشارة ممثلي الامة فيه » ٠

قابلني صاحب الاهرام بعد خروجه ، وقال لي في شبه ذهول :

« كيف أستطيع أن أبعث الى مصر ببرقية تحمل هذا التصريح الخطير انه قنبلة هائلة تنسف المشروع وتنسف الاعضاء الاربعـــة الذين يحبذون المشروع ، انه قنبلة ، ان المعلومات التي عنـــدي تدل على فرح المصريين بالمشروع ، وتغازلهم به فماذا يكون الحال اذا أرسلت هذه البرقية ؟ »

سألته متى يعود الى مصر فقال انه حضر منذ أيام للعلاج والاستشفاء والراحة من عناء الاعمال وانه سيعود الى مصر فى شهر نوفمبر ·

ثم افترقنا بسلام ، وتفاديت معه اطالة الكلام ولكنى سألت نفسى بعد انصرافه : هل الرئيس صريح اكثر مما ينبغى فى هذه الظروف الدقيقة التى نعيش فيها ؟ انه لا شك يؤمن بأن مشروع ملنر نكبة على مصر لانه يجعل مركز بريطانيا من احتلال ونفوذ وتدخل شرعيا فى البلاد بعد أن كان اغتصابا حتى الآن ، ويؤمن بأن المشروع حماية لا شك فيها ، وليس استقلالا · ولكن هناك الاغلبية الساحقة فى الوفد ضده فماذا يعمل ؟ انه يسلك الآن الطريق الوحيد المفتوح امامه ·

فيصرح لصاحب الاهرام بما صرح به ·

وبالخطابات العديدة يرسلها الى من يثق بهم فى مصر ·

فالمسألة عقيدة وطنية ومسئولية وشرف وضمير ومستقبل امة ·

فى هذا الوقت بالذات الذى كان سعد يحارب فيه المشروع بلسانه وقلمه ، فى سر أشبه بالعلن ويكافح فى سبيل عقيدته ، وفى سبيل الحرص على توكيله لتحقيق الاستقلال ويتحمس وينفعل لذلك اشد تحمس وانفعال ·

فى هذا الوقت الذى كانت الاستشارة تجرى فى مصر ، واعضاء الوفد يشرحون مزايا المشروع ويشيدون بها · ويفسرون ما فيه من قيود ويهونون من شأنها ، ويستخفون بآثارها ويدافعون عن المشروع ويحبذونه جملة وتفصيلا ، تلميحا مرة وتصريحا مرات ومرات ·

وفى الوقت الذى كانت الجرائد المصرية كلها تنشر كلامهم وتفسيراتهم بالعناوين الضخمة وتعلق عليها بما يؤيدها ويزيدها وضوحا ورسوخا وذيوعا ·

فى هذا الوقت بالذات ، ماذا كان مسلك لندن وباريس ؟

ماذا كان مسلك الحكومة الانجليزية والجرائد الانجليزية والكتاب الانجليز ؟

وماذا كان مسلك الجرائد الفرنسية فى باريس ؟ دعاية بريطانية وفرنسية على أوسع نطاق للترويج لمشروع ملنر والتأثير فى المصريين ·

وفى الحق ان هذه الدعاية بدأت من أول يوم سافر فيه الرئيس سعد من لندن يوم ٦ أغسطس · وزادت واستشرت وتفاقمت قبيل وصول الاعضاء الاربعة الى مصر لاجراء الاستشارة · ثم بلغت الذروة طوال المدة التى قاموها فى مصر وعرضوا فيها مشروع ملنر· فقد ظلت جرائد لندن وجرائد باريس تنشر العناوين الضخمة التى ترضى كبرياء مصر والمصريين مثل :

« استقلال مصر » · « مستقبل مصر الباهر » · « نجاح الوفد فى مهمته » · « مصر تحقق أمانيها الوطنية » ·

واستمرت هذه الجرائد تنشر من المشروع ما هو فى صالح مصر ، ولا تشير بكلمة واحدة الى ما فى المشروع من شروط وقيود واغلال لصالح بريطانيا ·

وفيما يلى مقررات (كعينات) مما نشرته جرائد لندن وباريس :

جريدة التيمس (جريدة مستقلة وهى أوسع الجرائد الانجليزية نفوذا) :

« ان المحادثات التى دارت بين لورد ملنر وزغلول باشا أكثر من شهرين قد أسفرت عن وضع مشروع كامل شامل يحقق لمصر استقلالها ويضمن لبريطانيا مصالحها الحيوية فى أضيق الحدود المعقولة ، وهذه أول مرة فى التاريخ ستتمتع فيها مصر «بالاستقلال» بعد أن فقدته منذ أكثر من ألفين من السنين حكمتها خلالها دول مختلفة نخص بالذكر منها الفرس واليونان والرومان والعرب والاتراك والمماليك والفرنسيين والانجليز ، ولهذا يحق للحركة الوطنية المصرية أن تغتبط أشد الاغتباط بتكليل نشاطها بالنجاح وتحقيق امانيها فى الحركة والاستقلال · ولقد يبدو عجيبا فى نظر كثيرين ان بريطانيا العظمى تعطى مصر هذا الاستقلال بمثل هذه السهولة واليسر ، أى بعد مجهود بسيط وكفاح قصير منجانبمصر ، وبعد خروج بريطانيا العظمى منتصرة من أكبر حرب دخلتها ، وأصبحت بانتصارها هذا أكبر دولة فى العالم · لقد رأت بريطانيا منح مصر هذا الاستقلال مكافأة لها على ما أظهرت من ولاء فى زمن الحرب ، ورغبة منها فى كسب صداقة المصريين بصفة دائمة ، ولا يخالجنا شك فى أن عقلاء المصريين سيعترفون بهذا الجميل لبريطانيا . وسيرحبون بهذه الفرصة المتاحة لهم فيوافقون على المشروع شاكرين ، كما لا يخالجنا شك فى ان فريقا كبيرا من رجال

حزب المحافظين سيسخطون اشد السخط على لورد ملنر ولجنته بسياسة الحكومة البريطانية الحاضرة بحجة أن هذا التصرف من جانب بريطانيا ان هو الا ايذان ببدء انهيار الامبراطورية البريطانية وبحجة ان فيه تشجيعا للمستعمرات والممتلكات البريطانية أن تحذو حذو مصر طمعا في نيل ما نالته مصر · ولكن الجواب بسيط وهو ان مصر لم تكن فى يوم من الايام من المستعمرات أو الممتلكات البريطانية · وما تعمله الحكومة الان ما هو الا تنفيذ لوعود سابقة وتحقيق لوعود لمبادىء الديمقراطيه · وهذا وذاك لا يعتبر دليل ضعف وانهيار من جانب بريطانيا العظمى لاننا نعطى ونحن فى أوج قوتنا فلا مظنة هناك لضعف أو انهيار ·

مورننج بوست (جريدة المحافظين) :

« اننا لم نصدق عيوننا حين اطلعنا على المشروع الذى وضعته لجنة ملنر مع زغلول باشا · فقد أصابتنا دهشه وذهول وحيرة وتساءلنا كيف يمكن أن تتخلى بريطانيا العظمى عن مصر بمثل هذه السرعة وهذه الخفة التي لا تدل على الشعور بالمسئولية ؟! ان المصريين بداهة لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم لان الجهل والفقر والتأخر والانحطاط فى كل ناحيــة من نواحى الحياه هما المظهران البارزان اللذان يراهما كل من زار أو يزور مصر (فى الماضى والحاضر والى زمن بعيد فى المستقبل) · وان أغلبيــة الشعب المصرى من الفلاحين وهم ٩٠٪ السكان لن ينسوا حكم الباشوات والحكام الطغاة المرتشين الذين نكبوهم أجيالا وقرونا عديدة ، ولم ينقذهم الا حكم الانجليز فى عطف ونزاهة وعدل · وهذه الاغلبية العظمى من المصريين ستعتبر هذا الاستقلال الذى منحته لمصر بهذه الخفة المذهلة خيانة منا لهم ونكبة عليهم ودليلا على اننــا بدانا نتخلى عنهم · ولا شك أن المخاوف ستساورهم من الان عن المستقبل المظلم الذى ينتظرهم وقرب عودة حكم الباشوات الذين سحقوهم فيما مضى ، وصبوا عليهم الوانا من التعذيب لم ينسوه ، ومازالت أثاره فى ذاكرة الكثيرين من الاحياء منهم · ان المصريين سيقبلون هذا المشروع من غير تردد ، ولكن البرلمــان البريطانى لا يمكن أن يوافق عليه الا اذا ادخلت عليــه تعديلات كثيرة تزيد من ضمان المصالح الانجليزية والاجنبية فى مصر وحمايتها من كل عبث فى المستقبل بعد أن تصبح مصر دولة مستقلة ولها برلمان يعمل فى حرية ووزارة مسئولة أمام هذا البرلمان » ·

وستمنستر جازيت (جريدة حزب الاحرار) :

« ان مشروع ملنر ـ زغلول ينطوى على اقتراحات سخية (أو لعلها مسرفة في السخاء) لانها ذهبت بعيدا فى تحقيق الامانى الوطنية المصرية بالنسبة للاستقلال الذى اصبح الآن على السنة المصريين جميعا بلا استثناء ، ومع ذلك نرى أن لورد ملنر وزغلول باشا يستحقان التهنئة : لان زغلول حقق الاستقلال لبلاده ولان لورد ملنر قد اكتفى بأقل مقدار ممكن من الضمانات للمحافظة على المصالح الحيوية البريطانية والاجنبية فى مصر » ·

ديلى هيرالد (جريدة حزب العمال) :

قالت ـ واخيرا نجحت الحركة الوطنيـــة المصرية فى تحقيق الاستقلال المنشود ، وان هذا النصر المصرى سيحدث شيئا غير قليل من الكمد والمرارة والغيرة والتعاسة لدى عدد كبير جدا من المحافظين الانجليز وبناة الامبراطورية · ومما يزيد فى حـــدة هذا التوتر الشعور أن هذا التوفيق المصرى قد تم على يد أحد بناة الامبراطورية البريطانية ـ لورد ملنر نفسه · ولكن ملنر فى نظرنا قد اظهر حصافة وبعد نظر وبراعة وكياسة حين ادرك أن مصر عريقة فى المدنية وأن شعبها جدير بالاستقلال لاسباب عدة اولهـا ان مصر زعيمة البلاد الاسلامية فى العالم وثانيهـــا أن الروح الوطنية أعمق جذورا وأبعد مدى فى مصر عنها فى أى بلد آخر واقع تحت النفوذ الاجنبى . وثالثها أننا قطعنا عهودا كثيرة باحترام استقلال مصر ، وها نحن أولا نبر بوعـــودنا وعهودنا واذا كان عدد كبير من المحافظين البريطانيين سيشعرون بالحزن والتعاسة فهم معذورون ولكن لا حيلة لنا فى ذلك ويجب أن يدركوا أننا نعيش الآن فى القرن العشرين لا فى القرن الثامن عشر او القرن التاسع عشر ·

وان حزب العمال البريطانى ليشعر بالغبطة بأن مصر ستكون بعد اقرار هذا المشروع دولة مستقلة لها برلمان · ووزارة مسئولة امام هذا البرلمان · ولها ســـفراء فى الدول الاجنبيـــة · وللدول الاجنبية سفراء فى مصر · وهذه كلها عناصر الاستقلال الصحيح وهى مكاسب ما كان احد ليحلم بها بالنســـبة لمصر · ومما يزيدنا تفاؤلا بالمســتقبل أن أعضاء الوفد الذين ســـافروا الى مصر قد

استقبلوا استقبالاً مدهشاً من الحفاوات الشعبية البالغة ، وأن الرأى العام المصرى مسرور ومقتنع بفائدة المشروع بعد العرض والشرح والبيان الذى قام به ممثلو الوفد فى مصر ونحن نرى أن لهذا المشروع ميزتين :

الاولى : ان مصر ستخطو به خطوات واسعة فى سبيل الرقى المادى والادبى .

والثانية : العلاقات البريطانية المصرية على أساس صحيح ومتين ودائم » .

الديلى تلغراف (جريدة المحافظين الثانية) :

« ان هذا المشروع المعروض الآن فى مصر مكسب هائل لمصر ومكسب متواضع جدا أو مشكوك فيه بالنسبة لبريطانيا العظمى . ذلك لان مصر بعد أن يتحقق استقلالها ويقوم برلمانها ووزارتها المسئولة امامه ، تستطيع أن تتحدى بريطانيا التى اكتفت بأقل ما يمكن من الضمانات للمحافظة على مصالحها والمصالح الاجنبية، ولذلك نشعر مع الاسف الشديد أن نفوذ بريطانيا العظمى فى مصر خاصة والشرق الاوسط عامة سيبدأ فى الضعف والتقلص ، ومن عجب أن يحدث هذا فى أعقاب حرب خرجت منها بريطانيا العظمى منتصرة بل خرجت أقوى وأكبر وأغنى دولة فى العالم ، وهذا ما يدعو الى الدهشة والذهول » .

الديلى ميل (جريدة محافظة متطرفة) :

ان هذا المشروع أكبر غلطة ارتكبتها بريطانيا فى الخمسين سنة الاخيرة اذ كيف نسلم باعطاء مصر استقلالها وقد خلقتها الطبيعة حلقة فى سلسلة المواصلات الامبراطورية ولا غنى لنا عنها مطلقا . اننا فى حيرة وذهول أن يتم هذا على يد رجل مسئول مثل لورد ملنر الذى خيب كل الآمال التى علقت عليه ، وضيع الثقة فى كفايته كدعامة من دعائم الامبراطورية .

الديلى اكسبريس (جريدة محافظة متطرفة) :

ان زغلول قد خدع لورد ملنر ، وهذا المشروع هو الدليل الحى على ذلك . « مصر مستقلة » !! ولها برلمان !! ووزارة مسئولة أمامه وسفراء فى الخارج .. وللدول سفراء فى مصر !!

ما هذا الكلام ؟ أممكن هذا ؟ أيعقـــل هذا ؟ ان لورد ملنر قد خرج على توكيله وهو العمل على تنظيم الحماية أو بعبارة أدق خالف نص التفويض الذي أعطى له ونصه : « تحقيق أســباب الاضطرابات التي حدثت أخيرا فى مصر ، وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة فى تلك البلاد ، وعن شكل القانون النظامى الــذى يعد تحت الحماية خير دستور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء فيها، ولتوسيع نطاق الحكم الذاتى فيها توسيعا دائم التقدم والترقى ولحماية المصالح الاجنبية » •

اى فرق هائل بين نص هذا التفويض الظاهــــر الصريح وتلك المنح السخية المدهشة المذهلة التى أعطيت لمصر مثــل الاعتراف بحقها فى الاستقلال والبرلمان والتمثيل الخــارجى ؟ ماذا بقى لبريطانيا بعد ذلك ؟ لقد خسرنا مصر بدون أى مبرر على الاطلاق ان مصر ستقبل هذا المشروع حتما • ولكن الرأى العام البريطانى سيرفضه ويثور عليه عند عرضه عليه ، وسيتجلى ذلك عند مناقشة الموضوع فى مجلس العموم • لقد عشنا ورأينا خـروج مصر من حظيرتنا ، ولا نعرف جنونا أشد من هذا الجنون الذى أصاب رجال الحكم فى بلادنا » •

⊙❖⊙

حسبنا هذا القدر من الدعاية فى صحافة بريطانيا لبيان مــدى المحاولة الانجليزية للتأثير فى المصريين أثناء عرض المشروع عليهم وافهامهم انهم الكاسبون حقا وان الانجليز هم الخاسرون •

وعلى هذا المنوال نسجت صحف فرنسا حليفة بريطانيا ، وضربت على نفس هذه الانغام الشجية حتى ليخيل للانســــان أن جرائد بريطانيا وفرنسا معا تلقت الوحى من شخص واحــد رسم خطة الدعاية ، وبين بالدقة ما يقال وما لا يقال ، ما ينشر وما لا ينشر، ثم ما يؤكد ويبالغ فيه من مزايا المشروع دون سواها وذلك حتى يشعر الرأى العام المصرى أن باب المستقبل السعيد لمصر قد فتح على مصراعيه بفضل هذا المشروع الذى وضــعه ملنر وأعضــاء لجنته ، وحتى يتأكد الشعب المصرى أن رفض مشروع كهذا خطأ وخبال ، لان مزاياه لم تكن تخطر ببال أو خيال •

نظرة عامة : من المؤيدين ومن المعارضين للمشروع :

والآن فلنقف لحظة ، وننظر نظرة عامة ، لنعرف عدد من يؤيدون المشروع ومن يحاربونه لنوازن بين قوى الفريقين :

أما المؤيدون المجندون الداعون لقبوله فهم :

١ ـ محمد محمود ولطفي السيد والمكباتي الذين سافروا لاجراء عملية الاستشارة في مصر ·

٢ ـ عدلي وأعضاء الوفد من الاغلبية الباقون في باريس ·

٣ ـ صحافة لندن وصحافة باريس ·

٤ ـ صحافة الاسكندرية والقاهرة ·

٥ ـ عدد كبير من البارزين من أعضاء الجمعية التشريعية ·

٦ ـ بعض كبار الكتاب في مصرمن أمثال محمود عزمي وتوفيق دياب ·

٧ ـ بعض كبار المحامين المصريين ·

أما المعارضون للمشروع والمطالبون بتعديله فهم ·

١ ـ الرئيس سعد زغلول ومعه واصف غالي وسينوت حنا وعلى ماهر ومصطفى النحاس ·

٢ ـ الحزب الوطني وأفراد قلائل من البارزين من الشعب ·

قوتان غير متكافئتين ، لهذا كان سعد في أشد حالات الكرب والحزن واليأس وكان ما تنشره الجرائد الانجليزية والجرائد الفرنسية يوميا يقع من نفسه أسوأ وقع بل كان يكويه كيا ويشويه شيا لانه كان يدرك مدى ما فيه من خبث ودهاء ونفاق وتأثير في الساذجين وغير المطلعين من المصرين ، فلما اطلع سعد بعد ذلك على ما نشرته الجرائد المصرية في مقالاتها الافتتاحية وما نشرته من تفسيرات الاعضاء الاربعة لمواد المشروع بلغ الكمد والغيظ والانقباض من نفسه اقصى مدى يخطر على بال ·

فماذا يعمل ؟ كيف يعمل ؟ كيف يقاوم هذا التيار الجارف ، وهذا البلاء الزاحف ؟·

هداه تفكيره أن يبعث الى مصطفى النحاس بخطاب طويل طالبه فيه أن يبذل أقصى جهده لمنع الناس من الموافقة على مشروع ملنر

بغير شرط أو قيد ، وحثه على حملهم على وضع رغبات وتحفظات على المشروع حتى يمكن النظر فى قبوله على أساسها • وبغير هذه الرغبات والتحفظات لا يمكن قبول هــذا المشروع بحال من الاحوال •

سعد يحدد التحفظات

وقد حدد سعد بنفسه هذه التحفظات وهى

١ ـ الغاء الحماية بنص صريح فى المشروع •

٢ ـ تنفيذ المعاهدة عقب التصديق عليها فورا بدون انتظار قبول الدول الغاء المحاكم القنصلية وتعديل اختصاص المحـــاكم المختلطة وحلول بريطانيا محلها •

٣ ـ تعيين المعاهــدات السياسية التى ترى بريطانيــا انها تضر بمصالحها •

٤ ـ تعيين نوع المساعدات التى تقدمها مصر لبريطانيا بسبب هذه المعاهدة •

٥ ـ ضمان اعطاء مصر الماء الكافى من النيل •

٦ ـ الغاء النص القاضى بحق الحـكومة المصرية فى أن تستشير المستشار المالى والموظف الانجليزى بوزارة الحقانية •

٧ ـ تسوية مسألة السودان •

وقد بذل مصطفى النحاس جهـــودا مشكورة فى محاولة حمل أعضاء الجمعية التشريعية وأعضاء مجالس المديريات على قبول هذه التحفظات ، ولكن أعضاء الوفد الاربعــــة بذلوا جهودا من ناحيتهم كذلك على أن تكون هذه التحفظات مجــرد رغبات يحقق الوفد منها بالمفاوضة ما يستطيع تحقيقه ، وما لا يستطاع تحقيقه يؤجل مؤقتا •

ولما وصلت الجرائد المصرية الى فيشى وقد نشرت هذه التحفظات على أنها رغبات غضب سعد وهاج ، وقال لى انه سيعتبرها تحفظات حيوية وانه سيطالب ملنر بالتســـليم بها مقدما قبل اســتئناف المفاوضات •

راى الرئيس فى طريقة عرض المندوبين للمشروع فى مصر

١٥ سبتمبر :

اخبرنى الرئيس اليوم اثناء تناول الشاى معه انه اطلع على اللطائف المصورة الاخيرة فوجد فيها صورة المندوبين عند وصول الباخرة بهم الى الاسكندرية ، ثم قال .

« رايت فيها ما يجرح النظر اذ كان محمد محمود والمكبانى يطلان من الباخرة وفى فم كل منهما سيجارة تتدلى على طريقة الادلال والتيه التى يسلكها عادة الشبان الناشئون المعجبون بانفسهم » .

كما قال لى فى حسرة وكمد : « ان الاعضاء الاربعة عرضوا مشروع الاتفاق بطريقة التحيز لا بالنزاهة ولا بالدقة التى كنت أنتظرها منهم ، وظهر لى أن الامة لم تصدق كل ما سمعته منهم لانه غير معقول ولا مقبول ، ويدل على ذلك أنها بعد أن سمعت الشروح التى لا توافق المعقول ولا تنطبق على الحقيقة تشبث بعضهم بأن تشتمل الاتفاقية على نصوص لا تترك مجالا للتأويل ولا مجالا للتفسير . ولهذا يجمل بى الا اؤيد هذا المشروع الا قبلت هذه التحفظات .

العودة الى باريس من فيشى

١٦ سبتمبر ١٩٢٠ :

عدنا جميعا من فيشى فى قطار الصباح الذى وصل الى باريس فى الساعة الثالثة بعد الظهر بعد أن أتم الرئيس علاجه فى هذه المدينة الاولى للمياه المعدنية التى تعالج أمراض الكبد والبدانة والسكر .

ولكن ماذا أقول ؟ أتم الرئيس علاجه !! الصواب أن أقول :

« أتم الرئيس المدة المقررة للعلاج » أما العلاج نفسه فشىء آخر لم يتم ولا أظنه قد بدىء فيه . وكيف يبدأ علاج ، والمريض منهمك فى أعماله العقلية ، محترق بانفعالاته النفسية مسحوق بأثقال همومه السياسية ثم غيظه وغضبه المستمر المكبوت المكتوم يوما بعد يوم : يزعجه على الدوام فى اليقظة ويؤرقه على الدوام فى الليل ؟

عدلى يزور سعدا فى مسكنه

١١ سبتمبر .

حضر عدلى لزيارة الرئيس وقد أتم هو الآخر علاجــه فى مدينة « فيشى » الشهيرة بمياهها المعدنية ، وفى الحديث الذى دار بينهما تحدث للرئيس انه كان على اتصال مستمر بالمنـدوبين الذين ذهبوا الى مصر للاستشارة كما كان على اتصال تام بملنر بواسطة (ولرند) الانجليزى الاعرج ٠

وفى أثناء الحديث قال عدلى لسعد . هل تستحسن أن المفاوضة القادمه تكون فى مصر أو فى لندن ؟

سعد. أفضل أن تكون فى مصر ٠

عدلى : اذن يجب أن يكون فى لندن مصرى قدير يؤيد وجهــة نظر المفاوض المصرى أثناء المفاوضات ٠

سعد ٠ هل فكرت فى واحد يليق أن يشغل هذا المركـز فى هذه الفترة المهمة ؟٠

عدلى محمد محمود٠

سعد . لا أظن أنه يفى بالغرض ٠

عدلي . أعرف ذلك (وابتسم) ٠

سعد : وما رأيك فى اسماعيل صدقى ٠

عدلى ٠ ليس محبوبا فى انجلترا ، ومع ذلك سافكر فى الموضوع معك ٠

المندوبون يكتبون الى عدلى

وفى أثنــــاء تناول الشــــاى أظهر الرئيس دهشــته من امتناع المندوبين الاربعة عن الكتابة اليه طوال مــدة عرض المشروع على الامة ٠ مع أن بعضهم كتب الى عدلى مرارا وقد قرأ له عدلى خطابا واردا اليه من محمد محمود باشا يظهر فيه تفاؤلا كبيرا ، كمـــا تسلم عدلى خطابات من اسماعيل صـــدقى ولطفى السيد وعلى المنزلاوى بينما الرئيس سعد لم يتسلم الا خطابين من مصـــطفى النحاس ٠

ويصا واصف ينتقد خطة الحياد

اخبرنى الرئيس كذلك أن واصف غالى اطلعه على خطاب وارد اليه من ويصا واصف يستحسن فيه المشروع ، وينتقد خطة الحياد التى طلب من المندوبين اتباعها ·

ثم قال : « لقد دهشت وتعجبت من هذا المحامى الذى لم يتأمل تماما فى المشروع ولميدرسه دراسة كافية لكىيدرك مقدار ماينطوى عليه من الاخطار اذا لم يتناوله تعديل أساسى كما بينت ذلك فى خطابى الى مصطفى النحاس عن المسائل التى يجب ابداء رغبات وتحفظات بشأنها » ·

مشروع هرست

١٨ سبتمبر :

اخبرنى الرئيس أن عبد العزيز فهمى زاره صباح اليوم وأبدى له تألما من رخاوة عدلى بالنسبة لمشروعهرست عن تعديل الامتيازات الاجنبية لانه يعتبره اشد ضربة تصيب مصر فى مقتلها · وقد الح على سعد أن يزيد من اتصاله بعدلى لانه يقطع بأنه يكون نافعا جدا أو ضارا جدا اذا تولى المفاوضات القادمة ·

فرد عليه سعد بانه لا يثق بعدلى · ولا يقبل المفاوضة الا اذا كان هو رئيسها وأن ينتخب من يكونوا معه ·

فقال عبد العزيز فهمى انه سيتكلم مع عدلى فى ذلك ليجس النبض ·

فقال الرئيس : هذا حقك ·

كما أخبرنى الرئيس إنه يشعر شعورا قويا بأنه اذا لم يكن متوليا أمر المفاوضات فى المستقبل ضاع الامر على مصر ·

ملخص مشروع هرست

اختصاص المحاكم المختلطة (كما وضعه هرست المستشار القضائى لوزارة الخارجية البريطانية) :

توسيع اختصاصاتها على الاسس الآتية :

١ ــ كل أجنبى مقيم فى مصر ·

٢ ـ كل ما فيه مصلحة أو فائدة أو ضرر للاجانب بحسب ماتقرره المحاكم المختلطة بنفسها ٠

٣ ـ المحاكم المختلطة هى التى تحدد اختصاصاتها ٠

تشكيل المحاكم المختلطة

يقضى المشروع بأن يكون رئيس محكمة الاستئناف ورؤساء المحاكم الابتدائية والنائب العمومى ، وعدد معين من القضاة الاجانب بحيث تكون لهم الاغلبية فى الجمعية العمومية . ويكون تعيين القضاة وتزكيتهم بواسطة ممثل بريطانيا السياسى فى مصر ، وتكون محاكم الجنايات مختصة بالجرائم المعتبرة جناية قانونا ، وبالجنح التى يمكن الحكم فيها أزيد من سنتين ٠

فلما اطلع الرئيس على هذا المشروع رفضه من اساسه ٠

صيغة الرئيس لالغاء الحماية

٢٠ سبتمبر :

أخبرنى الرئيس انه فكر فى صيغة « لالغاء الحماية » من غير تصريح واضح بهاتين الكلمتين وذلك ليوفق بين الطرفين وهى :

« كل اعلان أو اتفاق يختص بحالة مصر الدولية غير هذا الاتفاق يعتبر لاغيا » ٠

ثم قال : « لا أظن أن هذه الصيغة يقبلها من لا يرغب فى الغاء الحماية ، أما اذا كانوا لا يرون مانعا من الغائها وانما تمنعهم كرامة بريطانيا وتصريحاتها السابقة من ذلك ، فانهم يقبلونها » ٠

وفى هذه اللحظة حضر عبد العزيز فهمى وأطلعه الرئيس على هذه الصيغة فقال له : « يا باشا ان المشروع حماية ، ولا ينفى هذا المعنى اى تصريح بالغائها ، وهذه الصياغة جميلة اذا سلمت الحكومة البريطانية بقبول التحفظات التى ترى ادخالها على المشروع ، وقبول تعديل مشروع هرست الذى يتضمن من المبادىء ما هو شر من الحماية ٠

الرئيس : اذا كنت ترى أن المشروع حماية فلماذا تقبله وتؤيده أنت وزملاؤك ؟ ٠

عبد العزيز فهمى : اننا نختار أهون الشرين . والمضطر يركب الصعب فى الامور وهو عالم بركوبه ٠

سعد . ان سير رنل رود قال مرة فى حديث خاص أن الصعوبة فى مسألة الغاء الحماية صراحة انما ترجع الى كرامة بريطانيا لا اكثر .

عبد العزيز فهمى   هذا كلام يقال ، وما كل ما يقال يصدق

الاعتراف الثالث عشر

٢١ سبتمبر :

قال لى الرئيس فى أثناء تناولى الشاى معه .

« ان اخوف ما اخافه الآن الانقسام فى الوفد ، فان المندوبين الذين بعثنا بهم الى مصر يميلون كل الميل الى قبول مشروع ملنر ، ان لم يكن لاعتقادهم بفائدته فلارتباطهم الآن بما أبدوه للامة من تفسيرات وتحبيذات . وليس فيهم من اصالة الفكر وقوة العزيمة ما يخرجهم من هذه الحالة . ولكن كل هذا لا يضعف همتى . وما وثقت بى الامه لأغرر بها . بل لكى أسلك بها سواء السبيل . ولقد نفرتها من الحمايه فنفرت ورغبتها فى الاستقلال فرغبت وحملتها على كثير من الضحايا فضحت . وانه لمن أكبر الجرائم ان اصور لها بعد ذلك كله الحماية فى صورة الاستقلال ولكى أحملها على ما تكره » .

مرض الرئيس بالانفلونزا

من ٢٢ سبتمبر الى ٣٠ سبتمبر :

فى هذا الاسبوع الاخير من سبتمبر اعتكف الرئيس لاصابته بالانفلونزا التى بدأت بردا خفيفا وزكاما ثم ارتفعت الحرارة درجتين ، ونصحه الطبيب بالراحة التامة . فلم اقابله فى هذه الفترة الا تسع مرات : مرة واحدة فى الصباح من كل يوم لاطلعه بايجاز على ما تنشره الجرائد الانجليزية من أخبار عن مصر .

وأرى أن هذا المرض نعمة فى ثوب نقمة لانه يضطره الى الراحة اضطرارا وهو أشد الناس حاجة الى الراحة البدنية والراحة من الانفعالات النفسية التى أصبح يعيش عليها ، وكأنه لا غنى به عنها .

وقد وردت اليه تلغرافات عديدة بالسؤال عن صحته وقد رددت عليها جميعا . ولاحظت أنها وقعت من نفسه أجمل وقع .

ووصل الى باريس عدد كثير من الاعضاء الذين كانوا فى مدن فرنسا يستشفون ويستجمون ، وسيصل فى بحر الاسبوع القادم أو فى اخره أعضاء الوفد من مصر بعد أن قاموا باتمام الاستشارة .

الاعتراف الرابع عشر

اول اكتوبر :

قال لى الرئيس اليوم أثناء تناولى الشاى معه .

« انى أعتقد أن الله لا يريد بى الا كل خير ، فهو يوفقنى دائما الى ما فيه المصلحة العامة رغم كل المغريات حولى وكل المؤثرات ، ولكنى أعجب لامرى : فانى لا أذوق لذة خالصة من كدر ، ولاأشعر بسرور خال من هم ، ولا تزدهينى نعمة اذا أصبتها ولا يأخذنى الارتياح للحاضر عن التفكير فى القابل ، ولا تطمئن نفسى الى أذى الغير . وان الغير اعتدى ، ولا ترضى عن نفسها حتى تعدل عن غيها ، ولا يروق لها الا جمال الفضيلة ، ولا تشعر بقوة أعلى من قوة الحق ، ولا بلذة أكبر من لذة الجهر به والدعوة اليه .

« انى اصبحت لا أبتغى منزلة أعلى مما نزلته من قلوب امتى وحسبى الاحتفاظ بها ، ومادام هذا قصدى فليكن كل ما بيننا من تنافر وتزاحم بعيدا عنى ، وليكن عملى متفقا مع القصد . اللهم انى أخلصت وجهى لله . فوفقنى دائما لما ترضاه انك أنت علام الغيوب » .

فتأثرت غاية التأثر ، وأحنيت رأسى مطرقا وسكت وأطلت السكوت فلاحظ الرئيس حالى وما انا فيه من شعور غامر ، وهنا حضر واصف غالى وسينوت حنا فانتهزت الفرصة للخروج من حضرته لأدون كلمات الرئيس حرفا بحرف .

٢ أكتوبر ١٩٢٠ :

لقد حرصت منذ سفرى فى مصر أن أكتب الى صديقى الاستاذ احمد امين خطابات سياسية اطلعه فيها بقدر الامكان على ماعندنا من أخبار ، وأجيبه عما يسأل عنه من بيانات . وكان هو الآخر يكتب الى بنظام واطراد .

وقد وصلني منـــه خطابان مهمان احـــدهما بتـــاريخ ١١ سبتمبر والثانى بتـــاريخ ٢٦ سبتمبر ، وهذا نصهما :

اخى كامل

سلام عليك ـ كم انا سعيد بك ، مغتبط بصحبتك ـ شاكر لك توالى كتبك على وايضـــاح ما غمض على الناس .



احمد امين

انست بلقاء اخيك ووددت أن القاك قريبا كما لقيته وقد زرته امس فى بيته وحظيت بلقيـــاه ولقيا والدك ، وسرنا جميعـــا الى كافيه ريش فجلسنا هناك جلسة جميـــلة حدثنى فيهـــا باحاديث كثـــيرة أسرها الى نفسى ما كان عنك ووجدتك أثرت فيه أثرا غريبا اذ جعلته يعتقد فى ما لست له بأهل ، ويميل الى مصاحبتى ويلح على فى كثرة لقياه ـ شكرا لك ـ كان استقبال أعضاء الوفد هنا استقبالا لا أستطيع وصفه وكان الناس يتساءلون « فماذا يصنع الناس عند قدوم سعد باشا ؟ » وكنت أنتظر على المحطـــة فيمن أنتظر ، وتذكرت عندئذ يوم أخذ محمد باشا محمود هو وأصحابه واعتقلوا وسافروا ولم يدر بهم أحد ، وقابلت بين ذلك وبين قدومه أمس والحكمدار يقدم له أوتومبيله لان أوتومبيل الباشا كسر من كثرة زحام الناس فعلمت عندئذ قوة الامة وقدرت نتائج ثباتها .

« ومما زاد دهشى اليوم انى قرأت فى المقطم مقالا يغير فيهـــا سياسته تغييرا تاما ، ويتقرب الى الامة ويبتعد عن الانجليز بلاتدرج ويعلن أنه سينتقد المشروع بصراحة وانه يخدم مصر والمصريين ، وانه لولا الوفد ما وصل المصريون الى ما وصلوا اليه . فتوقعت

بعد ذلك ما يفعله المارقون ، ورأيت مظاهر اناس كانوا يرموننا بالطيش والحمق والجنون وهم يريدون اليوم ان يأكلوا أول ثمرة تثمرها مجهوداتنا . فهنيئا لهم ذلك وليتمتعوا كما نتمتع ولسوف نصفح عن كل مسيء ونستخدم كل ذى كفاءة . ولو أن الانجليز كانت تستخدم كفاءته .

« الرأى فى مصر بأكمل أميل الى قبول مشروع الاتفاق بتحفظات ولاسيما الشرط التعليقى .

« ويظهر أن السبب فى قبولهم ما يحسون به من ضيق الخناق فى موقفهم الحالى وموقف انجلترا العام امام الدول ، وان كان هناك طائفة لا ترضى عن الاتفاق بحال من الاحوال وقد غاظهم سلوك الوفد الاخير فى الاستنارة برأى الامة لانهم لم يجدوا فى هذه الطريقة مطعنا ما يطعنون به على سلوك الوفد ، ويسرنى ان تكون بين النغمات المختلفة نغمة تقول برفض مشروع الاتفاق فذلك مما يقوى — على ما اعتقد — مركز الوفد ويجعله يشتد فى المطالبة . لم ينشر المشروع الا امس وابتدأت الجرائد تعلق عليه وتنتقده ، وابتدأت الجماعات المختلفة تجتمع لتبدى رأيها وسأخبرك بما يتم .

والسلام عليك من مشتاق لك ، معجب بك .

(أحمد أمين)

اما الخطاب الثانى بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٢٠ فنصه كما يلى .

اخى كامل

سلام عليك تمت حركة الاستئناس برأى الامة أو كادت على خير ما كنا نرجوه فقد اشترك فى ابداء الرأى كل ذى رأى وكل عظيم وكل صغير وتجلى للاجانب ثانية قيمة تعلق الناس بسعد وبالوفد ورجاله ، والاغلبية العظمى كما قلت لك كانت ميالة الى قبول المشروع بتحفظات ، وكأن مما ينتقد علينا ان الحزب المعارض اضعف مما كان ينبغى . وسبب ذلك على ما يظهر أن الامراء تسرعوا فى ابداء رأيهم وقد يكون ذلك بتحريض غير مخلص فخشى المعتدلون ان يتبعهم الرأى العام فصدموا الامراء صدمة قوية ورموهم بالتسرع بل والانقياد الاعمى ، فخشى بعد ذلك بعض المعارضين ان يجهروا برأيهم خوفا من ان يصدموا كما صدم الامراء ، فخضعوا لقوة التيار . ولو تأخر الامراء الى الاخر كما فعلوا فى حركتهم الاولى لكان حزب المعارضة اقوى كما يظهر لى ،

وخلاصة الراى العام ان المشروع يصح أن يكون أساسا مع تحفظات عديدة لابد أن تكون قد اطلعت عليها ٠

« يسرنى يا كامل حصول ما كنا نامـــله ـ أتذكر أنا كنا نمشى قريبا من قصر النيل يوما وكنا نتمنى أن يكون المصريون حزما وأن تكون هناك حزمة الحزم ، ذلك ما كان فقد انتشرت النقابات وتألفت جماعات كثيرة أعانت رجال الوفد على الوقوف على رأى الامة ٠

« لا أكتم عنك أن بعضـــا من المصريين دهش من هذا المشروع وتمنى أن لو تم ، وما كان يتوقع أن انجلترا تســمح بما سمحت به ، ومازال مستغربا الى اليوم ـ يعرف هؤلاء . همة سعد ورجال الوفد وما بذلوه من جهد ، ولكن ما كانوا يتصورون أن انجلترا العنيدة تسمح بذلك ٠ انصرف كثير من العقلاء بعد هذا الى التفكير فيما ستكون عليه حالة الامة بعد ، والخوف من المستقبل ٠

« يتصور الناس للاستقلال صورا براقة فالفقير يتصور أن معنى الاستقلال رخاء العيش ، والتلميذ يتصور فيه الحرية الى غير حد ، ومن لم يوظف يتصـــور أن الاســتقلال سينيله وظيفة ، والموظف يطمع فى وظيفة أكبر من وظيفته ، وقل من يتصـــور أن الاستقلال مسئولية كبرى وعبء ثقيل ومجهود عظيم وانا اذا نلناه فقد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ، وكل هؤلاء يوم لايجدون ما يأملون يكونون من الساخطين الشاكين ـ ما أحوجنا الى رجال كثيرين أشداء أقوياء أمناء، يشعرونبالمسئولية ويحسون بالواجب، وعبء الاســـتقلال اكثر مما عنـــدنا من رجال لاســيما أن أوربا ستحاسبنا من يوم أن نتسلم زمام امورنا ولا تعلم أن رجال اليوم هم ثمرة الاحتلال المرة ونتيجة التربية الناقصة ، أوربا هى التى زرعت الزرع وأنتجت ثمرة مرة وتطالبنا يوم أن نتسلم الثمرة أن نقبلها ثمرة حلوة فى الحال ، ولكن لعل شعورنا بالمسئولية يزيد مجهودنا ويكوننا سريعا فقد أبدت الامـــة فى مواقف كثيرة ما قد يستغربه السيكولوجى الدقيق ٠

« نفعنى كتاباك وفهمت منهما ما لم أكن افهم وعملت بما فيهما قدر جهدى ٠

« لعلك فىخلوة من خلواتك ياكامل وفى وقت من أوقات «التجلى» تحدثنى بشىء عن نفسك فقد شغلتنا السياسة كثيرا واشتقت الى

احاديثك السيكولوجية ـ أرجو أن يحقق الله آمالنا ويسدد خطانا جميعا ·

(أحمد أمين)

٣ اكتوبر :

رايت أن أطلع الزعيم سعد على هذين الخطابين الواردين الى من الاستاذ أحمد أمين لانى وجدتهما يلقيان بعض الضوء على كثير مما لا نعرفه هنا ونحن فى باريس ·

ولكن قبل أن أعرض الخطابين على الرئيس . فكرت فرأيت أن من الحكمة أن اثير فى نفسه شيئا من الاهتمام بهما وذلك عن طريق تعريفه اولا بكاتبهما · فاذا عرف قدر الكاتب وثقافتــه ومركزه زاد اقبالا على الاستماع وزاد تقديرا لما فيهما من حقائق وملاحظات ومن تحليلات وتعديلات · فلما دخلت عليه صباح اليوم سألنى كعادته عما لدى من انباء ما نشر أمس فى الجرائد الانجليزية ، فقلت لا شيء ولكن معى اليوم ما لا يقل أهمية عنها ، فقد تسلمت خطابين من مصر يلقيان على الحالة فيها بعض الضوء ، وكاتبهما استاذ اديب عالم فاضل هو الاستاذ الشيخ احمد امين ·

فقال . ومن الاستاذ الشيخ احمد امين ؟

فقلت : هو استاذ فى مدرسة القضاء الشرعي · كان الاول فى ترتيب الخريجين من أول دفعة لهذه المدرسة · وكان احب الطلبة الى عاطف بك بركات* ناظر المدرسة الذى اظهر اعجابه به ، وتقديره له بان عينه استاذا مساعدا له · والاستاذ احمــد أمين فى مطلع الثلاثين من عمره واسع العلم متين الاخلاق صادق الوطنية ·

ما كدت انطق بهذه العبارة الموجــزة بل ما كدت اذكر اسم « عاطف بركات » ومدرسة القضــاء الشرعى واختيـار احمد امين للتدريس فيها ، حتى تلالأ وجه سعد وتهلل غبطة وثقة بما سيستمع واقبالا عليه ، فقال مسرعا : « اقرأ على هــذين الخطابين فانا فى أشد الحاجة الى معرفة اخبار صادقة عن حقيقة الحال فى مصر لاسيما من مصدر موثوق به كصاحبك الاستاذ أحمد أمين » ·

★ الرئيس سعد هو الذى انشأ مدرسة القضاء الشرعى أيام كان وزيرا للمعارف ، وهو خال عاطف بركات ·

حينذاك تلوت الخطاب الاول ، ثم الخطاب الثـــانى فى هدوء وتؤدة فرسبت معانيهما فى ذاكرة الزعـــيم لان سعدا اقوى من عرفت ذاكرة ٠

واعجب سعد برصانة احمــــد امين وبطريقة عرضــه للوقائع والحوادث بالتحليل والتعليل ٠

ولكن المعنى الوحيد الذى برز امام عينيه كان قوله

« خلاصة الراى العام ان المشروع يصــح أن يكون اساسا مع تحفظات عديدة » هذا بيت القصـــيد كما يقولون ، واغتبط سعد بذلك اشد الاغتباط وعقد العزم على التمسك بهذه الخلاصة الوافية البديعة التى اتفقت مع رايه ٠

وفى المساء بعد العشاء قابلت صـــديقى الاستاذ محمد على علوبة « فى قهوة فوكيه » فى الشانزليزيه ٠ وكانت المقابلة صدفة فاطلعته على الخطابين قراهما بامعـــان ثم طواهما وردهما الى ثم قال :

« الم اقل لك ان رفض مشروع ملنر كما يرى سعد ، جريمـــة لا تغتفـــر ؟ ٠٠ انظر الى الاستاذ احمد امين يقول ان المصريين فى دهشة من هذا المشروع ٠٠ وانهم ما كانوا يتوقعـــون أن تسمح انجلترا بما سمحت به » ٠

هذا هو المعنى الوحيد الذى برز امام عينى صـــاحبى ، وكان بالنسبة له بيت القصيد واغتبط بذلك اشد الاغتباط لانى التقى مع رايه واتفق مع هواه ٠

ولم اشأ أن أدخل فى مناقشة معه فى الساعة التاسعة ليلا وليس أمامنا غير ساعة واحدة ننصرف بعدها الى فراش النوم هادئين ٠

خطاب من جورج خياط بك ومدكور باشا الى الرئيس

٤ ــ اكتوبر ١٩٢٠ :

تلقى الرئيس سعد صباح اليوم خطابا من مصر أمضاه كل من جورج بك خياط وعبد الخالق مدكور باشا العضوان فى الوفـــد وهما يشكوان حرمانهما من الاشتراك فى عرض مشروع ملنر على الامة أسوة بزملائهما الثلاثة ، مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى ٠



ويصا واصف



حافظ عفيفى

فكتب الرئيس اليهما قائـــلا انه لم يراع فى ذلك الا المصلحة العامة ، وانه اختار الثلاثة لانهـــم تابعوا المفاوضات فى جميع مراحلها متابعة دقيقة وكانوا على اتصال دائم معه شخصيا أو مع بعض أعضاء الوفد ، هذا فضلا عن أن هؤلاء الثلاثة كانوا ومازالوا عاملين بنشاط فى لجنة الوفد المركزية وفيهم كل الشروط والمؤهلات التى تساعدهم على الاشتراك فى عملية الاستشارة والاستفتاء ، بينما غيرهم من الاعضـــاء (يعنى الكاتبين لهذا الخطاب) لا حق لهم فى ذلك ، بل الواجب عليهم أن يرفضوا لو كان اقترح عليهم أن يشتركوا فى هذه المهمة ٠

وصول المندوبين الاربعة الى باريس عائدين من مصر

وصل اليوم الى باريس المندوبون الاربعة عائدين من مصرومعهم الاستاذ مصطفى النحاس بك والاستاذ ويصـــا واصف والدكتور حافــظ عفيفى ، وقد استقبلهم فى المحطة جميـــع أعضاء الوفد

الموجودين في باريس باستثناء عدلي . وقد ذهبت وقدمت لهم تحية الرئيس بمناسبة مقدمهم واعتذاره من عدم الحضور بسبب حالته الصحية ، وهو الآن في دور النقاهة بعد مرض الانفلونزا . شسروا جميعا وحملوني تحياتهم واحترامهم وشكرهم له ، فنقلت ذلك الى الرئيس فاغتبط وابتسم ..

جلسات متوترة للوفد

اجتماعات الوفد مستمرة صباحا . والمناقشات مستمرة تجرى في شيء من الحرارة والتوتر ، والانجليزى الاعـــرج موجود في حجرة السكرتيرية يســـمع ويشهد ويخـرج مع عدلي عقب كل اجتماع .

قرأ مصطفى النحاس ما ســجله كتابة من شروح المنــدوبين لمشروع ملنر عند عرضه على الامة ، ولم يوافق الرئيس سعد على الكثير منها وغضب لذلك غضبا شــديدا واتهمهم صراحة بأنهم قالوا ما لا يتفق مع الحقيقة .

وأخذ عليهم ما يأتي :

١ ـ انهم لم يبينوا عيوب المشروع مطلقا ، بل لم يذكروا عيبا واحدا فيه .

٢ ـ قولهم خطا بان النص على الغاء الحماية مسألة ســـهلة وممكنة ، وهم يعلمون علم اليقين أن لجنة ملنر معارضة ورافضة لذلك كل المعارضة والرفض .

٣ ـ قولهم خطا بانه بعد الغاء العنصر الدولي في مجلس صحة الاسكندرية يكون اعضاؤه من المصريين .

٤ ـ قولهم خطا بأن لقب المندوب السامي يمكن تغييره بأى اسم اخر كما هو الحال بين دولة مستقلة وأخرى مثلها .

٥ ـ زعمهم بأن القوة البريطانية ستكون في منطقة القنال فقط هو زعم لا يستند الى أى دليل .

٦ ـ زعمهم الباطل بأن القوة البريطانية هذه يتراوح عـددها بين ٢٠٠٠ ، ٣٠٠٠ .

هذا وقد اتهمهم الرئيس صراحة بانهم اثاروا في نفوس المصريين امالا ليس الى تحقيقها من سبيل ، وأن الواجب عليهم كان يقضي بأن يلتزموا جادة الحق والواقع ، وأن يحرصوا على الصـــدق والامانة والدقة المتناهية حتى يرى الناس مخازى المشروع واضراره .

وحتى يزنوا بميزان العلم الصحيح ما هو معروض امامهم فيقبلوا المشروع او يرفضوه او يقطعوا فيه برأى واضح صريح بالرغبات والتحفظات ·

وهنا أعرب الرئيس انه يعتبر هـذا الذى سماه المندوبون « برغبات » هى تحفظات لا مندوحة عنها ، لقد كان الرئيس عنيفا غاية القسوة فى صراحته الصاعقة المتلاحقة ، بل شاء ان يتجاوز فى كلامه حدود الاقناع ويصل بحجته الى حدود الافحام ·

ولكن هكذا سعد · ولو فعل غير ذلك لما كان سعد زغلول ·

وكان دفاع المندوبين عن أنفسهم أن هذا الذى قالوه وشرحوه وفسروه هو ما أعتقدوه ، وما سيطالبون به ملنر ولجنته · وأن هذا كله ما فهموه من عدلى وما أدركوه من سير المفـاوضات ، فلا داعى للغضب والاتهام الجزاف الظالم ما داموا هم أنفسهم متمسكين بالمطالبة به ، وما داموا مقتنعين بانه من الميسور تحقيقه وانه لا داعى للقنوط واليأس والتشاؤم ·

١١ اكتوبر ١٩٢٠ :

عدلى باشا وواصف غالى باشا سيسافران غدا (١٢ اكتوبر الى لندن ومعهم الانجليزى الاعرج (مستر ولرند) ·

وفى ١٣ اكتوبر يسافر الوفد بكامل هيئته الى لندن لاستئناف المفاوضات مع ملنر ·

فى الوفد اليوم حركة نشيطة بين الاعضاء فيها من مظاهـر الشباب خفته وحماسته ·

⊙❖⊙

١٢ اكتوبر :

بعد سفر عدلى وصاحبه الى لندن صباح اليوم ·· وحـوالى الظهر ، ورد خطاب من السفير البريطانى فى باريس الى الرئيس سعد يبلغه فيه أن لورد ملنر يأسف أشد الاسف لانه لا يستطيع مقابلته طوال الاسبوع القادم لكثرة ما عنده من الاعمال العاجلة ، وانه يرجو ارجاء السفر الى لندن حتى يتفق على موعد ملائم للطرفين أى أن سفرنا جميعا قد تأجل الى أجل غير مسمى ·

وذهبت الظنون فى تأويل هذا المسلك ترعى فى حقل الاوهام

جلسات هادئة لتحديد الاهداف

١٣ اكتوبر الى ١٥ اكتوبر :

الاجتماعات فى مقر الوفد مستمرة كل صباح ، وفى الشقة التى

بمسكنها الرئيس كل مساء . ومدار البحث في كل هذه الجلسات تحديد المسائل التى سيثيرونها اثناء المفاوضات المقبلة مع ملنر ، وتحديد مدى المطالبة بتحقيق رغبات الامة وتحفظاتهـــا وكذلك الشروح والتفسيرات التى اعطاها المندوبون لبعض المواد لقبول المشروع كاساس صالح لمفاوضات مقبلة تنتهى بمعاهدة تحـــالف بين مصر وبريطانيا . ومما يدعو للغبطة ان المناقشات اصبحت هادئة خالية من الانفعالات النفسـية ، وجو المســالمة من جميع الاطراف ظاهر للعيان .

جلسات صاخبة لتحديد نظام المفاوضات

١٦ اكتوبر الى ١٩ اكتوبر ١٩٢٠ :

وصلت دعوة رسمية من ملنر لسفر سعد والوفد الى لندن يوم ٢٠ اكتوبر ، ولكن جو الجلسات تكهرب عندما قال الرئيس انه لا يرى ولا يوافق على سفر الوفد كله الى لندن هذه المرة ، وانه لا داعي لوجود جميع الاعضاء في لندن اثناء هذه المرحلة الاخيرة من المفاوضات وذلك خشية ان يختلفوا اختلافا مزعجا كما كان الحال في المرة الاولى فاحرج الوفد بذلك اشد احراج ووجد فى اقتراح «استشارة الامة».مخرجا سليما معقولا دون قطع المفاوضات وهو الشيء الوحيد الذى لا يريده اغلب الاعضاء لانهم يرون فى هذه المفاوضات وحدها الباب الوحيد المفتوح امام حل القضية المصرية واستطرد الرئيس قائلا : « ان منظر انقسام الوفد على نفســـه ووصول اخبار هذا الانقسام الى ملنر ، يزيد ملنر تشـــبثا برأيه ويجعله لا يخطو اقل خطوة في سبيل ارضاء مطالب الامة واجابتها فيعود الحرج الشديد الذى لا مخرج منه هذه المرة . اما اذا سافر فريق من الوفد الى لندن وتأزمت المفاوضات لاى سبب من الاسباب أمكن تأيلها لاستشارة الفريق الموجود هنــــا في باريس ، ويكون هذا مخرجا سليما معقولا ، ولنا فى ملنر نفسه اسوة ، فانه عندما يحرج فى المفاوضات يؤجل المناقشة لاستشارة الحكومة أو بعض ذوى الراى ممن يقيم لرأيهم وزنا » .

الاعضاء لا يوافقون على اقتراح الرئيس وفى طليعتهم عبــــد اللطيف المكباتى ، والرئيس من جانبه يتشبث برأيه ، ولكن بعـــد مناقشــــات ومجادلات ومصادمات ومساعى ورجاءات من هنـــا وتوسلات من هناك استمرت اربعة أيام كاملة وافق الرئيس على انتقال الوفد كله الى لندن .

الفصـل السادس

السفـــر إلى لنـــدن

٢٠ اكتوبر ١٩٢٠ :

سافرنا صباح اليوم بقطار الساعة ٤٥ر٩ من « الجار دى نور » (الرئيس وعبد العزيز فهمى ومصطفى النحاس وعلى ماهر وأنا ودومانى وأحمد نجيب مراسل الاخبار) • وقد حضر بقية الاعضاء الى المحطة للتوديع بعد أن تأجل سفرهم الى لندن بضـــعة أيام للاستعداد • والجو بارد والضباب كثيف • وكانت السفرة هذه المرة من طريق المرة الاولى : بولونى - فالكستون • ووصلنا الى لندن فى الساعة ٦ مساء وكان قد صدرت التعليمات من الحكومة الفرنسية وا' .كومة البريطانية بتسهيل كل حركاتنا وعـدم تفتيش ما معنا من حقائب •

وكان فى استقبال الرئيس وصحبه فى محطة لندن : سكرتير ملنر والانجليزى الاعرج ولم يحضر ملنر ولا عدلى •

وذهب الجميع بسيارات الحكومة الى الفنادق المعدة لهم •

المرحلة الثانية للمفاوضات

٢١ اكتوبر ١٩٢٠ .

حضر عدلى صبيحة اليوم الى فندق ســـافوى وصحب الرئيس لمقابلة ملنر فى منزله

وبعد أن دار الحديث فى مطلعه كالعادة عن الجـــو والضباب والصحة ومتاعب السفر وما الى ذلك . انتقل ملنر الى الكلام فى السياسة فقال : انه مسرور مما بلغه وما قرأه فى الجرائد من أن الرأى العام فى مصر موافق على المشروع وراض عنه ٠

فاعترضه الرئيس قائلا : ولكن بتحفظات لا يحيد عنها ٠

فقال ملنر : انه لا يقبل اية زيادة فى المشروع تمس دعائمه او تغير أسسه ٠ فرد سعد قائلا : « انها ليست زيادات بل هى تحديد للمبهم ٠ وتفسير للغامض وابراز للمفهوم ، كالنص على الغاء الحماية مثلا ٠ و٠٠

فقاطعه ملنر : أبدا ٠ ابدا ٠ أبدا ٠ هذا لا يمكن مطلقا ٠ مامعنى التشبث بهذه الكلمة ؟ لماذا لا يكتفى بالنص على الاستقلال ٠

سعد : اذا كانت « الحماية » مجرد كلمة فى نظركم ، فلماذا تتمسكون بها بعد النص على الاستقلال ؟ لماذا تتحاشون عدم ذكرها؟ انها لاتكلفكم شيئا بينما النص على الغائها يرضى مصر تمام الرضى ٠

ملنر : أبدا ٠ أبدا ٠ ثم قال ، انه يريد أن يسمع المندوبين الاربعة وأن يوجه اليهم بعض الإسئلة على سبيل الاستفهام والاستفسار ٠

سعد احتد وانفعل وقال : ان المندوبين الاربعة مسئولون أمامه ، وانه انتدبهم ليؤدوا له الحساب ، وانه وحـــده هو المتكلم باسم الوفد ٠ ثم استطرد الرئيس فقال لملنر :

« انك اذا كلفت احد اعضاء لجنتك باداء عمل ما فانى لا اجرؤ ولا اسمح لنفسى أن أطلب منك أن أسمع كلامه بنفسى ، وأن يجيبنى على أسئلتى ، ذلك لان امثال هذه المسائل داخلية بطبيعتهـــا ٠ أليس كذلك ؟ »

ولم يعارض ملنر ولم ينبس ببنت شفة دقيقـــة او دقيقتين ثم ابتسم وغير موضوع الحديث ، وقال للرئيس فى مداعبة ظاهرة : لعلك اتخذت الاستعدادات الكافية للمحافظة على صحتك من جـو لندن البارد الشديد البرودة والمتقلب كل التقلب فى هذا الشهر ٠

فابتسم سعد ورد عليه بمداعبة مثلها قائلا : « لا تخش على فانى أستعين على هذا البرد الشديد بالملابس الصـــوفية الانجلـــيزية المشهورة » ٠ فضحك ملنر كثيرا كأنه سمع نكتة طريفة غير منتظرة.

وانصرف الرئيس ومعه عدلي بعد أن ودعهما ملنر حتى باب الدار وكرر في ابتسام أسفه وخشيته من اشتداد البرد ٠فشكره الرئيس على عواطفه وقال : « نحن واياكم سواء » ٠ ثم انصرف سعد وعدلي بعد أن تقرر عقد جلسة رسمية يوم الاثنين ٢٣ أكتوبر في الساعة ٣٫٣٠ في وزارة المستعمرات ٠

قرار الوفد بقطع المفاوضات اذا لم تقبل التحفظات

لندن ـ الاحد ٢٢ اكتوبر :

عقدت جلسة للوفد صباح اليوم حضرها جميع الاعضاء الموجودين في لندن كما حضرها عدلي ، وقال الرئيس انه يرى ضرورة قطع المفاوضات اذا لم تقبل التحفظات الآتية :

١ ـ النص على الغاء الحماية صراحة ٠

٢ ـ حذف العبارة الثانية من الفقرة الاولى من المادة الثالثة من المشروع التي تقضي « بأن مصر تخول بريطانيا العظمى الحقوق اللازمة لضمانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات اللازمة للدول الاجنبية للحصول على تنازلها في حقوقها الامتيازية » ٠٠ لكيلا يترك مجال للقول بأن مصر تعطى حقوقا أزيد من الحقوق المبينة بطريق الحصر في مشروع المعاهدة ٠

٣ ـ حذف الشرط الوارد في المادة الخامسة الذي يعلق تنفيذ المعاهدة على قبول الدول انتقال حقوقها الامتيازية الى بريطانيا العظمى ، وعلى انفاذ المراسيم المعدلة للنظام القضائي المختلط بحيث تكون المعاهدة نافذة المفعول بمجرد اعتماد مصر وبريطانيا العظمى لها ٠

٤ ـ النص على عرض مشروعات تعديل النظام القضائي المختلط على الهيئات النيابية المصرية واقرارها عليها قبل نشرها ٠

٥ ـ دخول مصر بصفة طرف متعاقد في الاتفاقات المراد عملها مع الدول بشأن حقوقها الامتيازية ٠

٦ ـ حذف النص الوارد فى المادة الرابعة الخاص بتعيين موظف بريطانى لوزارة الحقانية ، فان وجود نائب عمومى بريطانى باختصاصاته العادية فيه الضمان الكافى للاجانب ٠

٧ ـ حذف النص الوارد في المادة الثالثة الخاص باستشارة المستشار المالى ٠

٨ ـ قصر الاتفاقات الواردة فى الفقرة الاولى من المادة الرابعة والتى لا يمكن لمصر عقدها مع الدول متى كان فيها اضرار بالمصالح الانجليزية على المعاهدات السياسية فقط بحيث يبقى لمصر كامل الحرية فى عقد جميع الاتفاقات التجارية والاقتصادية وغيرها بدون أدنى قيد ٠

٩ ـ حل مسالة السودان على الاسس الآتية :

١ ـ ضمان مياه النيل اللازمة لرى أرض مصر المزروعة الآن واراضيها القابلة للاصلاح والزراعة ٠

٢ ـ اولوية مصر في أخذ المياه عند عدم كفايتها للقطرين ٠

٣ ـ تمتع مصر فعلا بحقوق سيادتها فى السودان ٠

١٠ ـ الغاء كل حكم فى المعاهدة يقيد استقلال مصر ٠

فوافق الاعضاء على اقتراح الرئيس بقطع المفاوضات اذا لم تقبل هذه التحفظات ٠

الجلسة الرسمية الاولى

الاثنين ٢٣ اكتوبر ١٩٢٠ :

فى الساعة التاسعة صباحا دخلت حجرة الرئيس فوجدته جالسا مطرقا مفكرا وفى يده قلم وامامه ورقة فوقفت قليلا ولكنه لم يشعر بوجودى فانسحبت فى خفة وهدوء ٠

وللرئيس عادة مفيدة رائعة فريدة قبل الذهاب لمقابلة ملنر وقبل حضور جلسة أو اجتماع على جانب من الاهمية فكنت أراه يجلس وحده مطرقا مفكرا متصورا كل ما يمكن أن يقوله الطرف الأخر والموضوعات التي ينتظر منه ان يثيرها ، ثم يحضر في ذهنه الردود المناسبة ، هذا فضلا عما بيده هو بنفسه من خطط ، وما يرتبه فى ذهنه من مسائل وتفصيلات يعرضها الواحدة بعد الاخرى ، ويحضر الادلة المنطقية المقنعة لدعمها وتاييدها • فهو يعرف دائما ومقدما الموضوعات التي يريد طرحها • والاهداف التى يرمى الى ادراكها وهو فى فترة الهدوء والاطراق والتفكير والتصـــور ، يرتب فى ذهنه كل شيء وينسقه تنسيقا ، ولذلك كنت أراه يحرص على هذه الخلوة المثمرة قبيل كل اجتماع ذى بال، وكان من عادتى احترام هذه الوحدة والخلوة فلا اقطعها عليه ولو كانت بيدى برقية عاجلة • وكان يستمر فى تاملاته هذه كما يشاء حتى يقرر هو انتهاء الخلوة ويناديني فادخل للقائه واحدثه بما عسى أن يكون لدى من انباء أو رسائل او ترجمة او موضوعات •

وبهذه الطريقة كان الرئيس لا يفاجأ فى اية مناقشة الا نادرا جدا ، بل كثيرا جدا ما كان هو الذى يفاجيء الطرف الآخـــر بملاحظات وحجج وافكار أعدها من قبل •

وفى الساعة ٣٫٣٠ تحرك ركب الرئيس وعدلى من فندق سافوى ومعهما عبد العزيز فهمي ومحمد محمود وعلى ماهر ، وكان الرئيس لابسا الطربوش الاحمر كعادته (اعتزازا بمصريته وشعورا منه بأن هذا غطاء الرأس لابناء وطنه فى بلده فلا حاجة الى تغييره) وكان الباقون يلبسون القبعات السوداء أو الرمادية ، ووصـــلوا جميعا الى وزارة المستعمرات قبيل الموعد المحدد ، وكان بانتظارهم ملنر وثلاثة من أعضاء لجنته •

وفتحت الجلسة فى الموعد المحدد : افتتحها ملنر بأن هنأ الوفد على ثقة الشعب المصرى وتاييده له كما تجلى ذلك فى اثناء زيارة الاعضاء المندوبين الى مصر للاستشارة فى مشروع ملنر ، كما هنأ المندوبين انفسهم على النجاح الذى احرزوه بشــــأن مشروعه مع بعض الامانى والرغبات التى ابدوها •

وهنا انطلق الرئيس قائلا : « ان المسالة ليست مجـــرد أمانى ورغبات تقبل او لا تقبل تتحقق او لا تتحقق ، وانما هى تحفظات

معينة محددة » • ثم أخذ الرئيس في سردها واحــدة اثر اخرى حتى أتى عليها جميعا كما سجلتها امس في يومياتي • ثم استطرد الرئيس فقال : « ان هذه تحفظات قليلة ومعقولة وعادلة جدا » •

هنا سكت ملنر وأصحابه وطال سكوتهم •ثم قال ملنر في هدوء: « انى أرفض اقتراح النص الصريح على الغاء الحماية » • وسكت وطال سكوته كان مسالة هذا الرفض مقصورة على تحفظ الغاء الحماية دون غيره من التحفظات •

وهنا اقترح الرئيس ان يتكلم على ماهر بوصفه أحد المندوبين الاربعة الذين زاروا مصر للاستشارة ليصف ما رأى ويقرر ما سمع بشأن هذه التحفظات فوافق ملنر على هذا الاقتراح محبذا اياه كل التحبيذ •

فتكلم علي ماهر وأسهب وابدع وكان عند حسن ظن الرئيس به، ووصف بدقة ما جرى فى عرض المشروع وما لاقاه المندوبون من الاعتراضات • وما قدموه من شروح وتفسيرات فهمــوها من النصوص وروح المفاوضات وقال ، ان هذه الشروح والتفسيرات هى وحدها التى أزالت حدة الاعتراضات ، وخص بالذكر منهـــا مسألة النص الصريح على الغاء الحماية •

أزمة بين سعد وملنر

سكت علي ماهر قليلا ، فتكلم سعد على الفور موجها الكلام الى ملنر :

« الا ترى الآن ضرورة ان تؤيد النصوص شروحهم وتفسيراتهم ، والا ظنتهم الامة مخادعين غشاشين ، اختلسوا ثقتها بالوفد بشروح وتفسيرات خاطئة ومضللة » •

فقال ملنر : انه لا يستطيع الآن ادخال اى تعديل على نصوص المواد ، وكل ما يمكن عمله هو ان يذكر في تقريره أن هذه التحفظات جاء بها الوفد •

فقال سعد : ولكن يجب أن تؤيدها •

ملنر : لا · لا · لا يمكنني ذلك ·

سعد : اذن لا قيمة لذكرها فى تقريرك ، ولا فائدة من ذلك الا اذا سجلت بجانبها ان الوفد لا يرضى بغيرها ·

ملنر : نحن لا نطلب منكم ذلك ·

سعد : اذن نحن أحرار في اتخاذ الموقف المناسب حول المشروع ·

ملنر : كلا · لابد أن تؤيدوه ·

سعد : هذا مستحيل · لانى لا اقبل الا ما اعتقد انه صالح لبلادى، وبدون هذه التحفظات لا أعتقد المشروع نافعا ·

ملنر : ان تشبثك هذا قد يسقط المشروع ·

سعد : فليكن · نحن نتحمل تبعة هذا ·

وقع هذا التصريح من سعد وكانه قنبلة ، فتكهرب الجو واضطربت الجلسة ، ووقف الاخذ والرد بالصوت المسموع · وبدأ الهمس الخافت

تهامس ملنر وعدلى قليلا ، ثم وقف ملنر واقترح تأجيل الجلسة للتروى والتفكير فوافق سعد ، ووقف الاعضاء جميعا ، واتجه بعض الاعضاء الانجليز الى زملائهم المصريين ، واستمر الكلام فى همس هنا وهناك ·

ما الذى كانوا يقولونه فى همس ؟

ما الخواطر التى تدفقت على السنتهم فى تلك اللحظة الخطيرة ؟

ما الغرض من الكلام همسا الآن وقد رفعت الجلسة ، ولم يحدد للجلسة القادمة موعد ؟

أغلب الظن ان الاجابة على كل هذه الاسئلة غير عسيرة اذا استنجد الانسان بالبداهة واستعان معها بالخيال · وما فائدة الخيال اذا لم يستخدمه الانسان فى مثل هذه المواقف الدقيقة ؟

كانت الاحاديث وكانت الخواطر تجرى وتتدفق على النسق الآتى:

ما العمل وكل طرف متمسك برأيه ؟

هل سيضيع المشروع كله من اجل بضع مسائل لا تزيد علـى اصابع اليدين ؟

الا يمكن ارجاء هذه المسائل الى المفاوضات الرسمية المقبلـة بين وفدى الحكومتين ؟

هل ستذهب كل جهودنا حتى الآن هباء ، ونفشل بعد أن اشرفنا على النجاح ؟

هل تقطع المفاوضات الآن بعد أن خطونا معـا كل هذه المسافة الطويلة ؟

ماذا عسى أن يكون رد الفعل وخيبة الامل فى البلدين مصر وبريطانيا ؟

هل سنفترق فى خصام أو نعلن اننا اتفقنا على كل شىء الا هذه التحفظات ثم نفترق على مودة وسلام ؟

ما الذى يمكن قبوله فورا من هذه التحفظات حتى ننقذ الموقف ، ويؤجل الباقى منها الى فرصة اخرى ؟

الا يحسن أن نؤجل الجلسة حتى تهدأ النفوس الثائرة ونعيـد التفكير فى الموقف وفى النتائج ؟

وعلى كل حال انتهت الجلسة ولم يحدد للجلسة القادمة ميعاد.

وافترق سعد وملنر بسلام ، وعادوا جميعا الى قواعدهم سالمين.

وما كاد سعد وصحبه يصلون الى الفندق حتى عقدوا جلسـة بينهم وقرروا بالاجماع دعوة باقى الاعضاء الموجودين فى باريس ، وتركوا الى ما بعد مجىء هؤلاء الاعضاء ، استئناف المباحثات فيما بينهم ، وأرسلت برقية الدعوة فى الساعة السادسة مساء .

جرائد لندن تهاجم سعدا والوفد

٢٤ ، ٢٥ اكتوبر :

ظهرت جرائد لندن فى هذين اليومين طافحة بالمقالات الافتتاحية والتعقيبات على تأجيل المفاوضات بين سعد وملنر الى اجل غـير

مسمى ، ولم يشك احد من رجالنا في ان كل ما نشر انما هو من وحى ملنر واعضاء لجنته ٠

وكانت أشد الجرائد فحشا واقذاعا فى الطعن فى المصريين وفى كفاءتهم ونزاهتهم ، جريدة المورننج بوست ، وهى جريدة المحافظين الاولى ، فقد اخذت تضرب على الانغام القديمة من تقسيم الامة الى اقسام ليس بينها تفاهم ولا تعاطف ولا وئام ٠ فالفلاحون لا يهتمون بالسياسة مطلقا ولا يفهمونها ، وهم يفضلون حكم الانجليز الف مرة عن حكم الباشوات الذين ساموهم العذاب طوال اعمارهم واعمار آبائهم وأجدادهم ، والتجار واصحاب الاموال يريدون النظام الحالى ويخشون زوال الحماية بحجة انهم مطمئنون الاطمئنان كله على حالهم وأموالهم وهذا أقصى ما ينشدونه فى الحياة ٠

اما طائفة الموظفين والمحامين والكتبة فهم وحدهم الساخطون الحانقون وهم الذين يؤيدون زغلول وأصحابه ٠ واستطردت الجريدة فزعمت ان المصريين قابلون لمشروع ملنر مغتبطون به أشد اغتباط ٠ ويقول كثير منهم « ان الله بحكمته قد خلق بعض الناس « مجانين » ومن هؤلاء الانجليز ٠ لانهم سيعسكرون فى ناحية من بلادنا المصرية لحمايتنا من أى اعتداء خارجى ، وذلك على حسابهم وبدون ان يكلف مصر قرشا واحدا ٠ وبهذا نوفر اموال ميزانيتنا ونصرفها فيما ينفع ويفيد » ٠ هكذا تتحدث الجريدة الاستعمارية عن مشاعر المصريين وما يدور فى رؤوس الاكثرية منهم افتئاتا ٠

ونشرت جريدة التيمس مقالا جاء فيه : ان احتلال منطقة قنال السويس غير كاف لانها تكون « غاليبولى الثانية » ولا بد من بقاء بعض القواعد العسكرية البريطانية فى القاهرة والاسكندرية وعلى الاخص فى الاولى للمحافظة على الترعة الحلوة ، ولان السودان لا يمكن حكمه الا بجيوش بريطانية جرارة لو اصبحت مصر مستقلة وليست لبريطانيا قوات عسكرية فيها ٠ وختمت التيمس مقالها بنصيحة زغلول أن يتعقل فى مطالباته وان يدرك أن وقت لجنة ملنر وصبرها لهما حدود ٠

ونشرت جريدة « وستمنستر جازيت » (وهى جريدة الاحرار) مقالة اتهمت فيها سعد زغلول باشا بالتعنت والاستبداد برأيه والتسلط على زملائه بطريقة غير ديمقراطية ، وان مشروع ملنر

نعمة لمصر لم يكن أحد من المصريين ينتظرها ، ونددت بطريقة المساومات الشرقية التي تطالب بالمزيد دائما ولا تقنع بالمعقول ولا بالممكن ٠

ونشرت الديلي اكسبريس وجرائد أخرى مقالات طعنت فيها في الرئيس سعد وقالت ان الوفد منقسم على نفسه ، فريق يرى قبول المشروع على علاته وبحالته الراهنة وعلى رأس هذا الفريق عدلي باشا وأغلبية أعضاء الوفد ، وأما سعد زغلول فهو وحده المتشبث بالتحفظات ويقول ان المشروع بدونها يكون حماية مستورة ، ومع زغلول باشا أقلية ضئيلة من أعضاء الوفد ٠

أقنعت حملات الجرائد الانجليزية الزعيم سعد بضرورة قطع المفاوضات والعودة فورا الى باريس ٠

ولكن بقية أعضاء الوفد قادمون من باريس الى لندن فلا مندوحة من الانتظار والصبر على مضض ٠

بحث مسألة قطع المفاوضات

لندن ٢٦ اكتوبر :

وصل جميع الاعضاء الذين كانوا في باريس ، وهم في دهشة وذهول من الحملات الصحفية في جرائد لندن وباريس ضد الوفد عامة وسعد باشا خاصة والاساءة الى مصر والمصريين بعبارات جارحة اليمة ٠

وعقد الوفد جلسة في المساء بكامل هيئته وأعلن الرئيس في مطلعها أن هذه الحملات مدبرة وموحى بها وأن المقصود منها توسيع هوة الخلاف بين الاعضاء داخل الوفد ، وأن الحالة أصبحت خطيرة جدا ولا تحتمل ، وقد قام الف دليل ودليل على ضرورة قطع المفاوضات والسفر من هذه البلاد ٠

وبعد تبادل الرأى اقترح عدلي أن يذهب غدا لمقابلة ملنر لمحاولة وضع حد لهذه الحملات ولاكتشاف آخر ما عنده من الاقتراحات والآراء ، فاستحسنت أغلبية الوفد ذلك ورفعت الجلسة ٠٠

عدلي يقابل ملنر لانقاذ الموقف ويروى للوفد ما حدث

٢٧ اكتوبر

اجتمع الوفد مساء في جلسة ظاهرة الجد وللرئيس رغبة ظاهرة في سرعة البت والحسم في مصير هذه المفاوضات ، وحضر عدلى قبيل الساعة السابعة والنصف فاكتمل العقد وبدأ الجد فقال عدلى انه تحدث مع ملنر في مسالتين :

الاولى : مسالة الحملة الصحفية في معظم جرائد لندن ضـــد الوفد ، والشعور بانها موحى بها ، ثم قال عدلى انها حملات تضر ولا تنفع ، ورجا من ملنر ان يبذل شيئا من نفوذه لوضع حد لهــا لا سيما في هذه الاوقات التى دخلت فيها المفاوضات مرحلة دقيقة والتى أصبحت الاعصاب فيها متوترة ٠ فرد ملنر بأن هذا الذى وصفه عدلى بانه « حملة صحفية » ما هو الا مســـالة في غاية البساطة ، ولكنها على بساطتها لا يمكن أن يفهمها المصريون على ما يظهر ٠ ثم استطرد فلفت نظر عدلى الى « الحقائق الآتية » كما سماها ملنر :

١ ــ أن المفاوضات طالت اكثر مما ينبغي ٠ ومن حق الصحافة في بريطانيا أن تعرف المرحلة التى وصلت اليها ، والعقبات الباقية في طريق انتهائها ٠ وكان طبيعيا أن يحضر مراسلو الصحف الى وزارة المستعمرات ويحصلوا على الحقائق وقد حصلوا عليها ٠

٢ ــ الصحافة في بريطانيا حرة تمام الحرية ، ولا سلطان لاحد عليها غير رؤساء تحريرها فلا ملنر ولا رئيس الوزارة البريطانية يستطيع أن يغير اتجاهها ، او يمنعها من نشر ما تراه وهى لا تنشر الا الحقائق ثم تعلق عليها بما تراه من الملاحظات ولهذه الصحف الحق في أن تصيب في ملاحظاتها وتعليقها على الاخبار ، ولها الحق كذلك في أن تخطىء بغير لوم عليها ولا عقاب ولا عتاب ، ومن شاء أن يصحح ملاحظة لها او تعقيبا ، فمن حقــه أن يكتب اليها مصححا ومن واجبها أن تنشر التصــحيح ، ولا غضب بعد ذلك ولا شكوى ٠

٣ ــ صحافة بريطانيا لا مثيل لها في العالم في التمتع بالحرية المطلقة في نشر ما تشاء ما دامت لا تتجاوزه الى السب والتجريح

الشخصي . ولذلك ترى أن ما تنشره يكون دائما في صميم الموضوع، أي ما تنشره يمس حقائق الموضوع أولا وأخرا وليس لأحد أن يشكو من ذلك .

٤ ـ المصريون حساسون أكثر من اللازم فهم لا يطيقون الانتقاد شفها ولا يحتملونه كتابة . ويعتبرون كل نقد ماسا بالكرامة يؤرقهم ويؤلمهم ، أما الانجليز فيتلقونه كشيء طبيعي جدا ، ويستفيدون منه لأنه نقد انشائي موضوعي وليس نقدا هداما عاطفيا شخصيا .

٥ ـ الصحافة في مصر مقيدة ومسيرة ومسخرة ، قيدها قانون المطبوعات وغيره من القيود ، ومسيرة برجال الحكومة ومسخرة لخدمة الحكومة ومرتشية بالحكومة ولا تجرؤ على نقد عمل من أعمال الحكومة . والمصريون معذورون بعض العذر في الظن بأن صحافة بريطانيا كذلك . والواقع أن الصحف البريطانية على عكس ذلك على خط مستقيم .

ثم ابتسم ملنر وقال لعدلي : قل لزغلول باشا وأعضاء الوفد أن يدركوا هذه الحقائق وأن يبتسموا ، وألا يتركوا ما ينشر في الجرائد البريطانية يعكر صفوهم .

بعد هذه المحاضرة الملنرية سكت عدلي ، وانتقل الى المسألة الثانية:

قال عدلي انه سأل ملنر عن رأيه في التحفظات التي أدلى بها زغلول باشا ، كما سأله عن مصير المفاوضات التي يجب أن تنتهي بسرعة بعد أن اعترف الجميع بأنها طالت أكثر مما ينبغي .

فقال ملنر ما خلاصته : ان هذا الذي سمي « بالتحفظات » يجب أن يؤجل الآن وسيكون موضعها في المفاوضات الرسمية المقبلة بين ممثلي الحكومتين ، وليس هذا رأيه وحده بل هو الرأي الاجماعي لأعضاء لجنته . واستطرد ملنر قائلا « المهم الآن أن تقوم في مصر وزارة محترمة « ووزارة ثقة » يؤيدها الوفد ويعلن أنها اذا لم تدرك تحقيق هذه التحفظات في المفاوضات المقبلة لوضع معاهدة التحالف ، فانها تستقيل ، هذا من جهة ومن جهة أخرى يحسن أن تنتهي المفاوضات الحالية بين الوفد ولجنة ملنر لكي يتم ملنر تقريره ويقدمه الى الحكومة البريطانية بعد أسبوع أو أسبوعين ذلك لأن استمرار المناقشات الآن ليست لهقيمة عملية » .

وهنا قال عدلي : انه يرى هذا الرأى معقولا • ولا ضرر منه على قضية البلاد ومطالبها •

ثم سكت عدلي •

فتكلم سعد في حزم وتحديد للموقف في وضوح وجلاء :

قال : فهمنا من كلامك يا باشا ان حديث ملنر معك يتلخص في مسائل ثلاث :

الاولى : ان مشروع ملـــنر يبقى على حاله ولا كلام الآن في التحفظات التي نعلق عليها نحن والامة اكبر الاهمية ، وان تترك هـذه التحفظات الى المفاوضـة الرسـمية المقبلة تقبل او ترفض حينذاك ، فاذا كان ملنر قد رفض حتى مجرد الكلام فيها الآن مع وكلاء الامة رغم تشبثنا بها فهل يعقل ان تقبل هذه التحفظات في المستقبل مع ممثلي حكومة يختار اعضاءها السلطان والانجليز ؟

الثانية : ان تقوم « وزارة ثقة » على اساس مشروع ملنر الحالي وان يؤيدها الوفد ، وانا اعلن الآن ان الوزارات (أيا كان تشكيلها وافرادها) لا يجوز لها ان تنتظر تاييدا من الوفد ما دام مشروع ملنر الحالي هو الاساس لانها اما ان تكون خادعة او مخدوعة : تكون خادعة اذا كانت تعرف وقائع حالنا وتقبل الحكم اعتمـــادا على ضعف الامة من جهة والسعي في تفريق كلمتهـــا بوسائل الترغيب والترهيب لحملها على قبـــول ما ترفضه الآن ، وتكـون مخدوعة اذا ظنت ان الانجليز يسلمون لها بقبول التحفظات بعد ان رفضوها ، ولم يطيقوا حتى مجرد عرضها عليهم من وكلاء الامة•

الثالثة : ان تنتهي المفاوضات الحاليــة بين الوفد ولجنة ملنر بعد ان طالت اكثر مما ينبغي وانا اعلن انى موافق على ذلك كل الموافقة •

هنا اضطربت الجلسة في خفقان وهمس بين الاعضاء ، ولما كانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف مساء وحان موعد العشاء او لعله فات · اقترح حمد الباسل باشا تأجيل الجلسة الى الغد وكان هذا احسن مخرج قبل أن يتكهرب الجو بالمناقشات التى تجرى والاعصاب المتوترة والنفوس ثائرة متوثبة متحفزة ·

فتقرر تأجيل الجلسة الى الساعة العاشرة من صباح غد · وانصرف عدلى فى كمد ومعه عدد من أعضاء الاكثرية الموالين له ، وعلمت انهم ذاهبون للعشاء معه فى فندق كلاردج حيث يقيم ·

بعد خروج الاعضاء وانصرافهم حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر دخلت على الرئيس سعد وكان معه واصف غالى فوجدته حزينا غاية الحزن وسمعته يقول : هذه حالة لا تطاق ولكن ·· « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » · ثم انصرف واصف غالى وبقيت مع سعد نصف ساعة ·

فقال سعد فى حزن غامر « الانجليز لا يعرفون كل شيء عنا وعن خلافاتنا وانقسامنا ·· وما دام فينا من يوافقهم ويخذلنى ، فان ملنر يكون مجنونا لو أجاب طلباتنا بشأن تحفظات الامة على مشروعه » ·

سألت الرئيس : هل عدلى غضبان ؟

فقال : « هكذا يقولون ، ويقولون كذلك ان اخبار الانقسام فى الوفد قد وصلت الى مصر عن طريق ما نشر فى الجرائد الانجليزية، وعرف الناس فى مصر أن الوفد فى واد وعدلى فى واد آخر · وقد الحوا على طويلا فى ضرورة ارسال برقية منى الى لجنة الوفد المركزية بالقاهرة بتكذيب اخبار الانقسام وهى صادقة ، وبتأكيد التضامن بينى وبين عدلى وهو غير موجود ، وهكذا يراد منى ان الصق ورق الحائط على الجدار المشقق لستر شقوقه واظهار الجدار بأنه سليم متين وهو متهدم على وشك الانهيار » ·

بهذا كان الرئيس واضحا كل الوضوح ·

وفى الساعة السادسة مساء حضر عدلى لزيارة سعد وبعد قليل حضر الاعضاء جميعا وعقدوا جلسة مسائية استمرت حتى التاسعة مساء وكان موضوع المناقشات « مسألة التحفظات » هل

يلح الوفد فى قبولها الآن فتقطع المفاوضات ؟ أو تترك للمفاوضات الرسمية المقبلة ، وتستفيد البلاد من قيام « وزارة ثقة » يستريح اليها الناس وتتعاون مع الوفد خطوات أخرى فى سبيل تحقيق الامانى الوطنية ·

كل واحد له رأى وكل واحد عنده كلام

وانتهت الجلسة بسلام نسأل الله حسن الختام

حديث بين سعد ومحمد محمود

٢٩ اكتوبر :

لم يعقد الوفد أية جلسة هذا اليوم ، لا فى الصباح ولا فى المساء بناء على طلب بعض الاعضاء وذلك للتفكير والتروى فى مسألة قطع المفاوضات نهائيا مع ملنر ولجنته ·

وعلمت أن الاعضاء من معسكر الاغلبية اجتمعوا بعدلى فى فندق (كلاردج) وظل اجتماعهم ساعتين كاملتين من العاشرة صباحا الى ما بعد الثانية عشرة بقليل ·

وفى الساعة السادسة مساء حضر محمد محمود باشا وقابل الرئيس سعد فى خلوة ، وظل معه نصف ساعة ثم خرج ·

هل حدث الرئيس عن رأيه الخاص ؟ أو عن رأى الجماعة بعد جلسة الصباح مع عدلى ؟

هل يمكن أن يغير سعد موقفه أو يعدله ؟

ماذا كان رد سعد عليه ؟

ما شعرر محمد محمود بعد خروجه من محادثة سعد ؟

هذه أسئلة جالت بخاطرى واشتقت الى معرفة الاجابة عنها ، وانى لعارفها من غير شك قبل أن اترك مكتبى هذا المساء ·

فقد دعانى الرئيس سعد بعد قليل وسألنى : « هل تحدث معك محمد محمود باشا عقب خروجه من عندى ؟ » فقلت « كلا · لقد انصرف فورا على غير عادته ، هل هو الآخر غضبان ؟ » فقال سعد :

« يجوز .. انه قال لى فى مطلع كلامه انه يؤيدنى فى ضرورة قطع المفاوضات مع لجنة ملنر . ولكنه مشغول البال بما سيقع على كاهل اللجنة المركزية للوفد فى القاهرة من تبعات جسام قد تنوء بحملها ، ومشغول البال كذلك بما يجرى فى مصر فى الوقت الحاضر ، وذكر انه تلقى امس خطابا من صديق له جاء فيه ان مصر فى حالة شنيعة من الضعف والانحلال والتفكك ، وبدأ الانقسام فى الآراء يظهر فى الصحف وبين المتعلمين بسبب ما نشرته الجرائد الانجليزية من جهة ، ومن اشاعات السوء المنتشرة حول نيات الوفد ومعالجته للامور . هذا فضلا عن قضية محاكمة عبد الرحمن فهمى بك وما نجم عنها من النتائج المروعة . ثم قال محمد محمود « تلك حال تشغل بالى . ولا بد أن تكون قد فكرت فيها كذلك»

فقال سعد : نحن بين امرين احلاهما مر ، قطع المفاوضات اخف الضررين .

فقال محمد محمود : ان القطع لا بد منه .

فقال الرئيس : اذن لا بد ان نتحمل نتائجها ، ولا اظن مطلقا ان الامة تنفض من حول الوفد . والوفد لم يسلم بالاستخذاء والقبول بالحماية ، بل اعتقد ان قطع المفاوضات من شأنه أن يقوى الوفد ويحفظ مكانته فى الامة ، وقد يزيدها ارتفاعا وهذا طبيعى ، لان المعارضين للوفد او المنتقدين لبعض اعماله يتجردون من كل سلاح ضده وذلك لان الوفد محافظ على عهده متمسك بمبادئه .

محمد محمود : ولكن قد يحدث ما ليس منتظرا الآن ، والامور لا تجرى كما يقتضيه المنطق تماما . ومن واجبنا ان نقدر كل العواقب المنتظر منها وما يمكن ان يكون ، فذلك ادعى للحيطة والسلامة .

سعد : ان الله قد عودنا ان يحسن التدبير لنا ، لقد كنت عولت على الانسحاب من الوفد واعتزال السياسة كلها لو ان الامة قبلت مشروع ملنر من غير تحفظات ، لانى اؤمن ايمانا جازما قاطعا

بانه مشروع حماية ولست متأثرا ولا خائفا من خيبة المفاوضات ، بل كنت منتظرا لذلك ومقدرا له من أول الامر ، وما تفاءلت بها مثلكم كما تعلم علم اليقين ٠

محمد محمود : هذا صحيح ٠ ولكن الفشل كريه على كل حال ، وله رد فعل عنيف لانه صدمة ٠

سعد : ان النجاح ليس في أيدينا ، ولا حيلة لنا في الفشل اذا جاء عن انتظار او غير انتظار ٠

-وهنا اخبرني الرئيس أن محمد محمود ظل صامتا بعــد ذلك دقيقة او دقيقتين وهو ساهم شارد الفكر كمن يشعر بالحيرة وخيبة الامل ، ولا اظنه غاضبا بقدر ما هو حــــزين ٠ ولكن ماذا كان ينتظر من محادثتي في هذا الموضوع وهو يعرف رايي تمـــام المعرفة في موضوع التحفظات وموضوع قطع المفاوضات » ٠

في هذه اللحظة دخل الحجرة بعض أعضاء الوفد وهم : مصطفى النحاس وعلى ماهر وويصا واصف وواصــف غالى والدكتـــور حافظ عفيفى وسينوت حنا ٠

لم يحضروا لعقد جلسة للوفد وانما حضروا لمؤانسة الرئيس وهم من رايه وعاطفته واتجاهه وتبادل الرأى والحديث بين الزمـــلاء المتشابهين في النظرة والمسلك والمشرب فيه ترفيه للاعصاب وتنشيط للذهن وانشراح للنفس ٠

ولقد اغتبط بمقدمهم اشد الاغتباط ، واحتفى بهم الرئيس احتفاء فيه حرارة ومعه ابتسام وظلوا معه حتى التاسعة مساء ٠

وبعد قليل ناداني الرئيس وكنت على وشك الانصراف ٠ وقال لي انه يريد أن يملي على خطابا يرسله الى الاستاذ سلامة ميخائيل المحامي الذى سبق أن أرسل خطابا الى الرئيس وصـــله امس فقلت له : « الا ترى تأجيل الرد الى غد لانك متعب الآن ؟ » ٠

فقال سعد : كلا اريد الرد الآن حتى لا انسى ، وعندنا جلسة للوفد صباح الغد واتوقع فيها الكثير من المشاغبات والمضايقات ، ومن رايى الا يؤجل الانسان الى الغد ما يستطيع عمله اليوم ٠

املى على الرئيس خطابا سياسيا من صفحتين أهم ما فيه الفقرة الآتية لانها بيت القصيد وخلاصة رأيه فى صميم موضوع الساعة وهى:

« أنّ الوزارة التى تقبل المفاوضة مع الانجليز على اساس مشروع ملنر قبل تعديله بالتحفظات اما خادعة أو مخدوعة ، وعلى كل حال لا يصح للوفد أن يؤيدها لانها على ضلال ، ولن يكون فى استطاعتها تحقيق مطلب الامة فى الاستقلال » ٠

هذه الفقرة هى زبد الخطاب الذى ارسل الى الاستاذ سلامة ميخائيل المحامى بالقاهرة وسيكون للفكرة التى انطوت عليها هذه الفقرة شأن اى شأن ، لا فيما يختص بالعلاقة بين سعد وعدلى فى الحاضر والمستقبل فحسب ، بل فى المستقبل السياسى لمصر فى القريب العاجل .٠

ومن يدرى ؟ فقد ينقسم الوفد بسببها انقساما صريحا حاسما لا رجعة فيه ولا مندوحة عنه ٠ وليس الى تفاديه من سبيل ٠

مجلس اللوردات يناقش المسالة المصرية

الخميس ٤ نوفمبر ١٩٢٠ :

منذ خمسة أيام زارنى فى مكتبى مستر انجرام سكرتير لورد ملنر (وكان الوفد منعقدا) واخبرنى أن المسالة المصرية والمفاوضات الدائرة عليها بين لجنة ملنر والوفد ستكون موضوع مناقشة مستفيضة فى مجلس اللوردات يوم ٤ نوفمبر ، واستعلم عن عدد الذين يريدون شهود هذه الجلسة من اعضاء الوفد والسكرتيرية حتى يحضر لى التذاكر اللازمة ٠ فاستمهلته قليلا ودخلت على الرئيس والاعضاء ٠ وابلغتهم ما سمعت فتحمسوا جميعا الا الرئيس، واعربوا عن رغبتهم فى حضور الجلسة ، وفى المساء بعث الى الى مستر انجرام داخل مظروف التذاكر اللازمة باسماء أصحابها ، وهم عدلى ومحمد محمود ومصطفى النحاس وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد وعلى ماهر ومحمد على علوبة والدكتور حافظ عفيفى

وويصا واصف ودوماني والدكتور حامد محمود وأحمد نجيب مراسل جريدة الاخبار وانا ·

واليوم ذهبت وذهبوا جميعا لشهود الجلسة . ولم يذهب الرئيس بالطبيعة لانه لا يريد ان يكون مجرد متفرج وهذه شهوة لا توجد فى مثله وفضول يترفع عنه · وكانت هذه أول مرة أدخل فيها دار البرلمان البريطانى وبينما انا أسير فى احدى ردهاته الموصلة الى مجلس اللوردات قرأت على احد جدران مجلس العموم عبارة مكتوبة بخط واضح وحروف كبيرة وترجمتها :

« مولاى ـ ليست لى عينان تبصران

ولا اذنان تسمعان

الا ما يمليه على هذا المجلس

(لنثول)

وهى عبارة قالها رئيس مجلس العموم البريطانى (لنثول) فى القرن السابع عشر لملك انجلترا وهو شارل الاول الذى قام فى عام ١٦٤٢ باقتحام مجلس العموم ومعه عدد من جنوده المسلحين ليقبض على خمسة من أعضاء (البرلمان) · وعندما التفت الملك الى رئيس المجلس وأمره أن يرشده اليهم ، لان الملك كان يعرف اسماءهم ولا يعرف أشخاصهم ، امتنع رئيس المجلس والقى على مسامعه الرد الحاسم الرائع المذكور آنفا ·

كان سير انجرام بانتظارنا جميعا بحفاوة دافئة ، ثم ابلغ خبر قدومنا الى لورد ملنر فى حجرته · واذا بملنر يحضر ويسلم باليد على جميع الزائرين المصريين مبتدئا بعدلى · وهكذا اثبت الانجليز انهم يجاملون احسن المجاملة فى العلاقات الشخصية حتى ليدهش الانسان كيف يمكن أن ينقلب هؤلاء المهذبون المؤدبون المجاملون الى وحوش وشياطين عندما يجد الجد · وعندما يظنون أن مصالحهم الحيوية أصبحت فى خطر ·

وصحبنا مستر إنجرام بعد ذلك الى مقاعدنا فى شرفة الزائرين الممتازين فى قاعة مجلس اللوردات حيث صفت المقاعد فى خطوط افقية متقابلة لا فى شكل دائرة كما هو الحال فى برلمان فرنسا فى باريس ·

وبعد قليل فتحت الجلسة ٠

وكان أول المتكلمين لورد سالسبرى زعيم اللوردات المحافظين وأسلطهم لسانا ، وأشدهم غطرسة وعنجهية واعتزازا بانجليزيته وأشدهم امتلاء بالروح الاستعمارية ٠

خطبة لورد سالسبرى

بدأ خطبته منتقدا الحكومة على سياسة التكتم التى تسير عليها ازاء الشئون المصرية فى الوقت الحاضر وعلى ما أظهرته وما زالت تظهره من الضعف وعدم وجود سياسة محددة مستقرة لها ، وساق الدليل على ذلك تقريرها الافراج عن الرئيس وصحبه من مالطة بعد أن سبق تقريرها اعتقالهم ونفيهم اليها ٠ واستمر زعيم المعارضة يكشف عن نزعته العريقة فى الاستعمار والغطرسة واحتقار الشعوب واحتقار الرئيس ولسون نفسه صاحب مبدأ تقرير المصير ٠ وفى ختام خطبته اقترح مبادىء أربعة وطالب الحكومة البريطانية بملاحظتها فى أية تسوية للمسألة المصرية ٠

وانى أسجل هنا أهم فقرات خطبته التى تكشف بواعثه وأسلوبه وأهدافه وتعطى فكرة صحيحة عن نيات السياسة البريطانية ازاء مصر وقضية استقلالها ٠

« ان أهل هذه البلاد (بريطانيا) فى حاجة الى معلومات أوفى مما بين أيديهم فى الوقت الحاضر ٠ وهذا هو السبب الرئيسى الذى من أجله رأيتنى مضطرا الى اثارة هذا الموضوع ٠ لقد قيل شىء كثير منذ زمن وجيز عن السياسة المصرية ٠ وقيل لنا ان الايام السيئة القديمة قد مضت وانقضت ، وان لنا فى المستقبل أن نأمل وضع ترتيبات تكون الامة بمقتضاها أقرب الى ثقة الحكومة منها الآن فيما له مساس بالمفاوضات ، ولكن هذه كانت آمالا باطلة ٠ ولا أستطيع أن أقول انى كنت أؤمن كثيرا بتحقيقها ولكن بدلا من أن تتحسن الاحوال القديمة رجعنا الى الوراء رجوعا بينا وصار أهل هذه البلاد أكثر احاطة مما كانوا قبل الحرب بما يصنع باسمهم ٠ ولو كانت هذه أوقاتا عادية وهادئة ولا تقع بها أحداث كبيرة لرضينا بمثل هذه الحالة ، ولكن أحداثا خطيرة تمر بنا وأنا أسمح لنفسى أن أقول ان تغييرات من أعمق نوع أصبحت تهدد الامبراطورية البريطانية من كل جانب ، ولا أريد أن أتحاشى هذه

الكلمة ، فاننا نحس جميعا كأنما نحن مقبلون على عصر تفـــكك وانحلال ، ومن أجل هذا ينبغي اكثر من ذي قبل ان يعرف ابنـاء هذه البلاد الذين يعنيهم الامر قبل غيرهم ما يصنع حكامهم على وجه الدقة ٠

« ويظهر ان الوزراء ليست لهم أراء مستقرة تمام الاستقرار ، ويخيل الى انهم يرسمون سياستهم في اللحظة الاخيرة ولا يحكمون الحوادث وانما ينساقون أمامها الى ما يكرههم عليه ، وســـواء وجهنا النظر الى ارلنده أو الهند أو بولنده أو سوريا فلسنا نحس أن هناك سياسة مقررة تتوخاها حكومة جلالة الملك بعـــد التفكير والروية فيها ٠ ولا حاجة بي الى الكلام عن ارلندة فقد اشتغلتم بموضوعها منذ يومين ، أما من حيث الهند فلم يكن شيء أوضح (مهما كان الرأى في قيمة السياسة التى اتبعتها الحكومة) من أن أيدى البلاد والبرلمان مضغوط عليها ، وانه ليس في نية الحكومة مصارحة البلاد والبرلمان قبل الوصول الى قرارات لا يمكن الرجوع فيها ٠ ولا يعلم احد شيئا عن التزامات الحـكومة وارتباطهـا فى المسألتين البولندية والسورية ، ولا عن كيفية القيام بها وتنفيذها ، ومما له دلالة كبيرة أن العادة التى كانت متبعة فى زمن السلم من تقديم « الكتب الزرقاء » الى البرلمان قد عدل عنها عدولا تاما على ما يظهر ٠ والا فلماذا لا نرى أوراقا عن سوريا وبولنده ؟ لقـــد كانت العادة فى الايام القديمة السالفة أن يعد كتاب أزرق بعد كل حادثة كبيرة ويقدم الى البرلمان ، وكانت تنشر التلغرافات المتبادلة مع بعض القيود أو التحفظات توخيـا للمصلحة العـــامة ٠ فكان البرلمان والبلاد يستطيعان معرفة المسألة التى تعرضها الحكومة على الامة والردود الواردة من الاطراف المختلفة الاخرى فى كل مفاوضة كما يستطيعان اصدار حكم عادل صحيح فى الرد ٠ ونحن بعـــد بلاد تحكم نفسها (أو هكذا كنا فيما مضى على الاقل) ، وانه لواجب على الامة أن تضمن المحافظة على مصالحها وشرفها وهى لا تستطيع ذلك الا اذا توافرت لديها المعلومات اللازمة ٠ وانى لارجو أن تبعد الحكومة عن خاطرها الآراء الناشئة عن الحرب ، وأن تطرد عن نفسها الاعتقاد بأن هذه البلاد مستعدة لان تثق بها ثقة عمياء كما فعلت بحق فى أثناء الحرب ، وعلى الحكومة كذلك أن ترتدى ثوب السلم وتخضع كما خضعت كل الحكومات السابقة لحكم البلاد ٠

سياسة بريطانيا فى مصر

« وماذا عن مصر ؟ ماذا نعلم عن سياسة الحكومة ازاء مصر ان فى الصحف مقدارا معينا من المعلومات ، ولكننى لا اظن أنه قدم للبرلمان ورقة ما منذ عرضت تلك الورقة البرلمانية الخاصة بالثورة فى تلك البلاد ·

لورد ملنر ـ ان هناك تقرير لورد اللنبى

لورد سالسبرى ـ هذا صحيح فقد قدم الينا تقرير لورد اللنبى ولكن هذا هو التقرير المعتاد الذى يتناول الشئون الداخلية المصرية ورفاهتها وأحوالها المالية ، وليس له علاقة بالمسائل السياسية الكبرى الخاصة بتلك البلاد · ولا شك أن هناك مكاتبات وبرقيات تبودلت بين حكومة جلالة الملك والمندوب السامى ، وقد عاد الى هنا مندوبان ساميان عوملا على ما فهمت معاملة ليست حسنة جدا · وقد كان فى الامكان الانتفاع بمعلومات سير هنرى مكماهون وسير ريجنالد ونجت فهل استشيرا ؟ وهل هناك أوراق تتضمن آراءهما ؟

هذان هما الرجلان اللذان شهدا الامور فى مصر وعايناها · وهناك بالبداهة لجنة الفيكونت النبيل الجالس امامى (ملنر) ، وهى لجنة لاشك عندى فى أن البلاد كلها تشكرها على جهودها ، ولابد أن تكون هناك تعليمات أعدت وأعطيت الى لورد ملنر (اذاكانت وزارة الخارجية ما زالت تسير على ما ألفنا من قبل) وتضمنت وصف المسألة وما يطلب اليه القيام ببحثه والحدود التى خولته الحكومة العمل فى دائرتها · هذه كلها أمور لا شك أنها موجودة كتابة ، وينبغى أن تعرض على البرلمان · على أن الذى نريده قبل كل شىء هو روح الثقة المتبادلة بين الحكومة والبلاد ، ونحن نريد أن نكون على ثقة من أن الحكومة فى عزمها أن تطلع البلاد على سياستها وتصرفاتها ، وأن تدرك أن المسألة ليست مقصورة عليها ومصر وحدهما ، بل ان الرأى العام البريطانى والبرلمان يجب أن يحاطا بأتم المعلومات فى الوقت المناسب · ولست أزعم أنى حجة فى شئون مصر ، ولكننى أعلم أن مصر كانت فى خلال حياتى السياسية كلها من أهم المصالح السياسية التى تعنى بها بريطانيا » ·

ثم استطرد فقال : «ان علينا اخيرا مسئوليتنا أمام امبراطوريتنا وهى مسئولية المحافظة على القوة التى تستطيع بواسطتها أن

تحكم امبراطوريتنا وحتى تستمر شعوب كثيرة في الشرق تنعم بخيرات حكمنا . ولا يخفي أن هذه امور لا يمكن أن يسمح لها ان تضطرب اكراما لعبارة مثل «تقرير المصير» ، ولااظن أن هناك كلمة خليقة بأن تحدث من الضرر في السياسة ما تحدثه هذه الكلمة نعم انها تتضمن فكرة نبيله عظيمه ، ولكن الواجب تفسيرها بكل تحفظ ، أما الفكرة القائلة بأن نتخلى عن مسئولية امبراطوريتنا من أجل أن سياسيا (١) أمريكيا فقد الآن ثقة مواطنيه أنفسهم ، اخترع عبارة (حق تقرير المصير) فهي فكرة يثور عليها كل سياسى عملى .

نقد السياسة البريطانية

« ماذا كانت سياسة حكومة جلالة الملك ؟ اني اذا انتقدت هذه السياسة فليس ذلك راجعا الي خطأ فيها ، ولكن لانه ليست هناك سياسة علي الاطلاق . حتى تناول هذه المسألة فيكونت ملنر . ولقد كانت سياسة الحكومة البريطانية في مصر واضحة الى أن قامت الحرب .. وكنا نعمل دائبين على ترقية شئون حكومتها وتحسين تلك البلاد . اننا لم نكن خصوما للتغييرات الدستورية بل على العكس ، اذا لم تخنى الذاكرة كان كل من اللورد كرومر واللورد كتشنر دائمى الرغبة في السير في طريق الحكم الدستورى . وأظن ان آخر أعمال لورد كتشنر قبل رحيله لمباشرة عمله العظيم في الحرب ان خطا خطوة أخرى في سياسة الحكم الدستورى في مصر ، ولقد توخينا نفس هذه السياسة حتى بعد الحرب . ولما اعلنت الحماية كان الظن ان نكون اقدر على القيام بمهمتنا الكبيرة ، لان الحماية كان من تاثيرها (اذا كان المرجو أن يكون من تاثيرها) جعل مركزنا في مصر ابسط وأسهل وتمكيننا من التخلص من كل العوائق . وأعتقد انه كان من المظنون أن نستطيع التخلص من كل شيء يقف في طريقنا بسبب التدخل الزائد عن الحاجة الذى تسمح به امتيازات الدول الاجنبية .

« فماذا حدث بعد ذلك ؟ لبثنا وقتا طويلا وليس هناك الا سياسة الارجاء والتسويف والتردد . انا لا اريد بقولى هذا ان اغمط الوزراء المكدودين في تلك الايام ، ولا ينبغى لاحد أن يتوهم أن

---

(١) يريد الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة .

تخطئه السياسة تستدعى بالضرورة لوم الوزراء الــذين كانوا منهمكين فى الحرب والذين هم مسئولون عن هذه السياسة ، ولكن الحقائق فى ذاتها قاسية ، ومهما قيل على سبيل الاعتــذار عن الوزراء فان السياسة السيئة لا تثمر الا نتائج سيئة . وهذا هو الذى يجب عليكم معشر اللوردات بصفتكم رجالا عمليين ان تتناولوه بالبحث والدرس .

« كانت هناك سياسة استسلام لمجرى الحوادث على الرغم من التحذير والاحتجاج ، ولم يكن ممثلونا فى مصر صامتين لايتكلمون، بل العكس كانوا يطالبون الحكومة باستمرار بان تكون لها سياسة .

لورد كيرزون ــ متى كان هذا ؟

لورد سالسبرى ــ فى اثناء الحرب .

لورد كيرزون ــ احب ان اقول انى وانا اصغى الى المركيز النبيل لم استطع ان افهم متى انتهى عهد السياسة المحددة المستقرة ، ومتى بدأت سياسة الاستسلام لمجرى الحوادث ، او متى بدأ ظهور الضعف والارجاء والتسويف ؟ .. فاذا تفضل بتحديد التواريخ فانى اكون اقدر على الرد عليه .

لورد سالسبرى ــ اننى لم اتهم صديقى النبيل بالضعف ، اذ هذه خشونة اربأ بنفسى عنها ، وقد بدأت سياسة الاستسلام بعد اعلان الحماية تقريبا . وكان من الواضح انه يجب على الحكومة ان تعد سياسة لما بعد الحرب . ولعل صديقى النبيل يوافقنى على هذا . لقد قال المصريون ذلك للحكومة فى مصر ، ونقل ذلك الى الحكومة البريطانية ، فلم تعبأ ولم تكترث ولم تفعل شــيئا او لعلها فكرت فى ذلك ، ولكنها لم تفعل شيئا وتركت الحوادث تجرى فى مجاريها ثم استسلمت لها وللامر الواقع .

« ولا اظننى مبالغا اذا قلت ان الحكومة البريطانية ظلت الى آخر الحرب دون ان تتخذ الاهبة لوضع سياسة مناسبة للظروف التى طرأت ، فلما وضعت الحرب اوزارها تبين بوضوح ان الحكومة لم تكن مستعدة . ذلك لان المصريين تحركوا فورا ، ولم تكد الهدنة تعقد حتى بدأت المتــاعب فى مصر . ولا حاجة بى الى تذكيركم بسلسلة الحوادث فى سرعة وخطورة بينما ظلت الحكومة البريطانية وليست لها فكرة واضحة عما يجب عليها عمله . ولما تحدى الوطنيون

المصريون سلطة بريطانيا فى مصر قوبل ذلك من جانبنا بشجاعة وعزم ، ونفى أربعة من زعمائهم الى مالطة ، فشبت فى مصر ثورة على اثر ذلك مباشرة • فلم تلبث الحكومة البريطانية أن لانت وسمحت للزعماء الاربعة بالعودة الى مصر أو السفر الى أوربا وهذا خطأ ، ولا أشك فى أن هناك اسبابا لهذه السياسة ولكنها فشلت كل الفشل كما تفشل كل سياسة ضعيفة ، ثم حدث عقب ذلك مباشرة ما يسمى اضرابا عاما • فاضرب الموظفون فيما أظن وكل من استطاع أن يضرب غيرهم ، ولم تجد سياسة الافراج عن هؤلاء الزعماء الوطنيين •

« وفى مايو من السنة الماضية قالت الحكومة أنه لا بد من عمل شيء ، وفعلا صنعت خير ما تستطيع فى هذه الظروف اذ قصدت الى الفيكونت ملنر وطلبت اليه أن يذهب الى مصر • وهذه سياسة حميدة لو انها نفذت حينما وضعت • ولكن الحكومة أيضا أبطأت مرة أخرى ، ولا علم لى بالسبب • وأحسب أن حوادث أخرى حالت دون التنفيذ ، فلم يعمل شيء بين مايو ونوفمبر ، ولم ينزل صديقى النبيل ولجنته بأرض مصر الا فى أوائل ديسمبر » •

لورد ملنر – صدقت فان هذا كان فى أوائل ديسمبر •

لورد سالسبرى – واذا سمح لى الفيكونت النبيل فانى أقول ان استقباله لم يكن حسنا جدا وكان عليه أن يباشر مهمته أمام صعوبات ضخمة قابلها برجولة كما هو المنتظر من مثله •

« ولعل من الاسباب التى خلقت هذه الصعوبات أمامه وأمام لجنته هو طول التسويف • وانى لست حجة فى المسائل الشرقية ، ولكنى أعرف أن ليس هناك ما هو أخطر فى مقابلة الشرقيين من عدم وجود الثقة بالنفس وظهور التردد فيما ينبغى عمله ، وقد لا تكون اجراءات الحكومة كذلك ، ولكن مظاهر التردد وعدم الثقة بالنفس كانت واضحة كل الوضوح فى السياسة البريطانية •

المبادىء الاربعة الواجب اتباعها

المبدأ الاول

(وهنا قال زعيم المعارضة البريطانى سالسبرى) ان لديه مبادىء أربعة ونصح بملاحظتها فى وضع أية تسوية للمسألة المصرية فقال

« هناك مسالة او مسالتان على جانب عظيم من الاهمية . فمن الامور الحيوية أن السلطة التى تحتفظ بها بريطانيا العظمى فى مصر يجب أن تكون سلطة حقيقية مهما يكن مبلغها ، ولقد الفنا فى السياسة البريطانية تلك الحالة التى يكون لنا فيها السلطة الحقيقية وان لم يكن لنا مظهرها ولكنى أخشى أن يعكس هذا المبدأ فى اية تسوية توضع لمصر فنحتفظ بمظهر السلطة ونفقد حقيقتها . وأرى أن من المسائل المسلم بها انه ليس ثمة دولة أوربية سوانا ينبغى أن تكون لها الغلبة فى مصر . وماذا عساه أن يحدث اذا فرضنا أن دولة أجنبية ساءها بعض أعمال الوزراء المصريين ؟ لا شك أنها ستقول لنا اما أن تنصفونا والا انصفنا انفسنا . ومن الواضح أن مثل هذا يمكن ان يقع ، فلكى نستعد لامثال هذه الطوارىء يجب علينا ان تكون لنا حقيقة السلطة .

« وهذا يقودنى الى .. المبدأ الثانى

« يخيل الى والى كثيرين فيما أعتقد ، أن علاقات مصر الخارجية يجب أن تظل دائما فى أيدى الحكومة البريطانية . ولقد ترامت الى مسامعى اشاعة بأن من يفاوضـــونه عن مصر لا يريدون أن تترك العلاقات الخارجية فى أيدى الحكومة البريطانية . وهذا ما أرى الا سبيل الى المساومة فيه للاسباب التى سبق ان ابديتها . واذا سمحتم لى قلت ان هذا مطابق لاحدث المبادىء والسياســة الدولية لان العلاقات الخارجية فى كل الحمـــايات تكون فى أيدى الدولة الحامية مهما كان نوع الحماية من التسامح والكرم واتساع نطاقها فى بعض النواحى . ولا بد انكم لاحظتم ذلك فى عهد عصبة الامم .

لورد ملنر ــ فى الوصايات :

لورد سالسبرى ــ فى كل انتداب . ولست أجهل أن مصر غير خاضعة للوصاية . وكل ما اقوله اذا اعتبرت عهد عصبة الامم أساسا عنه فى كل وصاية وهى آخر شىء ، نشأ فى القانون الدولى مهما كان كرم شروط الانتداب فان الدولة الحامية تحتفظ بالعلاقات الخارجية .

المبدأ الثالث

« والمبدأ الحيوى الثالث هو مركـــز السودان · اذ ينبغى ان تكون حكومة السودان فى أيدينا للأسباب التى أبديتها ، ومهما يكن تقدم مصر ورقيها فى القدرة على ادارة أمورها · فلاشك انه ليس لها من التجارب ما يكفى فى حكم شعب آخر · هـــذه مهمة شاقة نحن أهل لها بصفة خاصة ولا نستطيع أن ننفض أيدينا منها دون أن نسىء الى سمعتنا · ولكن اذا كانت حكومة السودان ستظل فى أيدينا فان مسائل صعبة ستنشأ من أجل مركز مصر بالنسـبة اليه وأنتم تعلمون أن العلمين (البريطانى والمصرى) يخفقان على السودان فى الوقت الحاضر · وأن البلدين من حيث القــانون فى مستوى واحد بالنســبة للسودان · ولكن الواقع ان للحكـــومة البريطانية الكلمة العليا ، وان حكومة السودان فى أيدينا · وهذا ترتيب ممكن مادام الاشراف لنــا على الحكومة المصرية ، ولكن على قدر سحب اشرافنــا من على مصر يتعقد مركـزنا بصفتها مساوية لنا فى الحقوق فى السودان · وهناك صعوبة أخرى ، وهى مسألة الحامية التى تتألف الآن من الجنـــود المصريين على الاكثر ، ولست اسأل الحكومة شيئا لانى لا أريد ان ألح عليها فى الاباحة بما ينبغى لهــا كتمــان بيانه للمصلحة العــامة ، ولكنى لا يسعنى الآن الا أن أقول انه على قدر نقص اشرافنــا على مصر تكون صعوبة استخدام الجنود المصريين فى حكومة السودان ·

المبدأ الرابع

« يضاف الى المبادىء السابقة مبدأ رابع عظيم الاهمية ، وهو المركز الحربى لبريطانيا العظمى فى الســـودان وفى مصر · وليس فى نيتى أن أقول شيئا عن كل هذا سوى انى أرجــو متى قدمت الى البرلمان الاوراق اللازمة أن يكــون أمامنا رأى المندوب الســامى نفسه عما يحتاج اليه مركز بريطانيا الحربى حسب الترتيب الجديد الذى سيوضع · وألاحظ أن هناك صعوبة خاصة ستنشأ فيما يتعلق بامداد منطقة القناة بالماء ، فان هذا الماء يأتى من النيل · ولا حاجة بى الى تذكيركم باننا اذا فقدنا السيطرة على الماء اللازم للحامية البريطانية فقد نصبح فى مركز حرج جدا · وانا الح على حكومة جلالة الملك فى النظر فى هذه الاعتبارات ولن أشكو أقل شكوى اذا اتهمونى بالجهل وهم يردون على لما لهم من العلم والتجارب مهما

ليس لى ، ولانى لا ادعى كما أسلفت انى ثقة فى هذه الامور . ولكن المهم الآن هو ان الدنيا قد تقاربت اطرافهـا بحيث صار كل ما يعمل فى ناحية منها تتجاوب بأصدائه كل النواحى . ولا يخفى أن كل شىء بغيرسالفه، وان كل ماتزرعونه فى مصر سوف تحصدونه فى الهند ، وكل عمل تعملونه وكل مبدأ تقبلونه وكل منحة تعطونها حتى ولو كانت منحة يسهل الدفاع عنهـا يجب أن ينظر اليها فى ضوء تاثيرها فى النواحى الاخرى من الامبراطورية البريطانية.

« وثقوا انه سيطلب منكم المساواة والمشابهة فى المعـاملة من نواح أخرى من الامبراطورية . ولذلك ليس لكم مفر من الحـذر والعناية . ولما كنت على يقين من ان السياسة التى توضع بعـد روية وتفكير هى فى الحقيقة أرخص ثمنا من سياسة مترددة ، فقد طلبت الى حكومة جلالة الملك ملاحظة هذه المبادىء الاربعة وما تنطوى عليه من اعتبارات ، وانى أستطيع أن اؤكد للحكومة انهـا فى مثل هذه القرارات ستنال التأييد التام من الامة البريطانية ، ونحن لم نسأم بعد من الامبراطورية ، ولم نتعب من تحمل أعبائها، ومازلنا مستعدين لاداء واجبنا والقيام بما تفرضه علينا تبعاتنا، ولم ننفك على أتم استعداد للقيام بهذا الواجب مع ملاحظة مصالح الآخرين . ونحن نريد أن نتآلف النفوس النافرة ولكننا مصممون على اداء واجبنا الامبراطورى ، وسنفعله بغير تردد وخوف » .

خطبة لورد كيرزون

كان ثانى المتكلمين لورد كيرزون وزير الخارجية فرد على ماقاله صاحبه ناقدا ومصححا ومبينـــا ورغبة منى فى تسجيل اسـلوب العرض والمناقشة والخطابة فى مجلس اللوردات البريطانى ، ورغبة منى كذلك فى اظهار الجو الرسمى البريطانى ازاء الوفد وقضية الاستقلال والعقبات القائمة فى سبيل المجاهدين المصريين ، وطراز الساسة البريطانيين الذين يتعامل معهم الرئيس واعضاء الوفـد فى هذه الايام ، أرى من المصلحة عـدم القصر على تلخيص ما سمعت ، بل من المصلحة تسجيله تسجيلا كاملا ولو كان فيه شىء من التطويل والاسهاب .

قال : « تظن المعارضة دائما ان الحكومة تخفى ما ينبغى الكشف عنه ، وتحسب أن قناع التستر والتكتم مسدل ابدا على السياسة البريطانية الخارجية . والرأى عندى أن هذه الشكوى على غـير

اساس من الوجاهة اذا صدرت من احد اعضاء هذا المجلس ، ذلك لان لكم امتيازات استثنائية يستطيع بفضلها اى عضو اذا دون الاقتراح على ورقة ان يضمن المناقشة فى اى موضوع متعلق بالسياسة الخارجية مهما كان ذلك مهما او غير مهم ، ومع انه قد يحدث احيانا انممثل وزارة الخارجية امام هذا المجلس يستنكر، كما فعلت هذا عدة مرات ، المناقشة فى راى معين ، الا ان هذا لايؤثر على المبدأ العام الذى يجعل من حقكم فى اية لحظة ان تتناقشوا فى مسالة مصر او فارس او العراق او سوريا او اية بلاد اخرى .

« وقد شكا صديقى النبيل من العدول عن اصدار الكتب الزرقاء او الاوراق البيضاء ، وانى لأعجب كيف لم يخطر له ببال ان هناك اعتبارين : اولهما اننا خارجون من حرب كانت فيها كل جهود هذه البلاد وفى جملتها وزارة الخارجية وغيرها من سائر الوزارات موجهة الى اجراء القتال وضمان النصر . وانا اشك فى ان يستطيع ان يجد فى اية وزارة خارجية او اى برلمان فى اوربا ذلك السيل من المطبوعات الرسمية عن الشئون الخارجية الذى اعتدناه فى الايام العادية .

اما الاعتبار الثانى فهو انه من المالوف اصدار « كتب زرقاء » متى بلغ مجرى الحوادث او السياسة مرحلة محددة ولا اقول نهائية ، وهذا مبدأ تلقيته من والده الكبير(١) ، وانى لا اذكر احوالا كثيرة عظم فيها الالحاح فى اصدار اوراق عند مرحلة يكون اصدار الاوراق فيها خليقا ان يثير المتاعب . وقد يعوق التسوية او يحدث الاحتكاك . وكثيرا ما كان يقال فى مثل هذه الظروف، دعونا ننتظر حتى نقطع مرحلة يكون قد تم فيها شىء او انتهينا عندها الى نتيجة ثم بعد ذلك نقدم الاوراق الى البرلمان ، وانى اؤكد للمركيز النبيل ان هذا هو المبدأ الذى نعمل به ونتوخاه . فليست هناك رغبة منا فى التكتم ، وستكون القصة كلها بعد قليل او كثير فى متناول اللوردات ومجلس العموم والجمهور .

التعليمات الى لجنة ملنر

ولأتناول الآن مسالة او مسالتين ذكرهما المركيز النبيل فى خطابه استشهادا على النظرية التى اشرت اليها . فمن ذلك ما قاله

---

(١) لورد سالسبرى زعيم المحافظين ورئيس الوزارة البريطانية غير مرة فى القرن التاسع عشر .

عن التعليمات الصادرة الى صديقى النبيل لورد ملنر . ومع ان المركيز النبيل يثق بعلم لورد ملنر وقدرته ثقة عظيمة طبيعية فقد تساءل « لماذا لم نعرف فى أى شىء أرسل » ؟ ولاشك يا حضرات اللوردات انكم تتذكرون أن التعليمات الصادرة الى لورد ملنر قد تليت فى البرلمان ونشرت فى جميع الصحف ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان لورد ملنر نفسه لما وصل الى مصر وبصفته رئيس لجنته ، اذاع بيانا أوضح فيه الظروف التى حملتـــه الى مصر والاغراض التى يرمى اليها .

حوادث مصر فى السنوات الاخيرة

استطرد المركيز النبيـــل من ذلك الى سرد تاريخ غريب بعض الغرابة لحوادث مصر فى السنوات الاخيرة وانى أعترف بعجزى عن « تطبيق ما روى على الحقـــائق كما أعرفهـــا » . ويظهر مما قاله انه قد مر عصر كانت لنا فيه سياسة معينة مستقرة مقرونة باسم لورد كرومر اولا ثم بعد ذلك بشخصية لورد كتشنر ، والذى فهمته أن هذا العهد لم يوجه اليه نقد ما . ولكن بعد ذلك جاء عصر تردد وضعف واستسلام لمجرى الحوادث مقرونا بالبطء والتسويف . ولما سألت المركيز النبيل وانا دهش متى بدأ هذا العهد . قال ردا على أن مبدأه اعلان الحماية على مصر فى أوليات الحرب وخريف عام ١٩١٤ . فنحن اذن كانت لنا سياسة الى ذلك العهد على حد قول المركيز النبيل ، وبعد ذلك لبثنا بغير سياسة ما . واظن ان فى هذا اساءة كبيرة لممثلينا فى مصر فى ذلك الوقت ، وتعريضا خطيرا بحكومة جلالة الملك فى ذلك العهد .

« ولقد كان لورد جراى على ما أذكـــر وزير الخارجية وكان رئيس الوزارة مستر اسكويث ، فلو كانت البلاد سائرة فى طريق الارتباك والخراب فكيف لم توجه هذه الشكوى الى هؤلاء الوزراء والى ملك الحكومة ؟ . لقد كنت احد الذين انضموا الى الوزارة فى مايو ١٩١٥ ، ولست اذكر شكوى من هذا القبيل . واسمحوا لى أن أرد هنا بما رددت به فى موضع آخر ، وهو أن كل همنـــا وجهودنا سواء كانت مصر أو هنا كانت موجهة الى تسيير الحرب . ولم تتخذ المسألة السياسية صورة مهمة الا بعد أن وضعت الحرب أوزارها فكان علينا أن نعالج الازمات السياسية التى ظهرت .

نفى سعد وزملائه

« وهنا نقطة اخرى ، اذا سمح لى المركيزالنبيل قلت أن معلوماته فيها خطأ . فقد انحى باللوم الخاص على حكومة جـلالة الملك لسماحها بعودة زغلول باشا وبعض اخوانه من مالطة التى اعتقلوا فيها الى مصر التى نفوا منها . ولعـل المركيز النبيل لا يعـرف الظروف التى اعيدوا فيها . فقد نفـوا بناء على مشورة القائم باعمال المندوب السامى فى مصر . وبعـد ذلك بقليل واظن بعد بضعة اسـابيع اذا لم تخنى الذاكـرة ، عين لورد اللنبى عقب انتصاراته فى الشرق مندوبا ساميا فى مصر ، فحمل اليها معه آثار تجاربه العظيمة ونفوذه الكبير وخول السلطة التامة لمعالجـة الموقف الذى لم يكن ينقصه الانفجار ، على ما يشاء ويختار فكان اول ما اشار به أن يعـاد زغلول واخوانه من مالطة فهـل يعنى المركيز النبيل حقيقة انه كان من واجب الحكومة بغية وضع سياسة أن تهمل أول اقتراحاته وتصر على ابقاء هؤلاء الرجال على رغم مشورته ؟ ان المركيز النبيل لاعظم تجـربة من ان يذهب الى شىء من هذا التصرف .

تأخير ارسال لجنة ملنر

« وقد بث المركيز النبيل شكواه من التباطؤ فى سفر لجنة ملنر، واعتبر هذا التباطؤ دليلا آخر على تردد الحكومة ترددا ليس له من دواء أو علاج ، وقال ان هذا التأخير غـير معروف السبب . وآخر ما انتظر أن يذكره أى انسان ، حتى من كان قوى الذاكرة مثل المركيز النبيل ، هو خطبة ألقيتها أنا . فقـد ألقيت منذ عام تقريبا خطابا ضافيا فى مجلسكم هذا عن مصر ، ومع انى لم أتوقع ان يشرفنى أحد بالاشارة اليه فى هذه المسالة فان من حسن الحظ أن معى الآن نصه ، لانى بذلك أستطيع أن اقرأ للمركيز النبيـل ما قلته بالضبط فى هذه النقطة ، وهذا ما قلته بالحرف :

« لقد كان فى العزم ارسال لجنة لورد ملنر فى تاريخ مبكر متى تم تاليفها ، ولكننا صادفتنا صعوبات من جهات شتى ، فلم نجد من السهل العثور على اعضـاء لهم التجـربة والقوة اللازمتـان ، وليس الشتاء انسب الاوقات للقيام بابحاث وتحقيقات فى داخـل بلاد مثل مصر فى مناخها ، ورأينا من المرغوب فيه أن نتيح الفرصة

للوزارة المصرية المؤلفة حديثا لكى توطد مركزها ، وظننا فى ذلك الوقت وهو ظن طاش ، أن مؤتمر الصلح فى باريس قد يستطيع قبل الخريف أن يفرغ لحل المسألة الشرقية • وقد ابلغنا لورد اللنبى الذى تعتمد حكومة جلالة الملك على رأيه اعتمادا كبيرا أن كلا من سلطان مصر ورئيس الوزارة يميل الى تأخير مجىء اللجنة الى الخريف • وأنه موافق على رأيهما • وهذه هى الظروف التى استدعت أن يتأخر موعد سفر اللجنة • فهل كان علينا مرة أخرى أن نهمل نصيحة لورد اللنبى ؟ وأن نعمل على عكس رغبات السلطان ووزارته ؟• لا يشير بشىء من هذا من كان فى مثل المركز النبيل عقلا وتجربة •

لماذا ارسلت لجنة ملنر ؟

هل نحن هنا هذا المساء لنتناقش بطريقة غامضة خطابية فى تاريخ مصر الماضى ؟ لاشك أن الامر ليس كذلك • لما انتهت الحرب وقام الاضطراب فى مصر فى أوائل ربيع العام الماضى بدا طور جديد فى علاقتنا بتلك البلاد (مصر) ، وكان ذلك طورا يستوجب أعظم العناية والتفكير وأعمق البحث عن الاسباب التى لعلها احدثت الاضطراب واشد الروية والتدبر فى الوصول الى حل • هذه هى الاغراض التى من اجلها قررنا فى خلال العام الماضى أن نطلب الى صديقى النبيل لورد ملنر نظرا الى قدرته وتجاربه الخاصة ، أن يذهب الى مصر •

ماذا حدث بعد ذلك

« واسمحوا لى فى خلال الدقائق الباقية التى سأستغرقها من وقتكم أن أتناول ما هو فى الحقيقة الشىء المهم الذى حدث منذ ذلك الوقت • ذهب صديقى النبيل وزملاؤه الى مصر فى نوفمبر وبلغوها فى أوائل ديسمبر ، ولا ننكر أن ما قوبلوا به هناك لم يكن من شانه أن يشجعهم • فقد كانت الاضطرابات على قدم وساق • وبذل حزب الوطنيين مجهودا مدبرا لمقاطعة أعضاء اللجنة ومقاطعة اجراءاتها كذلك ، والواقع أنهم لم يلقوا تسهيلات قط فى المراحل الاولى من عملهم ، ولكن صديقى النبيل وزملاءه واصلوا القيام بواجبهم فى صبر لا يعرف الملل وجلد يستحق الاعجاب • وفى خلال الشهور الثلاثة التى قضوها فى مصر حادثوا رجالا من كل

مراتب الحياة ، وكل طبقات الاجتماع وزاروا الاقاليم وفحصوا عمل كل مصلحة ونقبوا عن أسباب الاضطراب ودواعى الانتقاص فى أوليات العام ، واستمعوا لكل رأى وجمعوا مقدارا عظيما من الاثبات ، ولست أظن شيئا فاتهم ثم قفلوا عائدين الى هذه البلاد فى شهر مارس . وبعد أن زايلوا مصر وفى خلال شهرى مارس وابريل ، تجددت الاضطرابات والفظائع فى تلك البلاد وأطلقت النار على الضباط البريطانيين فى الطرقات ، وقتل ضابط وألقيت القنابل على أكثر من وزير مصرى واحد ، ويسرنى أن أقول أن الاضطراب المتجدد كان قصير العمر فقد خمد فى شهر مايو وانطفأت جذوته ، ولم يتجدد شيء من هذا النوع بعد ذلك .

المفاوضة بين زغلول باشا ولورد ملنر

« نأتى الآن الى صيف هذا العام . ففى أوائل شهر يوليه حضر زغلول باشا وزملاؤه الذين بقوا مدة فى باريس الى انجلترا ، وبدأت المحادثات بينهم وبين صديقى النبيل وزملائه ولم تكن هذه زيارة رسمية قام بها هؤلاء السادة . فانهم لم يكونوا وفدا . ولم يمثلوا الحكومة المصرية ، وانما كانوا أشخاصا ذوى نفوذ ينطقون بأسان عدد كبير من مواطنيهم ، وكان صديقى لورد ملنر وزملاؤه على أتم استعداد ورغبة للدخول معهم فى محادثات .. والواقع أن هذا كان من واجبهم كما فعلوا مثل ذلك مع طبقات شتى دعوها الى محادثات شبيهة بهذه لما كانوا فى مصر . وقد استمرت هذه المحادثات شهرى يوليو وأغسطس وأظن فى الاسبوع الثالث منه ، أرسلنا الى القاهرة مذكرة بالمحادثات التى جرت بين اللجنة وبين هؤلاء السادة ونشرت فى الصحف خلاصة وجيزة لها . وكان صديقى النبيل قد أوضح لهم أن هذه ليست الا آراء ملنر وزملائه ، وقيل ان الحكومة لم تنظر فيها . وانه لم تكن هناك فرصة لذلك لان رئيس الوزراء مستر لويد جورج كان فى ذلك الوقت قد ذهب الى الخارج وكان البرلمان فى عطلة والوزارة لا تعقد اجتماعا ، وكان من الواضح تماما أن النظر فى الموضوع وهو شيء محتم على كل حال ، لابد أن يرجأ الى الخريف . وفى شهر سبتمبر أرسل زغلول باشا أربعة من زملائه الى مصر ليشرحوا لمواطنيهم الاقتراحات التى كانوا يبحثونها مع لجنة ملنر ، فلم يشرحوها فقط بل حبذوها لاشياعهم . فكان لها حظ كبير من الموافقة فى تلك البلاد .

« واذا نظرنا الآن الى الحالة فى مصر فانه يسرنا جميعا أن نعلم أن الموقف قد تحسن كثيرا فقد زال الشعور العدائى الذى كان سائدا منذ عام ونصف عام ، وعادت الامور الى مجاريها المألوفة، وتدل آخر التقارير على أن الضباط البريطانيين يلقون مقابلة ودية فى نواحى البلاد المختلفة • هذه هى الحال الموجودة الآن فى مصر •

الموقف فى الوقت الحاضر

» قد تسالون ما هو الموقف هنا فى بلادنا ؟ انه هذا : ان الوزارة تعنى بدرس الاقتراحات التى وصل اليها لورد ملنر وزملاؤه فى الظروف التى وضعتها لجنتكم ، ولا يصعب عليكم أن تدركوا انها مسألة لا يمكن أن تقرر أو ترفض فى جلستين تعقدهما الوزارة ولا فى ثلاث جلسات ، لان الموضوع ينطوى على مسائل كبيرة وخطيرة ، خذوا مثلا الاعتبارات الاربعة التى لفت المركيز النبيل الانظار بحق اليها ، فان حل كل واحدة من هذه يثير مصاعب جمة وعظيمة • وأنا على يقين من انه سيكون آخر من يلح على الحكومة أن تعجل بغير ضرورة فى وضع قرار عن هذه المسائل • ولم يذهب لورد ملنر ولا أحد سواه الى أن مشروعه هو وزملائه ، مهما كانت رجاحة الظن فيه ، هو مشروع الحكومة وليست اقتراحاته باقتراحات الحكومة وهى لم تعرض بعد بصفة رسمية على الحكومة المصرية نفسها ، فهى لذلك قابلة للنظر واعادة النظر هنا وهناك فى هذه الظروف التى تعرفونها ، وكلا الطرفين (الحكومة البريطانية والحكومة المصرية) يحتفظ لنفسه بمقدار متساو من الحرية فى هذا الموضوع •

مفاوضة الدول

« وهناك ايضا البحث مع الدول بحثا هو بالضرورة طويل ومعقد وقد اشار اليه المركيز النبيل • واعنى به البحث الذى لابد أن يدور مع الدول التى تتمتع بحقوق الامتيازات فى مصر والتى ستتنزل عن امتيازاتها التى تتمتع بها بدون أن تأخذ ضمانات كافية فى مقابل ذلك وهذه مرحلة لابد من اجتيازها ، ومتى وصلت المناقشات هنا الى درجة متقدمة ، فان المفروض أن سلطان مصر سيرسل ممثلين معتمدين ليقابلوا حكومة جلالة الملك وليواصلوا حل هذه الامور • هذه هى الحالة كما هى الآن ، ولاشك انها كما

بينتها لا تدل على ما قاله المركيز النبيل من اننا لا نضع سياستنا الا فى اللحظة الاخيرة ، اذ ليس ثمة قرينة تدل على سياسة ارتجالية، وانما نحن نسير بمنتهى الحذر والتدبر • ولا اشد بطئا بطبيعة الحال من هذه المراحل التى نجتازها ونقطعها مرحلة بعد مرحلة، ويودى لو استطعنا ان نسرع الخطى والسير ، ولكن لا يوجد رجل يعرف مصر حتى المركيز نفسه ، يرضى أن يحثنا على الاسراع والمخاطرة بما يحتمل ان يحدث منه تقويض لكل ما شيدناه •

الاعتبارات الثلاثة الرئيسية

« هناك اعتبارات ثلاثة رئيسية وقد اشرت الى اولها وهى حماية الحقوق الاجنبية فى مصر ولا حاجة بى ان اقول اكثر من انها بالبداهة لابد أن تكون موضع الدرس الدقيق والعناية التامة •

« اما الاعتبار الثانى فخاص بالعلاقات الخارجية بحكومة مصر فى المستقبل •

« والثالث خاص بمسالة على اعظم جانب من الاهمية الحقيقية اى مستقبل المركز الحربى والسياسى فى السودان • وكل هذه المسائل كانت محل نظر لجنة ملنر ، وهى الآن موضع درس الحكومة وللمركيز النبيل أن يثق اننا لم ننسها ولا غفلنا عنها » •

ثم تكلم اثنان من اللوردات مؤيدين سالسبرى ، ولا حاجة الى التكرار بتلخيص اقوالهم التافهة• ثم كان ثالث المتكلمين الرئيسيين فى هذه الراوية التمثيلية الرائعة : لورد ملنر وزير المستعمرات ورئيس اللجنة التى اثارت حولها ضجة لا اعرف لها مثيلا فى تاريخ اللجان الحكومية ، وقف ليخطب هادئا بطيئا رزينا والجو حوله مكهرب ، فالمفاوضات معطلة بينه وبين الوفد ، والرئيس يعتزم السفر من لندن وقطع المفاوضات فى اية لحظة ، والخلاف داخل الوفد معروف له تمام المعرفة ، وهو على اشده بين الرئيس وعدلى • وملنر يحرص على ارضاء الرئيس بقدر الامكان ، فماذا يمكن ان يقوله ملنر حتى يسكن الآلام التى سببها سالسبرى اولا وكيرزون ثانيا فى نفس الرئيس لا محالة ، وفى نفوس اكثر اعضاء الوفد بل فى نفوس المصريين جميعا ؟•

ماذا عساه أن يقول حتى يتفادى تفاقم الازمة بينه وبين الرئيس وهو أعلم بها من غيره وحتى يضمن لمشروعه السلامة والنجاة على أيدى عدلى وأصحابه من أعضاء الوفد المعارضين للرئيس وحتى لا تفشل المفاوضات التى امتدت في صبر ومصابرة ومثابرة ، واستطالت كل هذه الشهور العديدة وتعلقت بها الآمال في مصر وبريطانيا على السواء ؟.

ان ملنر يعلم كما نعلم أن ما قاله سالسبرى لا قيمة له ولاوزن فى نظر المصريين لانهم اعتادوا سماع مثل هذا الهراء من الاستعماريين البريطانيين ، وهو يعلم كذلك أن ما قاله كيرزون له بعض الوزن فى نظر المصريين لانه وزير خارجية بريطانيا ولكنه غير مسئول عن مستقبل المفاوضات ، وأخيرا يعلم ملنر أنه وحده النجم المتألق فى هذه الحفلة البرلمانية فى مجلس اللوردات ، يتطلع اليه وحده الشعب البريطاني وجرائده وأحزابه وحكومته ، ويتطلع اليه وحده الوفد بمعسكريه والرئيس سعد بصفة خاصة ، ويتطلع اليه وحده عدلى الذى يعلق مستقبله السياسى القريب على ملنر ومشروعه واقتراحاته ، فى هذا الجو المشحون بالمخاوف والامانى والهواجس والمطامع والرغبات والصعوبات والمتناقضات وشتى الاعتبارات ، وقف هذا الاستعمارى الداهية ملنر ليلقى خطبته ، والآذان اليه مرهفة وبعض القلوب واجفة خائفة وبعضها طامعة متربصة فماذا قال فى صميم الموضوع ؟ :

خطبة ملنر

« لقد خالجنى بعض الشك فى هل ينبغى لى أن أقول شيئا فى هذه الفرصة لاسباب سابينها لكم بعد قليل ، وانى لأتكلم بصعوبة. وأعانى مقدارا كبيرا من الحرج والحذر والتقيد . ولولا أن خطبا معيبة قد ألقيت لما وجدت داعيا الى الكلام ولا باعثا عليه ، فقد شرح الموقف الحالى شرحا واضحا بديعا صديقى النبيل لورد كيرزون ، ولكن بعض عبارات وردت على لسان صديقى النبيل الجالس امامى (لورد سالسبرى) لا أرى مفرا من الاجابة عليها بايجاز ، وأظن أن الرد الوحيد الذى أستطيعه على تهمة التكتم

التى رميت بها الحكومة هو ان اسرد عليكم ما حدث فى هذا الموضوع سردا بسيطا ·

ان المسالة المصرية من اعقد واصعب ما يمكن ان نعالجه · ومهما تكن النتيجة فلا مفر من البطء فيها ولكن صديقى النبيل يخشى على ما يظهر ان يصبح فاذا هذه المسالة قد سويت فجاة · وبطريقة لا سبيل الى تعديلها · وبغير ان تتاح الفرصة للبرلمان والشعب البريطانى ان يعربا عن رايهما فيها على انى اسارع فاقول « ليتنى كنت استطيع السير بمثل هذه السرعة فى هذه المسالة العويصة ·

الموقف الحالى ومتى يطرح الموضوع للبحث

ما هو الموقف الآن ؟ ان اللجنة التى اتشرف برياستها والتى تعالج هذه المسالة منذ اخر العام الماضى لم تضع تقريرها بعد ، وانا فى هذه المسالة لى صفتان : فانى رئيس اللجنة ، ومن وزراء حكومة جلالة الملك وما اعظم التبعة الملقاة على عاتقى بصفتى الاولى · وما اعجزنى عن تصور تبعة اخطر من هذه من حيث تقرير اللجنة · ولكن متى وضعت اللجنة تقريرها فسيكون على حكومة جلالة الملك ان تدرس التقرير بعناية · ولاريب ان على تبعة معينة ايضا عن درسها هنا وبحثها ، وسادافع بالبداهة وباقصى ما يسعه طوقى عما اشير به وانصح · ولكن متى تم ذلك واوسعت الوزارة تقرير اللجنة درسا وفحصا ، فستصدر الحكومة بيانا عن سياستها فى شكل من الاشكال ، وحينئذ يطرح الموضوع كله على المجلس وعلى الراى العام البريطانى ، حينذاك · وحينذاك فقط يكون امام البرلمان تقرير اللجنة المنشور وراى الحكومة معا وما ننصح للبلاد بالاخذ به فيما يتعلق باقتراحات اللجنة ·

طول الوقت

ومع ان اللجنة لم تضع تقريرها بعد، فانه قد ذاع عن اجراءاتها واتجاهاتها اكثر مما يعرف عادة فى مثل هذه الاحوال، واستفاضت الاخبار بجانب كبير من اعمالها · ولعل الذى يحتاج الى تعليل او تبرير هو طول الوقت الذى مضى منذ ذهبت اللجنة الى مصر ، ثم

الوقت الذى سوف يمر الى ان تضع اللجنة تقريرها • وفى وسعى ان اعلل ذلك وافسره ، واسمحوا لى ان اقول فى الوقت نفسه انى وان كنت شديد الاسف (لاسباب شخصية اجد كل شىء يحملنى على الاسف هذه الايام) لطول الاجراءات فقد جنينا منفعة عظيمة من هذا الطول • لاننا فى الادوار الاخيرة حصلنـــا على مقدار عظيم من المعلومات ودارت معنا محادثات ستكون لها عندنا اكبر قيمة ممكنة فى تكوين رأينا ، ولقد كنت اقدر عندما غادرنا مصر فى مارس الماضى ان نستطيع رفع تقريرنا فى ابريل أو مايو ولكنى كنت احس حينذاك ، وقد شاركنى فى هذا الاحساس زملائى اعضاء اللجنة ، اننا لو كنا قدمنا تقريرنا فى ابريل ومايو لجاء ناقصا لان فرصـــة الاطلاع على آراء عــدد من الاشخاص قويى النفوذ العظيم فى مصر ، والذين يمثلون على اى حال جانبا كبيرا من الراى العام المصرى ، هذه الفرصة لم تسنح لنا ، وان كانت الفرص قد سنحت لنا اثناء وجودنا فى مصر فعرفنا آراء الناس من جميع الطبقات ، ولكننا شعرنا مع ذلك انه كان بيننـا وبين المصريين حجاب كثيف لا يرفع • ومع ان الناس حادثونا على انفراد فلم يكن هناك شخص واحد مستعدا لان يتقدم ويقول انه يعرب لنا عن آراء اى طائفـــة كبيرة من الشعب المصرى :

الاحالة على زغلول باشا

لم يرض احد ان يتقدم الينا ويقرر هذا ، ولم يكن احد مستعدا ان يكون معنا على اتم صراحة ، وكنا دائما نحال على اشخاص لم يكونوا فى مصر — على زغلول باشا وآخرين بصفتهم الممثلين الذين ينبغى لنا ان نتجه اليهم ليعربوا لنا اعرابا صادقا عن الراى العام المصرى • فلو اننا كنا قدمنا تقريرنا بعد عودتنا لكنا شعرنا باننا لم نستطع الى مدى كبير ان نسبر غور احساسات الشعب المصرى ، فرأينا ضرورة ان يحادثنا وينفعنا بآرائه على كل حال رجل يعده جانب كبير من مواطنيه ممثلا حقيقيا لارائهم ولم يكن هذا ميسورا لنا ونحن فى مصر ، ولكن بعد عودتنا الى انجلترا بقليـل علمت ان زغلول باشا وزملاءه الذين هم اعضـــاء فى الوفد يرغبون فى ان

يعرضوا علينا آراءهم ، فاستقر رأينا فى أثر ذلك على أن الافضل أن نرجىء تقريرنا الى أن نظفر بفرصة هذه المناقشـــات التى كنا دائما نرغب فيها ونحن فى مصر والتى لم تتهيأ لنا فرصتها أثنــاء مقامنا هناك • فجاء زغلول باشا وطائفة من زملائه الرئيسيين الى لندن ثم لحق بهم مصريون آخرون ليسوا من الوفد أخص بالذكر منهم عدلى باشا ، ولقد مكنتنا الفرصـــة من محادثة بعضهم فى مصر ، ولم تمكنا من محادثة البعض الاخـــر ، ولى أن أقول أن التأخير الذي طال شهورا عديدة والذى كان داعيه هذه الظروف التى بينتها ، هذا التأخير كان له فى رأينا أعظــم فائدة : ونحن اليوم فى مركز أفضل من مركزنا السابق يســمح لنا أن تقدم الى حكومة جلالة الملك تقــريرا جامعا شاملا للرأى العـــام المصرى ومتضمنا توصيات قائمة على أساس هذا الرأى العام ، وهو ما لم نكن نستطيعه لو كنا اقتصرنا على المعلومات التى وفقنا الى جمعها عندما كنا فى مصر •

نتيجة المحادثات

والآن دعونى أقل شيئا آخر لعله أهم من كل ما سبق بيانه • ان نتيجة هذه المحادثات قد تكون وقد لا تكون قاعدة اتفاق مستقبل بين الحكومة البريطانية والحكـــومة المصرية • وربما حدث وقد لا يحـــدث أن تشير لجنتى على الحكـومة البريطانية بالدخول فى تنظيم جديد يسمى معاهدة ، ولست الى الآن فى مركز يخولنى أن أقول شيئا قاطعا ، ولكنى واثق فى شىء واحد ــ وهو أن المحادثات التى دارت بين اللجنة وبين هؤلاء السادة المصريين الذين أشرت اليهم قد أيدت اعتقادا كان ينمو فى ذهنى وهو اننــا كنا مخطئين بعض الخطأ فى فكرتنا عن غايات الوطنية المصرية وروحها •

« لقد وقعت فى خلال الاضطرابات التى كانت موجودة فى مصر فى العام الماضى حوادث كثيرة يؤسف لها واتبع ما يعرف (بالحزب الوطنى) منهجا كان يدل على عداء مر لبريطانيا العظمى • وعلى وجود روح لا سبيل الى تآلفها ومصالحتها ، وتجربتى الخاصة هى اننا لما صرنا وجها لوجه أمام بعض هؤلاء الذين يعدون من أشد الزعماء المصريين عداء للانجليز وجدنا بلاشك اختلافا عظيما فى

الرأى فى كثير من النقط . ولكننا اكتشفنا ايضا أن ليس هناك من سبب يدعونا الى الظن بأن الوطنيين المصريين على العموم معادون لبريطانيا . أو أن بلوغ أمانيهم متعارض حتما مع ضمانة المصالح البريطانية فى مصر أو مع ضمانة الاصلاحات التى كانت بريطانيا العظمى واسطة فى اجرائها بمصر . ومع أنه من المستحيل التكهن بما عسى أن تسفر عنه هذه المحادثات ، أو حتى بما عسى أن توصى به اللجنة التى أتشرف برئاستها ، فانه لا يسعنى أن أقول شيئا سوى أن هذه المحادثات الوثيقة (ويمكننى أن أصفها بالودية) لم تنته حتى الآن ، ولكنها مع ذلك قد جعلتنى أعظم أملا مما كنت منذ ستة شهور ، بل مما كنت فى أى وقت قبل ذلك ، وانى لكبير الرجاء فى امكان الوصول الى تفاهم حسن دائم . أو دعونى أقل فى امكان تبديد سحب الشك والمرارة التى تكاثفت وكدرت العلاقات بين البريطانيين والمصريين بعد أن كانت فى بعض ما مر من الزمان حسنة مرجوة الخير . (وهنا انتقل ملنر من الكلام المشجع الناعم المتفائل الى الانذار والتهديد والوعيد فقال) :

« اننا نستطيع أن نحتفظ بمركزنا فى مصر بالقوة القاهرة الى الابد ، ولا يخالجنى فى ذلك أدنى شك ولا حاجة بى ان أؤكد لكم اننى شخصيا لن أوافق أبدا على أى شىء أعتقد أنه يمكن الى أقل درجة أن يضعف المركز الامبراطورى الذى لبريطانيا العظمى فى مصر ، ولكن الخواطر التى كانت تساورنى فى بعض الاوقات هى أن نلقى أنفسنا محتفظين بهذا المركز ضد رغبات الشعب المصرى فتستمر روح الاستياء والانتقاض من جانبه على ما قد يعدونه نيرا أجنبيا غريبا ، وفى اعتقادى أن من الممكن انتهاج خطة عملية تمكننا من الاستيثاق من كل ما نحتاج اليه فى مصر بما فى ذلك المحافظة على النظام والتقدم اللذين كنا نحن أوجدناهما فى مصر ، بدون أن نورط أنفسنا فى عداء دائم مع الشعب المصرى . وأنا مقتنع أعظم الاقتناع بأنه وان كان هناك ولاشك عنصر من عناصر الوطنية المصرية معاد لبريطانيا ، الا أن سائر عناصرها التى هى خير وأقوى ، ليست معادية لبريطانيا ولكنها فقط متمسكة بمصريتها ، وانه يمكن أن يوجد تحالف حسن دائم بين الوطنيين المتمسكين بمصريتهم وبين السياسى البريطانى الامبراطورى وانه ليس هناك تضارب دائم فى المصالح . وانى لادرك المصاعب الكبيرة التى تعترض طريق التفاهم الحسن فى هذا الموضوع بيننا وبين الوطنيين المصريين الذين يريدون أن يروا بلادهم تشغل مكانها تحت الشمس

ويكون لها قومية معترف بها ومركز قائم بنفسه . ولكنى شخصيا لا أعتقد أن تذليل هذه العقبات من المستحيلات ، ولست أستطيع الآن تفصيل توصياتنا وشرح الاسباب التي تبررها في نظرنا وتدعو الحاجة اليها وستكون كلها بعد قليل بين أيدى الحكومة ثم تذاع بعد ذلك على الجمهور بعد أن تبلغ الى البرلمان ، ولا ادرى ماذا أدخر الحظ لنـــا . وكل رجائى الذى أتقدم به الى جميع الاطراف هو الا يصفر على روايتي على المسرح صفير الاستهجان قبل أن تعرض هذه الرواية وتشاهد وتدرس ، حينذاك فقط يمكن اصدار حكم صحيح على جهود اللجنة وثمرة أعمالها » . انتهى .

ما كاد ملنر ينتهى من القاء خطبتــــه ويعود الى مقعده بين زملائه الوزراء حتى جمعت كل أوراقى التى دونت فيهـا خلاصة الخطب التى سمعتها وحرصت ان اجعل كل همى محصورا فى نقل خطبة ملنر بالحرف الواحد اذ كان بطيئا فى كلامه فلم تفتنى كلمة واحدة من خطبه ، واسرعت عائدا الى فندق سافوى لمقابلة الرئيس سعد . عدت مسرعا لا ألوى على شىء وفى نفسى انفعال شديد ، هو مزيج من السخط والكره لهؤلاء الساسة البريطانيين المتغطرسين المستعمرين ، واخيرا الاستياء الشديد من ملنر وخيبـة الامل فى الضمير البريطانى الذى لا وجود له ، ثم شعور بالضيق والانقباض من استمرار بقائنا فى لندن وعدم العودة الى باريس فورا .

دخلت على الرئيس سعد فور وصولى فوجدته يطلع على الجرائد المصرية التى كانت قد وصلت صباح هذا اليوم ، فالقى جانبـــا بالصحيفة التى كان يطالعها وسالنى : « هل جلسة مجلس اللوردات انتهت ؟ » فقلت : « كلا ولكن ملنر هو الذى انتهى من القاء خطبته فرأيت أن أسرع اليك لاطلعك على ما قال وقد دونته حرفيا . واما عدلى والاعضاء فما زالوا هناك متفرجـين على بقية الخطبــاء المهرجين ، وسيعودون اليك بعد الجلسة لا محالة » .

فقال الرئيس : اذن تكلم فكلى آذان ..

وهنا أخرجت أوراقى وظللت اتـكلم امامه ساعة وهو يصغى مطرقا صامتا مغمض العينين ولم يوجه الى اى سؤال أو استفسار كأنما أراد أن يستوعب أولا كل ما عندى من معلومات وكـلام ،

ولما فرغت وسكت ظل مطرقا صامتا مفكرا ، وخيل الى أنه حـزين أكثر منه غاضبا ثم قال : « هل لاحظت شيئا على وجوه أصحابنا : عدلى وأعضاء الوفد الذين كانوا فى الجلسة ؟ » فاجبت : « لاحظت عند انصرافى وجوههم وقد علتها ابتسامات عريضـــة تنم عن الانشراح » .

فقال الرئيس : هذا هو المنتظـــر .. هذا هو المنتظـــر . ثم سكت واطرق .

وبعد قليل دخل عدلى وجميع الاعضاء فنهضت وانصرفت الى مكتبى .

وبعد خروجهم دعانى وقال لى : « لا بد لنا من الســـفر فورا الى باريس » .

فقلت : لا اظن احدا يمكنه بعد اليوم ان يمارى او يعارض او يسوف .

فقال : الكل موافقون . وعدلى سيقابل ملنر الليـــلة لتحديد موعد للتوديع .

محادثة خشنة بين سعد وعدلى

٥ نوفمبر ١٩٢٠ :

اجتمع الوفد فى الساعة العاشرة صباحا ولم يتغيب أحـد من الاعضاء وبعـــد نصف ساعة حضر عـــدلى وابلغ الوفـــد انه تناول العشاء مع ملنر امس ولم ينس عدلى ان يذكر انه هنأ ملنر على خطبته ثم قال ان ملنر حدد ٩ نوفمبر لعقد آخر جلسة بين الوفد واللجنة ، وعلى ان تكون هى جلسة التوديع كذلك ويستطيع الوفد بعدها ان يسافر الى باريس فى اى وقت يشاء .

فعاتبه الرئيس على تهنئته ملنر على خطبته التى هدد فيهـا وانذر ، ثم هو يعلم أن ملنر لم يقبل تحفظات الامة التى يعلق الوفد عليها أعظم الاهمية الى درجة أنه يتخذ قرارا بقطع المفاوضات اذا لم تقبل ، كما عاتبه لانه لم يدافع عن هذه التحفظات بأى شكل من الاشكال كأن الامر لا يعنيه ٠

فاجاب عدلى بأن الظرف لم يكن مناسبا فى وليمة عشاء ، وانه لم ير معنى للدخول فى مناقشة أو جدل فى هذا الموضوع مع ملنر بعد أن ظهر رأيه الحاسم فيه مرارا ، وبعد أن دافع الرئيس نفسـه عنه دفاع المستميت بغير جدوى ٠

فعقب الرئيس عليه قائلا فى ابتسامة ساخرة :« لا أقل من أن تظهر الاسف لا أن تتطوع بالتهنئة ، فليست المناسبة مناسبة تهنئة وثناء ، وانما هى مناسبة أسف ورثاء ٠ »

فاجاب عدلى : أنا لم أر أن أجعل العشاء جنازة وتعزية ٠

فرد الرئيس : اذن رأيت أن يكون العشاء حفلة فرح وتهنئة ٠

وهنا تدخل الاعضاء فى المناقشة ، وتكلم عبد العـزيز فهمى والمكبانى وغيرهما ودافعوا عن عدلى الذى أظهر الانقباض ، ولم يستطع مع قدرته على ضبط الاعصاب أن يخفيه ، ثم خـرج من الجلسة بحجة أنه مرتبط بموعد مع صديق ٠

لماذا يرفض سعد فكرة ترك مسالة التحفظات للمفاوضات

٦ نوفمبر ١٩٢٠ :

قال لى الرئيس اليوم أثناء تناولى الشاى معه :

« ان الذين لا يتشددون فى التحفظات صـغار الاحلام ضعاف القلوب ، لان هذا موضوع لا يقبل الملاينة ولا المهادنة ولا المساومة٠

فالمسألة اما حماية او استقلال ولا وسط بينهمـــا · ومشروع ملنر مشروع حماية ما فى ذلك شك · ولا يخرجه من هذه الصفة الا تعديله بهذه التحفظات التى ابدتها الامة ، ولا سيما ما تعلق منهـا بالنص الصريح على الغاء الحماية ولو ان لجنة ملنر وعدته بشىء صريح او ضمنى بقبول هذه التحفظات فى المفاوضات الرسمية لكنت اول من يرضى بذلك ويكتفى به ، بل كنت اول من يتشبث بعدم ضرورة وجودى فى تلك المفاوضات الرسمية ، فما اريد لنفسى شيئا وليست لى اية غاية شخصية » ·

فقلت متسائلا : هل انت يا سيدى يائس كل اليأس من امـــكان قبول تلك التحفظات فى المفاوضات الرســـمية ؟ ان كثيرين قد لا يشاركونك هذا اليأس ويقولون ما الضرر من الانتظار واعطاء المفاوضين الرسميين فرصة عسى ان يوفقوا وينجحوا · فهل هناك خسارة من الانتظار ؟

فقال الرئيس سعد : ان الذين ملت نفوسهم الجهاد واصـــاب هممهم الهـزال وملكتهم المطامع الشخصـية يريدون ان يخـادعوا انفسهم ويخادعوا الامة بانهم سينالون فى المفاوضات الرســـمية قبول تلك التحفظات ، وانه ما على الامة الا ان تترك الذين ياخذون على انفسهم مهمة الوصول الى هذه الغاية يسعون اليها ، فاذا وصلوا اليها انتفعت بها الامة ، والا فهى لا تخسر شيئا بالانتظار · ولكن فاتهم انها تخسر بهذا الانتظار وحدتها ، وتفقد تضامنهـا ، اذ تترك ابوابها مفتوحة للدسائس والفتن وتلعب بعقول ابنائهـا وتفسد عقائدهم الوطنية ، وتضل عقولهم فتحملهم على الرضـا بما سبق أن رفضوه ، وقبول الحماية التى ضحوا باموالهم وابنائهم فى سبيل ابطالها ومحوها ، ولهذا ينبغى لوكلاء الامه الذين حملوا حماية امانة الدفاع عنها وارشادها ان يشتركوا فى هذه المفاوضات والا يتركوا غيرهم ينفردون بها او يشتركون معهم فيهـــا · والا

كانوا على الاقل مفرطين فى الواجب عليهم أمام الله وامام الامة ٠ وانه لمن دواعى الاسى والاسف أن كثيرين يرون فى مشروع ملنر النفع الكثير ، ولكنهم لو تاملوا فيه حق التامل لتاكدوا كل التاكد من انه بعيد جدا عن الاستقلال ٠ وأن عاقبته ستكون سيئة للغاية عل البلاد ، وان مزاياه التى يلمع ضـــوؤها للاعين الآن لا تلبث ان تختفى وتتبدل بكثير من المضار ، ولا اريد ان يكون لى يد فى هذا المستقبل الخــاسى ولا أن يقول التــاريخ عنى « سعى الى الاستقلال فايد الحماية » ٠

الرئيس يعترف بانه هو الذى حول « الرغبات » الى تحفظات

٧ نوفمبر ١٩٢٠ (صباحا) :

أملى على الرئيس خطابا الى ظاهر اللوزى اعترف فيه بانه هو الذى حول « رغبات » الامة الى « تحفظات » ٠ وقد جاء فيه :

« اننا نعانى اليوم صعوبات كثيرة فى عرض امانى الامة التى اعتبرناها تحفظات رغم ما وصفت به عندكم ويراد عدم فتح باب للمناقشة فيها واحالتها الى المفاوضات الرسمية توهما بان الامة تقبل المشروع بدونها ، وأن الحكومة التى ســتتولى امر هـذه المفاوضات ستتمكن من اقناعها بوسائل التاثير المعروفة بقبــول المشروع ، ولكنى مصمم كل التصميم على عدم النزول عن التحفظات المهمة لان المشروع بدونها لا يكون الا حماية فى ثوب استقلال او استقلالا فى معنى الحمــاية ٠٠ وما لهذا سعيت ، ولا عرضــت للشقاء نفسى وقومى ، فان نجحت فى سعيى فذلك ما اريد وتريد الامة ٠ واذا كانت الاخرى فلا اكون ايدت اليوم ما نقضته بالامس وكل الناس تعذرنا ٠ ومن المنظور الا تطول اقامتنا هنا وأن نبارح لندن يوم الخميس القادم على الاكثر ان لم يحدث ما يبعث الامل على المناقشة فى تلك التحفظات » ٠

قنبلة نجيب باتهام عدلي بثلاث تهم خطيرة

٧ نوفمبر (مساء) :

دعوت احمد نجيب مراسل جريدة الاخبار الى تناول العشاء معى فى مطعم النزو كاديرو هذا المساء ، وهو رجل مثقف ناضج واسع الاطلاع محدث ظريف خفيف الروح كثير المرح ، وتباحثنا معا فى الموقف السياسى الخاص بعد أن أشرفت المفاوضات على الانتهاء وما ينتظر من تطورات سياسية فى مصر وبريطانيا · وبعد دقائق معدودات من بدء الحديث أدهشنى بل أذهلنى حين أخبرنى انه أرسل برقية خطيرة هذا اليوم الى أمين الرافعى رئيس تحرير جريدة الاخبار اتهم فيها عدلى باشا بأنه يسلك غير مسلك الوفد فى مسألة التحفظات ، بل أكثر من ذلك ، انه عرقل سير المفاوضات وانه عمل على تقسيم الوفد ·

فسألته هل هذه البرقية للنشر ، فأجاب بالايجاب · ولكن أمين الرافعى حر فى نشرها أو عدم نشرها بالطبع ·

فقلت له : كيف تجرؤ على ارسال برقية خطيرة جدا كهذه على عهدتك وعلى مسئوليتك ·

فأجاب بأن الرئيس سعد ومصطفى النحاس اطلعا عليها قبل ارسالها · فازدادت دهشتى ، واشتد ذهولى ·

ثم اخذنا نتبادل الرأى فيما عسى أن يكون لهذه البرقية من نتائج بعد نشرها ، وكان من رأى (نجيب) أن أمين الرافعى سيمتنع حتما عن نشر هذه البرقية ·

فسألته : ولماذا أرسلتها اذن ·

فقال : ان الحقائق يجب أن تعرف ، ولا فائدة من كتمانهــا ، ما دامت لها نتائج وبيلة على كل حال ، وأمين الرافعى سيهتدى بهذه البرقية ويكتب مقالاته الافتتاحية على ضوئها ·

فقلت : ان هذه مغامرة منك ، ومسئولية خطيرة عليك وأرى أن هذه البرقية بمثابة اعلان الحرب بين سـعد وعدلى • وانك بذلك ستزيد هوة الانقسام فى الوفد عمقا واتساعا •

فقال نجيب : لا تتشاءم • ان هذه البرقية لن ينشرها أمين الرافعى لانها قنبلة وكل ما هنالك انها كما قلت لك ايحاء وتوجيه (لامين) يكتب مقالاته على هداها •

فاظهرت الغضب والسخط عليه فقال ضاحكا : هل انت لا توافق على ما ورد فيها من الحقائق •

فقلت مكتئبا : يا صديقى لا حاجة بنا الى الدخول فى جدل عقيم الآن ، ولا فائدة من البكاء على اللبن المسكوب ، كما يقـــول الانجليز ، فقد سبق السيف العزل •

والى هنا وصل الاتوبيس الذى ينقلنى الى فندق الامبريال حيث أسكن ، فاستأذنته وسلمت عليه على عجل وانصرفت •

واقسم غير حانث انى لو كنت مكان نجيب لما فعلت فعلته مهما يكن الضغط الواقع على ، او الاغراء المقدم الى • فما بالك اذا لم يكن هناك اى ضغط أو اى اغراء ؟ ولكنـــه الحظ السيىء العاثر الاحمق •

لماذا أخبرنى (نجيب) بأن الرئيس سعد ومصطفى النحـــاس اطلعا على البرقية ؟

لماذا لم يكتم هذا السر ان كان هذا صحيحا ؟ وأنا لم أسأله عمن استشارهم قبل ارسال البرقية ؟

واذا كان قد تطوع بهذا السر لى ، فهل يستطيع كتمانه حين يحرج ويضطر الى الدفاع عن نفسه • انه حتما سيفضح ســـعدا ومصطفى النحاس انقاذا لنفسه من الحرج المؤكد الذى ينتظره •

هذه الاسئلة جالت بخاطرى ، وهذا الشـــعور بقرب الفضيحة قام بنفسى ٠ فآلمنى وشعرت بالاسى والاسف ٠ ثم عدت أسائل نفسى مرة اخرى ٠ لماذا ؟ لماذا ؟ لم يستطع نجيب كتمان هذا السر ؟ ولماذا خان الامانة ؟

لست ادرى على وجه اليقين ، وانما انا اؤمن ايمانا قويا بان الرجل الذى يحترم نفسه ويشعر بالمسئولية لا يذيع سرا ولا يخون عهدا ٠ واذاعة السر فيما ارى دليل على استخفاف المذيع بغيره ٠ ودليل على انه اكثر شعورا باهميته الشخصية ولذته الخاصة من شعوره باهميته مصلحة غيره ومسئوليته ازاءه ، بل يخيل الى ان اذاعة السر اكثر من ذلك واخطر ٠ واشنع من ذلك وافظع فهى ليست مجرد خفة أو طيش و اهمال ، بل هى تدل على الشماتة والرغبة فى الكيد والتظاهر بالاهمية الشخصية ٠

وكثيرا ما جرت اذاعة الاسرار نكبات على الناس وعلى اشخاص المذيعين لها على السواء ورحم الله البارودى الشـــاعر الحكيم الذى قال :

ولو علم الانسان ما فيه نفعه   لابصر ما ياتى وما يتجنـب
ولكنها الاقدار تاتى بحكمها   علينا وامر الغيب سر محجب

الفصل السابع

الوفد يقرر قطع المفاوضات والعـــودة إلـــى باريـــس

٩ نوفمبر ١٩٢٠ :

اجتمع الوفد فى الساعة العاشرة صباحا · وحضر عدلى الاجتماع هاشا باشا هذه المرة وعلى غير عادته ، وكأن شيئا لم يقع بالامس مما يكدر النفس او يعكر الصفو بينه وبين سعد ودام الاجتماع ساعتين بحثوا فيها مسألتين :

١ ـ ما عسى أن يقوله ملنر غدا وما ينبغى أن يكون رد الرئيس عليه ، وهل يكون الانفصال والوداع فى مظهر سخط وخصام او فى مظهر ود ووئام ؟ واستقر الراى على المظهر الثانى ·

٢ ـ تحديد موعد السفر من لندن الى باريس ، فاستقر الراى على أن يكون يوم ١١ نوفمبر اى بعد يوم واحد من ختام المفاوضات·

وقد كلف جورج دومانى باعداد جوازات السفر بالفيزات الفرنسية وشراء التذاكر اللازمة للسفر برا وبحرا ·

وبعد انتهاء الجلسة تجمع فى مكتبى بعض الاعضاء وهم عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل ، وكانوا جميعا فى حالة نفسية منشرحة ومنتعشة ·

فقلت لهم : هل انتم مسرورون لانتهاء المفاوضات أم مسرورون لقرب سفركم من لندن ؟

فقال عبد العزيز فهمي : لعنة الله على الاثنين المفاوضات ولندن ، وانتشر في جو الحجرة رنين الضحك وهمسات الابتسام ، ادام الله هذا السلام ·

غداء مع عبد العزيز فهمي ومحمد علوبة

فى دعابة خفيفة لطيفة ظريفة قال لى عبد العزيز فهمى « نحن مختلفان على مسالة : اينا يدعوك للغداء معه ؟ » فقلت : « عندى حل هذه المسالة ، وهو أن ادعوكما انا للغداء فى مطعمى المختار (مونيكو) » · فقال : « هذا ليس حلاً للمسالة وانما هو هروب من الحل بتقديم اقتراح جديد » · فقلت : « لا · انا لا أجاريك فى فن الحوار والمحاورة » · فانفجر الصاحبان بالضحك وخرجنا للغداء معا ، وصاحباى لا يعرفان اللغة الانجليزية وكان هذا موضوع الحديث والتندر والمزاح ·

١ ـ مناقشة فلسفية حول زنجى أسود :

دخل المطعم ونحن نتناول الغداء زنجى شديد السواد طويل القامة ومعه فتاة انجليزية بيضاء ، لتناول الغداء معا ، فكان منظر سواده القاحم وبياضها الناصع مما يلفت الانظار ويثير الافكار عند الغربيين عامة والانجليز والامريكان والفرنسيين خاصة·

فقلت : قبل سفرنا الى لندن كنت جالسا في صالون البنسيون الذى أسكنه فى باريس ، وكان معى رجل أمريكى مثقف فكان الحديث بيننا يجرى هادئا عاما فى المسائل الدولية ، وفى أثناء الحديث دخل زنجى أمريكى أسود واتجه الى « موظف الاستقبال » يساله عن حجرة بحمام · فانتفض الامريكى من مكانه واتجه الى مديرة البنسيون وكانت قريبة منا وتحدث معها قليلا ثم عاد الى مجلسه بجوارى ، واذا بالسيدة تذهب الى الزنجى وتعتذر اليه عن عدم وجود حجرة شاغرة · فسالته عما فعل · فقال : « انا لا أطيق الزنوج السود وهم فى أمريكا منبوذون ، لا يغشون الاندية والفنادق والمطاعم ولا يركبون حتى الاتوبيسات التى تحمل البيض»

فخجلت وغضبت وقلت هذه قسوة بالغة وأهدار لآدميتهم ، وما ذنب صاحب البشرة السوداء ٠٠ انه لم يصنعها ولا حيلة له فيها ٠ وانى لاعرف بين السود من هم أنكى واعلم وانبل وأكرم من كثيرين من البيض ، ولست أدرى كيف يسمح ضمير الرجل الابيض المثقف أن يهين انسانا مثله لا لسبب سوى لونه الاسود ٠ فأجاب الامريكى : انه لون كريه ٠٠ ثم تفوه بعبـــارات عن السود لا أريد أن أسجلها لانها تدل على ضيق ذهنه وانعدام مروءته وانسانيته ٠ وانصرفت عنه وخرجت ٠ فقال عبد العزيز فهمى : أتدرى لماذا كل هذا ؟

فقلت : لا أعرف سببا غير هذا اللون الاسود الذى خلعته الطبيعة على أناس أبرياء يسكنون بقاعا معينة من الكرة الارضية ٠

فقال صاحبى : ان اللون الاســـود مقترن فى أذهان الغربيين البيض بالتأخر والجهل والوحشية والانحطاط الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والثقافى ٠ ولو أن هـذا الزنجى ذا البشرة السوداء كان من دولة راقية متمدينة انتصرت فى الحروب ولها مستعمرات من البيض ، لكان هذا الزنجى يتيه بلونه الاسود ولكان الرجـــل الابيض يخجل من بشرته البيضاء ٠ والسواد فى اذهانهم قرينة على التأخر ، ولكن لا عيب فيه لذاته ٠ والبياض قرينة على الرقى ولا فضل فيه لذاته ٠ والمسألة كلها اعتبارية ، وسيأتى الوقت الذى يرتقى فيه السود ويصبحون على قدم المساواة مع البيض ٠

فقلت : هذا تعليل جميل لم يخطر لى على بال ولكننى مع ذلك أشفق على هذا الرجل الاسود من نظرات الكره والاحتقار المقذوفة اليه ٠ فأجاب : وفر عليك اشفاقك فان هذا الزنجى الاسود شـجاع ولعله يشعر الان بالتحدى والفخار لاستيلائه على امرأة بيضـــاء فى بلادها ، ووسط أبناء وطنها البيض ، وهذا التحدى نوع من الانتقام ومبعث للرضا لنفسه ٠

فقلت : وهذه أيضا فكرة جميلة لم تخطر لى على بال ٠

ب ــ متى العودة الى مصر :

سألنى محمد على علوبة : هل أنت تفكر فى العودة الى مصر

فقلت : هل قرر سعد باشا العودة الى مصر ؟

فقال صاحبى : لا ٠٠ لا أظنه يفكر فى ذلك ٠

فقلت : وأنا كذلك لا افكر فيــه ، فأنا ظل ســـعد فى الارض (فضحك الصاحبان كأنى قلت نكتة طريفة) ··

ثم قلت : لا اظنكما تفكران فى العودة الى مصر قريبا ·

فقال عبد العزيز فهمي : ولم لا ؟ وما هو عملنا فى باريس بعد عودتنا اليها ؟ ان مهمتنا قد انتهت · ان ثورة ١٩١٩ قد انتهت تماما ، وقد تغلب عليها الانجليز واطفأوها بعد شـــهور قلائل ، وايدت الدول جميعا مركز بريطانيا فى مصر · ونحن من ناحيتنا قد استغللنا هذه الثورة وآثارها الى اقصى حد ممكن ، وحصلنا من الانجليز على اقصى ما يمكن الحصول عليــه فى الظـروف الحاضرة ، وهو على كل حال خير الف مرة من الحالة الراهنـــة التعسة الموجودة فى مصر ، ثم استطرد قائلا : « ان عدلى سيعود الى مصر بعد اسبوعين توطئة لتاليفه وزارة الثقـة ، وهى اول وزارة وطنية تتولى الحكم فى مصر وسعد باشا يظن خطأ اننا نؤيد عدلى طمعا منا فى أن يأخذ بعض اعضاء الوفد وزراء معـــه ، وهذا وهم وضلال فلن يقبل عضو فى الوفد دخول هذه الوزارة منعا للظنون والاوهام ، ثم ينظر بعد ذلك فى تاليف وفد رسمى مصرى ليتفاوض مع وفد رسمى بريطانى لوضع مشروع معاهدة تحالف بين البلدين » · ثم قال : « هذا وستجرى فى مصر انتخابات عامة لاقامة نظام برلمانى » ·

« فما معنى بقائنا فى باريس ؟ وماذا ينتظر منا ان نعمله فى باريس أو فى غير باريس ؟ هل نخدع الشعب بأننا نعمل ونحن فى الواقع لا نعمل شيئا ؟؟ »

وقال محمد على علوبة : « ان مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى قرروا العودة الى مصر وقد أعطيتهم فعــلا أجور التذاكر اللازمة للسفر قبل آخر هذا الشهر » ·

أصغيت وفكرت · ولم اشـــأ ان اناقش أو أبدى رأيا بل سكت واطرقت · ولم أر اية فائدة من تكرار حجج الرئيس سعد فى موضوع الاستقلال ، وأن هذا الذى حصلنا عليه ليس هو الاستقلال الذى وكلت الأمة الوفد للسعى اليه وادراكه ، ولم أر كذلك اى جـدوى من تكرار حجج الرئيس القوية وملاحظاته التى لا ترد فى موضوع مشروع ملنر وموضـــوع التحفظات · فهم يعرفونهـــا اكثر منى

وتكرارها عبث سخيف لا طائل تحته ، فاختصرت الطريق ووضعت حدا للحديث بجملة واحدة • قلت : « ان ما سمعته الان يدعو للتفكير واطالة النظر فى الموقف الخاص ونتائجه » •

فقال محمد علي علوبة : هذا احسن رد سياسي سمعته ، وياليت سعد باشا يتحدث الينا بهذه الطريقة وبهذا الهدوء •

فقلت : استغفر الله • وانفض الاجتماع بسلام •

خواطرى بعد عودتى الى الفندق فى المساء :

فى المساء عدت الى فندقى فدونت كل ما سبق كعادتى خشية نسيان بعض تفصيلاته • ثم آويت الى فراشى ، ولكن لا نوم هناك ولا راحة ، وشعرت بان عقلى كالدوامة لا يهدأ ولا يستقر • تتزاحم فيه الاسئلة وتتنادى بطلب الجواب • فنهضت من الفراش بعد نصف ساعة واستانفت الكتابة لاسجل مرة أخرى أسئلتى وخواطرى ؟

اسئلة محيرة

هل أحمد نجيب صادق فى قوله ان سعد باشا ومصطفى النحاس اطلعا على برقيته قبل ارسالها ؟

ما الذى ينتظر من المتاعب بعد ارسال هذه البرقية ومن نشرها ؟

هل المقصود هدم عدلى فلا يؤلف وزارة الثقة ؟ هل هذه البرقية تهدم عدلى ؟

لماذا يطعن الرجل فى الظلام على هذه الصورة الكريهة ويطعن فى ظهره بعد أن انتهت المفاوضات أو المحادثات والمجادلات ؟ ان سعدا لا يمكن أن يعمل هذا ولا يمكن أن يعلم به •

هل أحدث الرئيس بما سمعته من نجيب ، ثم أرجوه أن يتفادى الخطر قبل فوات الاوان ؟ ولكن من أنا (الصغير سـنا ومركزا وتجارب) حتى أنصح زعيم الامة المصرية •

ثم الا يعتبر هذا افشاء لسر ائتمننى عليه نجيب ولم ينتظر منى أن انقله الى سعد ؟ وما الفرق بينى وبين نجيب اذن فى افشاء السر وخيانة الامانة ؟

ولكن هل هذا سر ؟

هل احدث الرئيس بما سمعته من عبد العزيز فهمي ومحمد على علوبة في مسألة العودة الى مصر وأفكارهما في مسألة انتهاء مهمة الوفد ؟

هل يثور الرئيس عليهما بحجة انهما يحاولان ابعاد سكرتيره الخاص من جواره وتركه وحيدا في باريس فأقع انا بين المطرقة والسندان ؟

ان قلت لسعد انهما لم يحاولا ذلك : ظن انى أمالئهما وأدافع عنهما ، وانى لا ارى غضاضة فى تصرفاتهما ، بينما هو ثائر عليهما ساخط منهما .

وان سكت ووقفت على الحياد ظن عبد العزيز فهمي ومحمد على علوبة انني رجل خطير ونمام اعمل على زيادة هوة الخلاف بينهما وبين سعد !!

أليس من الخير كل الخير الا انقل كلاما من ناحية الى اخرى في هذا الجو المشحون بسوء الظن وتوتر الاعصاب والميل الى الاعتداء وسرعة الغضب واختلاف النظرات الى الشيء الواحد ؟

أليس من الخير كل الخير أن أكون كالبئر العميقة ، انطوى على كل شيء واعتبر كل ما اسمعه سرا دفينا لا يظهر الا في الوقت المناسب ، والوقت الحالى غير مناسب لاى شيء والتفاهم فيه عسير حتى على البديهيات ؟

عقيدتى فى الرئيس سعد

انى أومن ايمانا جازما بان سعد باشا على حق في استنكاره مشروع ملنر واعتباره حماية سافرة ، وعلى حق في تمسكه بضرورة تعديله بالتحفظات قبل الدخول في اية مفاوضات رسمية . وعلى حق في رفضه احالة الكلام في مسألة التحفظات الى المستقبل حين تجرى المفاوضات الرسمية . وعلى حق في ضرورة استمرار الجهاد لتحقيق الاستقلال الحقيقى . وعلى حق في تمسكه بتوكيل الامة له وللوفد . وعلى حق في اعتقاده باستحالة الخروج على هذا

التوكيل اى بقبوله حماية مخففة ملطفة بدل الاستقلال · وعلى حق فى تهديده بعدم تأييده ما يسمى « وزارة الثقة » برياسة عدلى ·

ان الرئيس سعد على حق مائة فى المائة · ولا ارى أن زعيم امة وزعيم ثورة يمكن أن يسلك مسلكا غير هذا · أومن بكل ذلك ايمانا راسخا ، وسأكون الى جانب سعد دائمــــا ، أناصره ولن اخذله أو أهجره أو انضم الى صفوف خصومه السياسيين يوما من الايام ·

هذا رأيى وشعورى وعقيدتى · وفى ذلك اطمئنــانى وراحتى وهناءتى ·

ولكن كيف يكون التفكير السليم فى الخلاف الحاضر ؟ ما الحكم اذا كان هناك اناس لهم رأى وشعور وعقيدة عكس ما عنــدى ؟ وما الحكم اذا كان هناك رجال أمثال عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة ولطفى السيد ومحمد محمود وغيرهم لهم رأى آخر ، وشعور وعقيدة على نقيض ما عند الرئيس سعد ؟

ان المشاعر والآراء والعقائد عند المثقفين لا تتكون الا عن طريق التفكير المستقل الحر والرجل لا يكون جديرا بالاحترام : احترامه لنفسه اولا ، واحترام الناس له ثانيا الا اذا كان قادرا على التفكير المستقل ومتمتعا بحقه فى هذا التفكير وهذه حقيقة لا اظن احــدا ينازع فيها ، ومن شأن هذه الحقيقة ومن طبيعتها أن تختلف آراء الناس فى المسألة الواحدة ، وأن يخطىء الانسان فى رأيه وعقيدته احيانا ولا جناح عليه فى ذلك ما دام أنه يستعمل حقه ويصدر فيه عن عقيدة ·

وليس من حق انسان ذى رأى وعقيدة أن يضيق ويغضب ويثور على انسان آخر ذى رأى وعقيدة · مادام الرجلان يستعملان حقهما المطلق فى التــفكير المستقل ، ومستلهمين ضميرهما فى خــدمة المصلحة العامة ·

ولست ارى من المعقول او المقبول أن تتمتع انت وحــدك بحق التفكير المستقل وأن تحجر على غيرك وتحرمه من هذا الحق فى الوقت عينه ثم تملى رأيك او عقيدتك عليه بحجة أن هــذا هو

الصواب وترغمه عليه لكي يقلع عن رأيه وعقيدته ويقبل رأيك صاغرا وبغير اقتناع ، وينزل على ارادتك خاضعا مقهورا ·

هذا رأيي وهذا مذهبي في أسلوب التفكير ، بل هذه عقيدتي فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم · ولعلي بسبب هذا الرأى وهذا المذهب لم أعاد أحدا من أعضاء الوفد رغم ايماني بسعد ، وانى أعاملهم ويعاملونني بالاحترام المتبادل رغم ما بيني وبينهم من اختلاف في الرأى ·

والآن ما هو الحل ؟ ما الذى يهدى اليه التفكير الحر المستقل السليم في مسألة الخلاف القائم بين سعد وعدلى ، بين أعضاء الوفد المنقسمين : قسم يؤيد سعدا · وقسم يؤيد عدلي · كيف يحسم هذا النزاع القائم بين المعسكرين ، وكل منهما يرى أنه وحده على حق وأن الآخر على ضلال ؟

ومن الحكم ؟

الرأى عندى أن الحكم الوحيد هو الشعب المصرى ، يبدى رأيه وحكمه في انتخابات عامة أو استفتاء عام ، وفيما عدا ذلك لايجوز لفريق أن يحتكر الحق كله لنفسه ·

قد أقول ويقول معى كثيرون جدا ان الحق مع سعد لانه موكل من قبل الشعب للسعى فى سبيل تحقيق الاستقلال وهو متمسك بهذا المبدأ وهذا المسعى ، فلا حاجة بعد ذلك الى انتخاب عام أو استفتاء جديد · ولكن الآخرين يقولون انهم كانوا من هذا المبدأ كذلك حتى رأوا تغير الظروف والاحوال ، وانسداد كل المنافذ والابواب في سبيل المساعي لتحقيق هذه الغاية ، وأنهم لذلك آمنوا بأن الخير لبلادهم هو فى قبول مشروع ملنر الذى هو دون الاستقلال

هذه حالة طارئة جديدة وأزمة حادة · ليس لها حل حاسم ولا مخرج نهائي الا أن ينقسم الوفد علنا وفي صراحة تامة ويلجأ الى الاحتكام الى الامة فى استفتاء عام بعد أن يتكتل القسمان ويتكتل أنصارهما في شكل حزبين سياسيين ناشئين فى البلاد فليس أجدى من الصراحة في مثل هذه المواقف ، وليس أخطر من وضع الاوراق على الجدار المشقق المتهدم لستر شقوقه وتغطية تهدمه ، ومن مزايا هذا الرأى الذى أسجله الان أن يمنع (على الاقل) السير فى

مشروع ملنر وفي المفاوضات الرسمية المقبلة ويتحقق بذلك أهم هدف من أهداف سعد ، ولكن بدلا من هذا الحل الحاسم الذى أراه فى هذه اللحظة اشعر ان سعدا يميل الى التستر على هذا الانقسام، وان خصومه من الاعضاء لا يجرؤون على الظهور بهذا الانقسام ، ولهذا أرى أن الازمات ستستمر وستزيد وتستفحل ولا مرد لذلك فان قانون الطبيعة البشرية مادام قد انطلق على أساس الكراهية وانعدام الثقة فانه لا محالة سائر بالرئيس والاعضاء من أزمة الى أزمة ومن عذاب الى عذاب وهذه حالة لا تطاق ٠

تحليل التهم الثلاث الموجهة الى عدلى

-سالنى احمد نجيب سؤالا لم اجب عليه فى حينه ٠ اذ قال ان برقيته اشتملت على حقائق وان الحقائق يجب أن تعرف ، وهذه الحقائق تجلت فى تهم ثلاث :

١ ـ ان عدلى سلك غير مسلك الوفد فى مسالة التحفظات ٠

٢ ـ انه عرقل المفاوضات ٠

٣ ـ انه عمل على تقسيم الوفد ٠

وكان سؤال نجيب لى : هل انت لا توافق على هـذه الحقائق ؟ فسكت ضيقا ويأسا من جدوى المناقشة ٠ هذه فى نظرى ليست حقائق وانما هى آراء ٠ وفرق بين الحقيقة الثابتة التى يوافق عليها الجميع والرأى الذى يصدر من جانب واحد ٠ فها هى الحقـائق اذن كما أعرفها ؟

أولا ـ ان اغلبية اعضاء الوفد لها رأى فى مسالة التحفظات وعدلى من هذا الرأى ٠

ثانيا ـ أن عدلى لم يعرقل المفاوضات ، والواقع انه سعى ونجح فى اطالة حبلها اكثر مما ينبغى ، وكانت الاغلبية الوفدية تلجـأ اليه لحل كل ازمة طارئة مع ملنر وكانت هذه الاغلبية حريصـة كعدلى أو أكثر منه على استمرار المفاوضات ، فمن التجنى اتهامه بأنه عرقل المفاوضات ٠

ثالثا ـ ان عدلى لم يعمل على تقسيم الوفد ، بل كان الوفد منقسما من تلقاء نفسه حتى قبل وصوله الى باريس وان أغلبية أعضاء الوفد هى التى تعلقت بعدلى ، وعقدت عليه الامل فى اتاحة الفرصة لكسب شيء لمصر عن طريق المفاوضة بين الوفد وملنر ، وعدلى والحالة هذه لم يبذل اقل مجهود لتقسيم أعضاء الوفد ذلك لان انقسام الوفد الى معسكرين كان نتيجة أسباب داخلية فى الوفد نفسه وبعبارة أدق كان نتيجة رأيين وعقيدتين مختلفتين متعارضتين .

اعتقاد الرئيس سعد بضرورة التمسك بقضية الاستقلال مهما تكن النتائج والمتاعب .

واعتقاد الاغلبية باستحالة الحصول على الاستقلال فى الظروف الحاضرة وبضرورة قبول ما يمكن نيله وكسبه عن طريق المفاوضات مع ملنر .

فمن التجنى أن يتهم عدلى بأنه كان اداة فى هذا التقسيم ، بل الصحيح أنه كان الاداة فى خدمة أغراض الاغلبية الوفدية وخدمة أهدافهما وهى فى الوقت عينه أغراض عدلى وأهدافه الحاضرة . فانقسام الوفد لم يكن نتيجة عمل ايجابى من عدلى أو ثمرة جهوده فى اقناع أغلبية الاعضاء ، وانما كان نتيجة عمل سلبى من عدلى وهو مجرد ظهوره على مسرح السياسة المصرية بحكم بعض الظروف القاهرة ، فانفتح بظهوره باب كان مغلقا ، وطريق كان مسدودا .

ومن عدلى هذا الذى يستطيع أن يقنع رجالا اكثر منه ثقافة وفصاحة وصلابة واعتدادا بالنفس أمثال عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وأصحابهم ؟

ان الحقيقة المرة هى أن أغلبية أعضاء الوفد جعلت من عدلى زعيمها فى المفاوضة ذات الرجاء الممدود وانصرفت عن سعد رئيسها وزعيم الثورة التى انتهت فى طريق مسدود (على حد تعبير عبد العزيز فهمى) .

كيف ختمت المفاوضات مع ملنر ولجنته

٩ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم توجه الوفد بكامل هيئتـــه (أعضاء وسكرتيرين) وعلى رأسهم سعد وبجواره عدلى الى وزارة المستعمرات البريطانية ، وكان يوسع الطريق أمام سياراتهم التى انسابت فى الطرقات على شـــكل قافلة وأمامهـــا فارسان بريطانيان من راكبى الموتوسيكل يفسحان الطرق ويعطلان المـرور مؤقتا حتى وصل الركب المصرى الى مكان الاجتماع • وكان فى استقبالهم ملنر وجميع أعضاء لجنته ما عدا الجنرال ماكسـويل الذى تغيب لمرضه وجميع سكرتيرية اللجنــة ، ولما انتظم عقــد الاجتماع أعلن ملنر افتتاح جلسة الختام ثم قال : « ان هذه آخــر جلسة نعقدها ، وأريد أن أتلو عليكم بيانا باللغـــة الانجليزية ثم يترجمه الى الفرنسية السير رنل رود (*) فتلاها ثم ترجمت •

بيان لجنة ملنر

وفيما يلى ترجمتها الى العربية :

« رأينا من المرغوب فيه أن تعقد هذه الجلسة قبل سفر الممثلين المصريين من لندن وقصدنا من ذلك جلاء الموقف وايضاح الحالة ، ثم ترك الباب مفتوحا للعمل بالاشتراك بينهم وبين اللجنة فى المستقبل

ويظهر من الاخبار التى عاد بها أخيرا السادة المصريون بعــد زيارتهم مصرانها تدل على أن قسما عظيما من الرأى العام يستحسن التسوية على الاساس المبين فى المشروع الذى عرض مع مذكرة أغسطس ، ولكنهم قالوا ان فى هذا المشروع نقطا يرغبـــون فى

(*) فى المؤتمرات الدولية أصبحت اللغة الانجليزية هى اللغــة الرسمية جنبا الى جنب مع اللغة الفرنسية • ويحرص الانجليز فى جميع المجتمعات الدوليــة أن يتكلمـــوا بالانجليزية ، وأن تكون الفرنسية هى الترجمة لمن لا يفهم لغتهم • »

تعديلها ، وان هناك شروطا اخرى يريدون اضافتها قبلما يعدوننا بتأييدهم لنا من غيرقيد ولا شرط .

« ونحن لا نرى اية حاجة الى المناقشة اليوم فى هذه الامور . ذلك لان اعضاء اللجنة مجمعون رايا على ان لا فائدة من زيادة المناقشة فى مسائل تفصيلية فى الوقت الحاضر .

« ولم يكن مقصودا بالمشروع غير تبيان القواعد العامة التى يمكن ان يبنى عليها الاتفاق ، وعلى كل حال لا يتم الاتفاق الا اذا قر القرار عليه نتيجة مفاوضات رسمية بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية والحكومة المصرية كما كنا نتوقع ذلك دائما .

« وفى تلك المفاوضات الرسمية يمكن عرض النقط الجديدة التى قدمتموها على اثر زيارة بعضكم لمصر ، وكذلك غيرها من النقط التى يمكن ان يعرضها كلا الطرفين . وحينذاك يكون من المستحيل ومن غير المرغوب فيه نبذ اى طلب او رفض اى اقتراح يكون غير مناف منافاة واضحة جوهرية لروح الاتفاق المرسوم هيكله فى المشروع .

« ومن راينا اننا اذا تعرضنا لهذه المناقشات من الآن لا نكون قد سهلنا حصول التسوية ، وعليه نرى ان الاجدر بنا ان نتجنب الآن ابداء اى راى فى النقط الجديدة التى عرضتموها اخيرا مع اننا نعتقد انه يمكن الوصول الى حل مرض ، بل لابد من الوصول اليه حينما تدور المفاوضات الرسمية القانونية .

« والامر الذى يهمنا الآن بعد ان بلغنا ما بلغناه هو التاثير فى الراى العام فى بريطانيا وفى مصر حتى يستحسن التسوية على المبادىء التى استحسناها نحن وانتم . واعظم من ذلك كله ان نغرس ونقوى بكل وسيلة ممكنة أواصر الصداقة والثقة المتبادلة التى ساعدت محادثاتنا هنا على ايجادها ، والتى يجب تعميمها بين الفريقين اذا شئنا ان تفضى مساعينا الى الغاية المطلوبة ، فان ذلك كله أهم كثيرا من المناقشة فى التفاصيل اما فيما يختص بهذه البلاد (بريطانيا) فاننا نؤمل ان تقرير اللجنة الذى نحن مهتمون بانجازه باسرع ما يمكن ، يؤدى الى هذه الغاية .

« ومما لا يقل عن ذلك اهمية ان تنتج مساعيكم فى مصر نتيجة مشابهة لهذه ونحن نعترف لكم شاكرين عظم ما فعلتموه فى هـذا القبيل حتى الآن ، ولكن من الواضح انه لايزال هنـاك معارضة يجب التغلب عليها ، وان في مصر اناسا كثيرين لم يتشربوا روح الاتفاق · بل لايزالون معادين لحسن التفاهم بين بريطانيا العظمى ومصر لسبب من الاسباب ، فهم يرتابون فى ثبات هذه البـلاد او يدعون ذلك ، غير مدركين مقدار السخاء الذى تقابل به بريطانيا العظمى امانى الشعب المصرى · وانكم بتبديدكم سوء الظن وسوء التفاهم وغرسكم حسن الظن فى النفوس بدلهما ، تعمـلون ما لا يستطاع عمله بطريقة اخرى للوصـــول الى التسوية التى نرغب فيها معا اشد الرغبة » ·

هذه خطبة محضرة وبيان منمق مدقق فى كل عبارة فيه بل كل كلمة منه وقد اشترك ملنر واعضـــاء لجنته اياما فى تحضـيره وتدقيقه وتنميقه وكان واجب اللياقة يقضى عليهم ان يرسلوا صورة هذا البيان الى الرئيس سعد والوفد حتى يعدوا من ناحيتهم الرد المناسب ، بالبيان المحضر المدقق المنمق كذلك ، ولكن هكذا شـــاء الانجليز ان يفاجئوا سعدا والوفد بهذا البيان وخالفوا بذلك العرف المألوف فى جميع الجلسات الختامية والافتتاحية للمؤتمرات الدولية واللجان شبه الدولية ، ولم يفعلوا ذلك الا استخفافا او احراجا للوفد وزعيمه ، وقد ظنوا ان بيانهم هذا يقنع قارئه او سامعه فى سهولة ويسر ، وان يضطروا سعدا اما للسكوت عليه فى مضض وكمد واما ان يرد عليـه فور البديهة وعفو الســاعة ومن فيض الخاطر والذكاء ·· ببيان ارتجالى لا ينتظر منه ان يكون رائعا أو مقنعا لقارئه او سامعه فى مثل تلك السهولة واليسر ، بل المنتظر ان يكون بطبيعة الحـــال فى مستوى اقل وأدنى ، وفرق كبير بين الارتجال والاعداد بعد الاستعداد · فالارتجـــال منكوب بسرعة التفكير ، والاعداد يمتاز بالتركيز وطول التأمل والتحضير ·

ومع ذلك ماذا كان رد الفعل عند الرئيس سعد ؟ ولا اذكر غير سعد لانه الوحيد الذى تكلم بعد ملنر ·

انه لم يؤثر طريق السلامة والمسالمة بالسكوت على مضض وفى كمد ·

بل فضل أن يجيب مرتجلا ، وأن يتكلم بالفرنسية أى بغير لغته العربية . وهذا قيد شديد فاشرأبت الاعناق اليه وتعلقت الانظار به. وأسرعت الانفاس تطلعا اليه فى لهفة : لهفة من أولئك الذين خشوا أن يندفع ويجمح ، ومن أولئك الذين أملوا أن يوفق ويدافع ويحسن .

بدأ الرئيس سعد بأن قدم الشكر بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن زملائه على ما لقوه جميعا من الحفاوة طوال مدة المفاوضة ، ثم قال :

« انى وزملائى مستعدون كل الاستعداد للسعى لاستمالة الامة المصرية للاتفاق، ولكن يلزمنا ان تساعدونا على اجراء هذاالمسعى. وذلك بأن تضعوا فى أيدينا ما يمكننا من اقناع الامة المصرية بما تسعى اليه . ان الشعب المصرى كما تعلمون قد قام ضد الحماية . وطالب بالغائها وليس فى وسعنا ان نحمله على قبول المشروع اذا لم نحصل على هذا الالغاء ولا يتسنى لاى مصرى ان يقبل المفاوضات على تلك الاسس والدعامات ، وأن تكون نتيجة سعينا فى ترويج هذا المشروع من غير تعديله بما يضمن الغاء الحماية بصفة خاصة الا سقوطنا وسقوط المشروع معنا » .

ثم سكت سعد .

فقال ملنر : اننا نرجو أن يسعى كل منا من جانبه الى ازالة سوء التفاهم كما نعمل نحن ذلك فى بلادنا .

سعد : ان هناك فرقا عظيما بيننا وبينك . فانك امكنك ان تؤكد فى مجلس اللوردات انك لم تفرط فى اى شىء فيه أقل مساس بالامبراطورية ، وانك تعمل على المحافظة على مركز بريطانيا فى مصر ، وعلى تأييد النظام بها لا بطريق العنف وانما بطريق اللطف . وأثبت ذلك بالادلة القاطعة ، وارضيت ما فى نفوسهم من هوى ، فوقع كلامك لديهم موقع الاستحسان . واما انا : فقومى يطلبون الغاء الحماية ويريدون الاستقلال وليس فى امكانى أن

اؤكد لهم ان الحماية الغيت أو انها ستلغى ، فاذا مكنتمونا من هذا التصريح واعطيتمونا دليله فليس احب الينا من ان نعمل للتوفيق بكل ما فى وسعنا ونعتقد اننا حينذاك نصيب كل نجاح ٠
ملنر : انكم تتشبثون بصغائر وتعلقون اهمية مسرفة على بعض الكلمات ، والعبرة بالمشروع ومرماه ٠

سعد (منفعلا) : اذا كانت هذه صغائر فى نظركم فلماذا تحرصون عليها وتتشبثون بها وتضنون بها علينا ولها عندنا المكانة الاولى من الاهمية ؟

اليس من حقنا عليكم بل من واجبكم انتم الذين تزعمون انها صغائر ان تترضوا الامة المصريه بها ؟

ثم استطرد الرئيس سعد فقال :

« بما ان البيان الذى تلوتموه علينا بيان مكتوب ومحضر فانى احتفظ بحقى فى الرد عليه كتابة ، وان ما ابديته الآن انما القيته على البداهة وما قصدت به الا ان اطلعكم على وقعه المباشر فى نفوسنا حتى لا تسيئوا فهمنا ٠

فقال ملنر : اننى ما تليت هذه المذكرة للمناقشة فيها وانما هو مجرد عرض وبيان للموقف كما نراه الآن ، وسابلغها اليكم هذا المساء او غدا صباحا ٠

وهنا قال عدلى موجها الكلام الى سعد :

هل لا يمكن ان يقال للامة ان الغاء الحماية محتمل احتما قريبا جدا ٠

فاجاب سعد : لا يمكن ان يقال ذلك اذ ليس لدينا ما يؤيده ٠

وسكت ملنر ٠ ولم ينبس ببنت شفة ٠

فيالها من صراحة وصدق وفصاحة وبديهة رائعة ، ويالة من تمسك متين بالمبدأ المكين· ويالة من حرص فى شجاعة على التوكيل، ويالها من حجج دامغة تلقى على البداهة فتدمغ وتفحم ·

هكذا اختتمت المناقشات بين ملنر وسعد ·

وهكذا انتهت الجلسة الاخيرة بين لجنة ملنر والوفد المصرى ·

وفى هذا الجو البارد الكالح تبادل الحاضرون مراسم السلام وكلمات التوديع مع الابتسام الاصفر وفى النفوس ما فيها من أمل يمازجه يأس أو يأس لا يصاحبه رجاء ·

رد الوفد على بيان لجنة ملنر

١٠ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم حضرت الى مكتبى فى فندق سافوى حيث يقيم الرئيس فوجدت بانتظارى خطابا ارسله الى سكرتير لورد ملنر وهذا نصه ·

« عزيزى كامل

« ابعث اليك مع هذا بصورة من بيان لورد ملنر الذى تلاه فى جلسة بعد ظهر امس ، وارجو الا تتردد فى اخبارى بأية خدمة استطيع القيام بها بمناسبة قرب سفركم غدا » ·

المخلص
(انجرام)
١٩٢٠/١١/١٠

ملاحظة :

كانت ترجمة بيان ملنر عندى جاهزة · ذلك انى كتبت البيان حرفيا عندما كان يلقيه ملنر فى الجلسة على طريقته الهادئة

البطيئة · فراجعت الترجمة على الاصل وصـــححت ونمقت ما احتاج الى التصحيح والتنميق ، ودخلت عـلى الرئيس فى قاعة الجلسة قبيل الساعة التاسعة فلم أجده · وبعد قليل من انتظارى دخل مرفوع الهامة عظيم المهـابة كعادته ، وما أن رآنى حتى قال باسما : ما وراءك يا عصام ·

فقلت : تسلمت هذا الصباح صورة بيان لجنة ملنر وقد ترجمته الى العربية ، ثم تلوت الترجمة عليه ، فقال الرئيس : اعطنى هذه الترجمة لانى اريد اعـــداد الرد بنفسى وامنـع عنى الزائرين ان استطعت الى ذلك سبيلا ، وابلغ اعضاء الوفد تليفونيا انى أريد عقد جلسة للوفد فى الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم ·

فنفذت الامر فلم يحضر احد من الاعضـــاء هذا الصباح ، بل لعل الاعضاء قد اغتبطوا حتى يستعدوا للسفر غدا الى باريس ·

وبعد ساعة ونصف الساعة اى حوالى الساعة ١٠ر٣٠ صباحا فرغ الرئيس من اعداد الرد وتلاه على ، ودهشت للسرعة الفائقـة التى ابداها الرئيس فى اعداده · فقـــال : اذن امليه عليك ليكون جاهزا فتقراه على الاعضاء فى جلسة بعد الظهر ·

ثم املى على البيان وادخل عليه تعديلات وتحسينات فى اثناء الاملاء ·

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر اجتمـــع الوفد فى جلســته الاخيرة فى لندن ، وحضر عدلى كذلك ·

قال الرئيس : : تسلمت اليوم صباحا صورة من بيان لجنة ملنر وقد ترجمه كامل الى العربية وفرغت من اعداد الرد عليه · فليقرأ كامل ترجمة بيان لجنة ملنر اولا ثم مشروع الرد الذى أعـددته ، وانا حريص ان يرسل هذا الرد فورا اى فى هذااليوم قبل أن نسافر الى باريس ، والسرعة فى مثل هذه الاحوال واجبة ومستحسنة » · ومنا تلوت فى هدوء وتؤدة الترجمة العربية لبيان لجنة ملنر ·

ثم تلوت مشروع الرد الذى أعده الرئيس .

عبد العزيز فهمي هذا رد مناسب . وانى أهنىء الرئيس عليه واقره بعد تعديلات طفيفة تم عرضها .

وبعد مناقشة قصيرة اشترك فيها معظم الاعضـــاء لتلطيف أو تخفيف بعض الكلمات والعبارات وافقوا على مشروع الرد ، كما وافقوا على ارساله فورا وقد قام دوماني بترجمته الى الفرنسية وهى اللغة التى يتخاطب بها الوفد مع لجنة ملنر ، واوصلت الرد الى وزارة المستعمرات وكان بانتظارى سكرتير ملنر .

رد الوفد

« اتشرف بابلاغكم انى تسلمت صورة من المذكرة التى تلوتموها فى جلسة ٩ نوفمبر الجارى ، وهذه المذكرة تقرر ان باب المناقشة لايزال مفتوحا بين لجنتكم والوفد المصرى وانه من غير المناسب ان تبحث الآن التحفظـات التى ابداها الشــعب المصرى بالنسبة لمشروعكم الذى أرسل الينا بتاريخ ١٨ اغسطس الخـــاص . وأن محل هذا البحث يكون فى خلال المفاوضات الرســميه . وتشير هذه المذكرة بنوع خاص الى المصلحـــة الرئيسية التى تنجم من ايقاف الرأى العام فى البلدين على الحـــالة بحيث توجـــد بين الشعبين روح حقيقية للوفاق والذى بدونه لا سبيل الى الاتفاق . ولاشك أن الوفد المصرى مقتنع بهذه النظرية كل الاقتناع ، ولذلك ما فتىء يبدى رغبته الشديدة فى مناقشـــة التحفظات فى المرحلة الحالية من المفاوضات ولو أن الامر قد تم على هذا الوجه لأدت هذه المناقشة الى ازالة كل ســـوء تفاهم ومحـــو كل أثر للشكوك وتحقيق الغرض المنشود تحقيقـــا كليا ، وهو ايجاد وفاق مرتكز على الثقة المتبادلة بين الامتين .

ولا يخفى ان مناقشة التحفظات فى الوقت الحاضر امر لا مندوحة عنه لانها مرتبطة كل الارتبـــاط بأحكام مشروعكم الذى يراد أن

يكون قاعدة للمفاوضات الرسمية . فارجاء هذه المناقشة الى ان تبدأ المفاوضة بين الحكومتين ليس معناه الا ارغام المفاوض المصرى على الدخول فى تعاقد على قواعد مخالفة كل المخالفة لامانى البلاد التى تريد استقلالها وتريد الغاء الحماية . ولقد صارحتكم مرارا بأن هذا الوضع لا يقبله الوفد ولا أى مصرى حائز على شيء من ثقة مواطنيه ، ونحن من اجل هذا السبب لم نستطع قبول مشروع ١٨ اغسطس ولنفس هذا السبب كذلك لم تتردد البلاد فى المطالبه بتعديل ما ابدته من التحفظات التى تشرفت بابلاغها الى جنابكم .

« على أن هناك من جهة أخرى تلك القوانين الاستثنائية التى تطبق فى مصر منذ سنين عديدة ، وكذلك المحاكم العسكرية وغيرها من الوسائل والاعمال التى لا تتمشى مع روح الاتفاق ولا مع الرغبة الصادقة التى اظهرتموها فى القاء مقاليد حكم البلاد الى أبنائها ، وهذا كله يجعل من العبث أية محاولة فى توجيه الدعوة لاحلال الثقة فى النفوس ، فالانسان الذى يقف فى مثل هذا الجو ليدعو الى الاتفاق لابد أن تعده الامه خادعا أو مخدوعا مهما تكن الثقة فيه غير محدودة ، ومهما يكن حائزا لاحترام الناس جميعا ومحبتهم . ولاشك فى انه يسقط تحت صيحات الاستياء العام بسبب اتباعه منهجا منافيا للحقيقة ولشعور كل مصرى ، بل لحكم العقل نفسه .

« وعلى ذلك فان الوفد المصرى يأسف كل الاسف لانه يرى من المستحيل انتهاج السبيل الذى تدعونه اليه . ولقد كان يعد نفسه سعيدا لو انكم خولتموه الوسائل الضرورية التى تمكنه من أن يسعى سعيا نافعا فى ايجاد تيار ميال الى الوفاق فى البلاد ، ومهما يكن من امر فان ترك باب المناقشة مفتوحا بين لجنتكم والوفد يجعلنا نأمل فى الاعتماد على حكمتكم وحكمة زملائكم لتذليل الصعاب الحاضرة ، حتى يكون فى مقدورنا ان نبث بين أبناء

الشعب المصرى روح الثقة الحقيقية والرغبة الصادقة فى الاتفاق العام مع بريطانيا العظمى ·

سعد زغلول
رئيس الوفد المصرى

١٠ نوفمبر ١٩٢٠

سفر الوفد الى باريس وتخلف عدلى

لندن فى ١١ نوفمبر ١٩٢٠ :

سافر الوفد كله صباح اليوم على دفعتين الى باريس : الدفعة الاولى : فى الساعة الثامنة صباحا : الرئيس سعد وعلى ماهر ومصطفى النحاس وواصف غالى وسينوت حنا والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف ودومانى أنا · والدفعة الثانية : فى الساعة ١١ صباحا : عبد العزيز فهمى · لطفى السيد · محمد محمود · محمد على علوبة · حمد الباسل · عبد اللطيف المكباتى ·

اما عدلى فقد تخلف فى لندن ولم يسافر ولا يعلم احد سبب تخلفه ، وقد حضر مندوب من قبل لورد ملنر الى محطة فكتوريا مرتين لتوديع المسافرين فى الدفعة الاولى وفى الدفعة الثانية ·

فهرس

صفحة

صدر من كتاب اليوم

● خواطر واحاديث	احمد حسن الباقورى
● فنان فى باريس	فتوح نشاطى
● بلاد الله ·· خلق الله (ثلاث طبعات)	انيس منصور
● النساء لهن اسنان بيضاء	احسان عبد القدوس
● ايام لها تاريخ	احمد بهاء الدين
● الغاضبون	كامل زهيرى
● مصرى فى فيتنام والصين وكوريا	احمد حمروش
● القمر فى انتظارنا	مجدى نصيف
● ام كلثوم التى لا يعرفها احد (ثلاث طبعات)	محمود عوض
● رجل من طين	سعد مكاوى
● حقيبة فى يد مسافر	يحيى حقى
● ليلة نام فيها الشيطان	محمد التابعى
● القرآن فى شهر القرآن	د· عبد الحليم محمود
● الكاس الاخيرة	ابراهيم المصرى
● لست مسيحا اغفر الخطايا (طبعتان)	محمد زكى عبد القادر
● يحدث فى الليل فقط	امين يوسف غراب
● طويل يا زمن	عبد المنعم الصاوى
● شخصيات عربية معاصرة	ابراهيم البعثى
● حين يميل الميزان	ثروت اباظة

● صالة النجوم	محمد التابعى
● قلت ذات يوم	توفيق الحكيم
● الشيطان لعبته المراة والمراة لعبتها الرجل	احمد الصاوى محمد
● الجديد فى مرض السكر	د٠ جمال غوردون
● مشهورون منسيون	فتحى رضوان
● اسلاميات	خالد محمد خالد
● العالم من ثقب الباب	كامل زهيرى
● توتة توتة (طبعتان)	احمد رجب
● موعدنا بعد غد	عبد المنعم الصاوى
● حيــاة قلب	أحمد الصاوى محمد
● امهات لم يلدن ابدا !	يوسف جوهر
● شيوعيون فى كل مكان (جزءان)	موسى صبرى
● يوميات مصرية	ابراهيم الوردانى
● بنت اليوم	محمود تيمور
● صور مقلوبة (طبعتان)	احمد رجب
● ابتسامات على البلاج	حسين القبانى
● مع اطيب تحياتى من موسكو	انيس منصور
● ابتسم من فضلك	محمد عفيفى
● نظرات فى سورة الرحمن	عبد الكريم الخطيب
● الزواج سنة ٢٠٠٠	محسن محمد
● صقر الليل	محمود البدوى
● حلاوة الروح	يوسف الشارونى
● ذنوب بلا مذنبين	محمد زكى عبد القادر

● اولاد الحـــلال	صالح جودت
● الأم ..	فتحي الابيارى
● رجال ونساء	احمد الصاوى محمد
● بيليه ملك الكرة	احمد علام
● شرابة الخرج	دكتور سعيد عبده
● حمارى وعصاى والآخرون	توفيق الحكيم
● سياحة غرامية	محمود عوض
● تاريخ للبيع	محسن محمد
● كـــلام فارغ	أحمد رجب
● عبد الباقي وبناته	فتحي أبو الفضل
● الصحافة الملعونة	موسى صبرى
● على الارض السلام	صبحى الجيار
● زهرة قرنفل حمراء	عبد المنعم الصاوى
● الوجه والقناع	ابراهيم المصرى
● على باب الله	جاذبية صدقي
● العاصـــية	احمد الصاوى
● رجل من الامس	عباس الاسوانى
● على حافة الخطيئة	محمد زكى عبد القادر
● بحر الذنـوب	عبد الله الطوخى
● الحفيـــد	عبد الحميد جودة السحار
● ٣ ايـــام	عبد الوهاب داود
● قصة ملك و٤ وزارات	موسى صبرى
● ساعة النصر	ابراهيم المصرى

● انا والقانون ·· والفن	توفيق الحكيم
● فلاسفة وصعاليك	محمد فهمى عبد اللطيف
● مذكرات اللورد كيلرن	كمال عبد الرؤوف
● لا تغسلوا الوحل	فتحى ابو الفضل
● آخر العنقود	يوسف الشارونى
● ولا عجيب الا الصين	محسن محمد
● الســـاعة ١٤٠٥	صلاح قبضايا
● اكليل من العار	امين يوسف غراب
● حياتهم بلا خجل	محمد تبارك
● مغامرات صحفى فى قاع المجتمع المصرى (طبعة ثانية)	عبد العاطى حامد
● الزوجة الهاربة	جيلان حمزة
● دنيا عجيبة من القطب الى سور الصين	محمد مصطفى غنيم
● حول العالم مع الطب والاطباء	صلاح جلال
● بائع الاحـــلام	محمود كامل
● رقم ٤ يامركم	نهاد شريف
● سنة اولى سجن (طبعة ثالثة)	مصطفى أمين
● حمارى الفيلسوف	توفيق الحكيم
● بواية المتولى	جاذبية صدقى
● هو ·· والنساء والحب	حسين القبانى
● دفاع عن الزوجات	محسن محمد
● ثورة سنة ١٩١٩	محمد كامل سليم

ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

كتاب اليوم

يقدم

الكتاب الثالث لسكرتير سعد زغلول

محمد كامل سليم

أزمة الوفد الكبرى

قريبا

كتاب اليوم القادم

الناس والحب

بقلم
الكاتب الكبير
ابراهيم المصرى

يصدر أول يوليو



هذا الكتاب

هذا كتاب فيه اصالة واثارة وحقائق كانت بالامس مستورة وهى اليوم منشورة · كتاب جـديد لم يسبق له مثيل لا فى موضوعه ولا فى اسلوبه ·

اماموضوعه فقد تناول اعمال الوفد وسلوك اعضائه، وجهاد واعترافات سعد زغلول بعد خروجه من المنفى واضطراره الى الدخول مع ملنر فى مفاوضات كانت فى الواقع نزاعا مستمرا وصراعا فى صراع من اول يوم الى آخر يوم ·

اما اسلوبه فهو يوميات سـياسية ونفسية ، اذ لم يشا المؤلف ان يسجل الحقائق والوقائع باسلوبه الخاص، اسلوب الانشاء والتلخيص وتجميـع الحوادث حسب توقيت وقوعها كما يفعـل المؤرخون ، وانما ترك هذه المهمة كلها لسـعد زغلول نفسـه ، فسجلها باسلوبه القـوى الرائع مع اعترافاته وارائه فيمن حوله وفيما جرى ، وترك لملنر نفسه ليسجلها باسلوبه الاستعمارى الخشن مع طلباته الملحة والمطامع الكالحة لبلاده · كما ترك لعدلى ولاعضاء الوفد ان يسجلوا اراءهم واهدافهم باسلوبهم الخاص ·

بهذه اليوميات الفريدة تم احيـاء الماضى ونقله الى الحاضر كما تفعل اشرطة التسجيل فى هذه الايام ·